

* قِصَّتِي فِي طَلَبِ العِلْمِ.
* سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدُ العَزِيزِ بْن بَاز كَمَا عَرَفْتُهُ.
* تَرْجَمَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل.
* وَعَدَدٌ مِنَ المُقَابَلَاتِ وَالمَقَالَاتِ.

جمع وإعداد
محمد زياد بن عمر التكلة








مجموعٌ فيه

من آثـــار سماحة الشيخ
عبدالله بن عبدالعزيز العقيل

في الذكريات والتاريخ والتراجم

* قصتي في طلب العلم .
* سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز كما عرفته .
* ترجمة الإمام أحمد بن حنبل .

- وعدد من المقابلات والمقالات .

جمع وإعداد

محمد زياد بن عمر التكلة




ح دار ابن حزم للنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

التكلة ، محمد زياد

مجموع فيه من آثار سماحة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ./ محمد زياد التكلة .- الرياض ، ١٤٣٠هـ .

٣٣٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩-٩٥-٧٩٥-٩٩٦٠-٩٧٨

١ - ابن عقيل ، عبد الله بن عبد العزيز ٢ - الاسلام - السعودية - تراجم أ- العنوان

ديوي : ٩٢٢,٥٨٤ ١٤٣٠/٦١٢٦

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٦١٢٦

ردمك : ٩-٩٥-٧٩٥-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض . ص. ب : ٢٢٥٦٦ الرمز البريدي : ١١٤١٦

شارع السويدي العام - هاتف وفاكس ٤٢٧٥١١٧ جوال ٠٥٠٣١٢٢٩٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا مجموع لطيف من فوائد سماحة شيخنا ووالدنا النبيل ، العالم العلامة الجليل ، عبد الله بن عبد العزيز العقيل ، أمدّ الله في عمره على الخير والعافية والطاعة والإفادة.

ويحتوي المجموع:

١- رسالة بعنوان: «قصتي في طلب العلم» ، وهي في الأصل لقاء أُجري مع سماحته في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بالرياض سنة ١٤٢٧ ، أجراه فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان وفقه الله ، تكلم فيه شيخنا عن سيرته الذاتية ، وبعض ذكرياته ، ولا سيما عن كبار العلماء الذين أدركهم.

٢- رسالة بعنوان: «**سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كما عرفتُه**» ، وهي في الأصل جواب عن سؤال تكرم شيخنا بإجابتي عليه أثناء اشتغالي بالترجمة المطولة لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ، وكانت الإجابة في صفحتين بخط شيخنا ، ثم استمر سماحته يزيد فيها ويحرر حتى صارت رسالة صغيرة ماتعة ، وهي من أعلى ما قيل في سماحة الشيخ ابن باز من الثناء.

٣- مقالة بعنوان: «**ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**» ، وهي مقالة مطولة مفيدة ، سبق أن نشرها شيخنا من ثلث قرن ، وذلك في العدد الثاني من مجلة البحوث الإسلامية ، عدد شوال ١٣٩٥ (ص١٩٩-٢١٠).

* ثم ألحقنا بالمجموع عدداً من المقابلات واللقاءات التي أُجريت مع شيخنا ، لما فيها من معلومات قيمة ، ولا سيماً من جهة التوثيق للتاريخ والتراجم[١] :

---

(١) ربما يلحظ القارئ تكرر نسبة كبيرة من المعلومات في اللقاءات ، ومع أن ذلك يفيد زيادة التوثق والتثبت ، فإن في كلٍّ زيادة تفصيل وفوائد عارضة أخرى ، يحرص على مثلها الباحث ، إضافة لكونها مصدراً أصليا مستقلا من مصادر التاريخ الشفوي للعلم والقضاء وغيرهما في هذه البلاد ، وفي جمعها في مكان واحد حفظٌ لها من التفرق والشتات ، وتسهيل لجمع المعلومات . =

٤- لقاء مع سماحته في «**مجلة العدل**»، العدد الثاني، ربيع الآخر سنة ١٤٢٠.

٥- لقاء مع سماحته في إذاعة القرآن الكريم ضمن برنامج «**في موكب الدعوة**»، في حلقتين[1].

٦- لقاء مع سماحته في قناة المجد الفضائية، ضمن برنامج «**صفحات من حياتي**»، في حلقتين، سنة ١٤٢٥[1].

٧- لقاء مع سماحته في «**مجلة التوعية الإسلامية**» التي تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية، سنة ١٤٢٧.

٨- مقال في ترجمة سماحته للأخ الشيخ محمد بن ناصر العجمي، نُشر في مجلة «**أمّتي**» الكويتية، في العدد الأول، رجب ١٤٢٥ (ص٣٤-٣٥).

= ولا يفوتني أن أنبّه أنني حافظت على الكلام - في تفريغ اللقاءين - كما هو قدر المستطاع، ومن المعلوم أن التقرير ليس كالتحرير، والمجال فيه تبسط واستخدام للعامية أحياناً.

(١) سبق أن نشرتها في موقع «الألوكة» على شبكة المعلومات.

(١) نشكر السادة في قناة المجد الفضائية على إهداء شريط المقابلة، ونخص بالذكر الأخ أبا سلمان.

* **تنبيه**: أثناء مراجعة تجارب هذا الكتاب رأيت هذا اللقاء نُشر ببعض تصرف في مجلة «الحرس الوطني» الأعداد (٣١٤ و٣١٥ و٣١٧) دون نسبة إلى مصدره الأصلي.

٩- الملف الذي أعدّته مجلة «أمتي» الغراء بمناسبة زيارة سماحته للكويت ، في العدد العاشر ، ربيع الآخر ١٤٢٦ (ص٦-١٠).

١٠- النشرة التي أصدرتها « **مجلة الدرعية** » عن سماحة الشيخ بمناسبة تكريمه في أحدية الشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري في الرياض في جمادى الآخرة ١٤٢٨.

١١- تغطية « **مجلة القمة** » لمحاضرة ألقاها سماحته في الجامع الكبير بالكويت ، العدد العاشر ، ربيع الثاني ١٤٢٦ .

١٢- لقاء مع موقع « **شبكة السنة النبوية وعلومها** » على شبكة المعلومات (الانترنت) في شعبان سنة ١٤٢٩ .

* عملي في المجموع:

في بداية الأمر عهد إليّ شيخنا - حفظه الله - أن أفرّغ له محاضرته «**قصتي في طلب العلم**» ، وأذن لي في خدمتها وإخراجها ، وبعد أن عرضتها عليه، قام شيخنا بتحريرها بيده ومراجعتها غير مرة ، حتى غيّر بعض الأجوبة بالكامل ، وأضاف أسئلة وأجوبة جديدة ، فأضحى تأليفاً مزيداً محرراً مفيداً.

وكذلك فقد راجع فضيلة الشيخ السدحان مقدمته للمحاضرة ، وأقر تغيير صياغة بعض الأسئلة ، والشكر والثناء موصولان له ، إذ اللقاء كله

حسنة من حسناته ، جزاه الله خيراً.

وكان لي تعليقات يسيرة على الرسالة ، أكثرها إحالات على كتابي «فتح الجليل» ؛ إذ توسعت في ترجمة شيخنا فيه ، ونقلت عنه كثيراً من الفوائد ، فأحببت الربط بين فوائد شيخنا في الكتابين ، ومن هذا الباب أيضا أضفت بعض الفوائد المستجدة لديّ من كلام شيخنا في بعض الأعلام الذين تكلم عنهم في الرسالة.

أما بقية محتويات المجموع فليس لي فيها إلا الجمع والتفريغ والمقابلة والعناية والإعداد للنشر ، وأضرع إلى الله أن يتقبل هذا العمل وينفع به.

* * *

يصدر هذا المجموع المبارك بعد أن أُثلجت قلوب محبّي شيخنا لما يرونه من دلائل القَبول له ، ويرجون الله المزيد ، فبحمد الله تعالى ما يزال الطلبة والمستفيدون عنده في ازدياد ولا سيما في الفقه ، وكَثُر المرتحلون من أطراف البلاد وخارجها خصيصاً للقراءة عليه[1].

---

(١) وقام أحد جلّة المرتحلين إليه – وهو فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور وليد المنيس الكويتي – بطباعة كتاب ماتع عن رحلاته لشيخنا ، أسماه «الإكليل» ، وطبع مؤخراً كتاباً آخر على نسقه ، أسماه: «التكميل» ، وصدرا عن دار البشائر الإسلامية في بيروت ، وأخبرني الآن أنه بصدد إعداد جزء ثالث على نسقهما ، فجزاه الله خيراً.

وجعله الله واسطة عقد سماع الحديث الشريف وروايته في نَجْد ، وخُرِّجت له عدة رسائل في هذا الفن ، وعُقدت له مجالس التحديث الحافلة في الرياض وغيرها ، وأخذ الرواية عنه الآلاف رجالاً ونساء من مختلف البقاع ، وألحق الأحفاد بالأجداد ، ولا أعلم أحداً من علماء نجد - قديماً وحديثاً - تلقى الرواية عنه هذا العدد ، ولئن بقي الزمان فأرجو أن تبقى الرواية العالية عنه مدة مديدة.

ومن المجالس السماعية الكبرى التي عُقدت له: مجلس في منزله بالرياض لختم المرحلة الأولى من قراءة «مسند أحمد» (أكثر من عشرة آلاف حديث) ، حضره زيادة على المائة.

ومجلس في الكويت لقراءة «الأربعين في فضل المساجد» ، حضره المئات ، **وللتاريخ فإنه من أوائل المجالس الإسنادية الرسمية العامة في المنطقة كلها** ؛ إن لم يكن أولها .

وآخر في الرياض للكتاب نفسه ، وحضره المئات.

ومجلس في الكويت لقراءة «ثلاثيات المسند» ، ورسالتِي «النوافح المسكية من الأربعين المكية» ، وحضرهما المئات رجالاً ونساء.

ومجلس في الرياض لقراءة «الأربعين في الحج» ، حضره المئات.

وآخر لقراءة «الأربعين الحنبلية» حضره جمع .

وآخر في جدة لقراءة «الأربعين في فضل العلم» ، حضره جمع.

ومجالس في الرياض لقراءة « ثلاثيات المسند » ، وحضرها المئات ، سنة ١٤٢٩هـ .

وقرأ عليه رسالتي «النوافح المسكية» عدد كبير في مجالس متعددة في الرياض ومكة[١] .

ومجلس في الرياض لقراءة « الأربعين في الصيام » حضره المئات .

ومجلس في الرياض لقراءة « الثمانين » التي خرجها الشيخ صالح العصيمي في ١٠ شعبان ١٤٢٩ بمناسبة بلوغ شيخنا ثمانين عاماً من تاريخ سماعه للحديث المسند من شيخه عبدالله القرعاوي .

تلاه قراءة مطلع جزء الحافظ الذهبي « من عاش ثمانين بعد شيخه أو بعد سماعه » ، حضرها جمع من عدة بلدان .

وكنت قد جمعت وصورت مسموعات شيخنا على شيخه المعمر علي أبووادي ، وقرأها عليه جماعة مراراً ، ثم قام الشيخ بلال بن محمود الجزائري بجمعها مجدداً وطبعها مع مقدمة مفيدة ، وألحق بها بعض

---

(١) بل أقرأ الكتاب بعض من سمعه على الشيخ ، وأخبرني فضيلة الشيخ المشارك نظام اليعقوبي البحريني أنه عقد له مؤخراً مجلسين مختلفين لإقرائه في البحرين ، حضرهما فوق المائة، وقرأها عليَّ قريباً بعض الإخوة خارج المملكة .

مسلسلات شيخنا وسمى كتابه « النجم البادي » .

وفي جميع هذه اللقاءات كان شيخنا يجيز السامعين.

فضلا عن القراءات الخاصة في منزل الشيخ ، وقد ختم عليه الزملاء صحيح مسلم مؤخراً ، ثم ختمتُ مع بعض المشايخ عليه مسند أحمد بكماله ، وقرئ عليه مراراً في صحيح البخاري ، وفي السنن ، والموطأ ، وغيرها من كتب الحديث ، كل ذلك قراءة متأنية.

وأما كتب الفقه فلا يحُصى من قرأ على الشيخ في منزله بالرياض وفي مكة وغيرهما ، كيف والشيخ قد جاوز الثمانين سنة في حقل التدريس ؛ من سنة ١٣٤٨؟ كما يسّر الله بهمّة أخينا الشيخ الدكتور عبد المحسن العسكر – وفقه الله– أن عقد لشيخنا مجالس عامة في شرح كتاب التسهيل للبعلي ، يسّر الله الإتمام ، وكذلك يرتّب له إخواننا في الكويت مجالس فقهية عامة قريباً ، يسّرها الله تعالى ، وقام الشيخ وليد المنيس بتقييد تعليقات شيخنا على دليل الطالب ، وهو معد للطبع .

* * *

ثم كان من الوفاء لهذا الشيخ الجليل المعطاء ما قام به مجيزنا فضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري حفظه الله تعالى : من حفل

تكريم أقامه لشيخنا ليلة الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٨ ، حضره عدد من الشخصيات العلمية والفكرية البارزة ، وكانت ندوة مباركة عن الشيخ وحياته ومآثره ، وأصدرت «مجلة الدرعية» بمناسبته نشرة خاصة لطيفة عن ترجمة الشيخ ، من إعداد مدير تحريرها: أ.د. عبد اللطيف بن محمد الحميد ، كما تكلمت بعض وسائل الإعلام عن اللقاء، فجزى الله الشيخ أبا عبد الرحمن ومن معه خيراً على هذا الاحتفاء والتكريم.

وفي أثناء كلمته في الحفل طلب الشيخ أبو عبد الرحمن من شيخنا أن يدوّن ذكرياته ؛ لما لها من أهمية تاريخية وعلمية كبيرة ، وأبدى استعداده لتقديم أي مساعدة يستطيعها لتحقيق ذلك.

فكان من ثمرات هذا اللقاء أن علم بإعداد أصل هذا المجموع - الذي فيه تحقيق جزئي لمطلبه - ورغب بطباعته ، فجزاه الله خيراً ، وأجزل مثوبته.

وأرجو بدوري أن يكون في خدمة هذا المجموع وإخراجه بعض الوفاء ورد الجميل ، مع الاعتراف بأنه جهد قليل وشيء ضئيل في حق شيخ جليل.

* * *

وفي الختام أسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد : أن يبارك في حياة شيخنا ، وفي علمه وعمله وإفادته ، وأن يمد في عمره على الخير والعافية ، وأن يعلي درجته في الدارين ، ويبارك في ذريته وتلامذته وآثاره ، وأن يجزيه عنا خير الجزاء ، ويضاعف حسانه ، ويبدّل سيئاته ، ويحفظه من كل سوء ، إنه بالإجابة جدير.

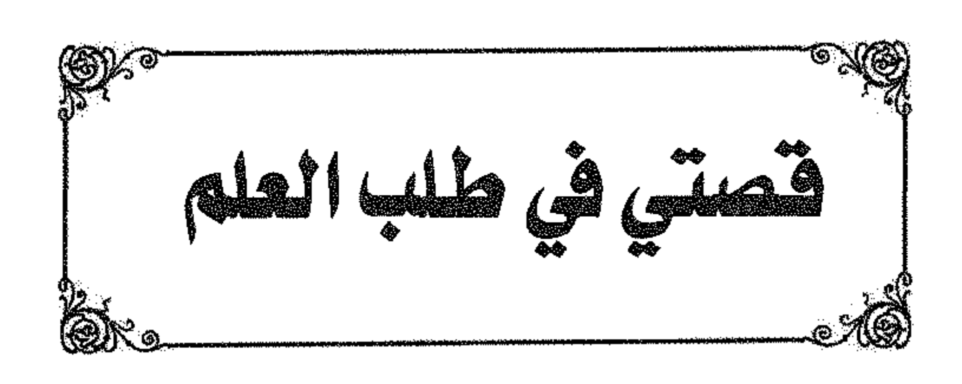
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أبو عمر

محمد زياد بن عمر التُكْلَة

الرياض في ١٣ رمضان ١٤٢٨

مع إضافات يسيرة بعدها



قصتي في طلب العلم



مقدمة فضيلة الشيخ
عبدالعزيز بن محمد السدحان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

علم التراجم علم مستقل بذاته ، والمكتبة الإسلامية شاهدة بعشرات ، بل بمئات ، إن لم تكن بألوف التراجم في أنواع مختلفة.

فهناك فنٌّ للتراجم يتعلق بزمان معين ، ومن أمثلة ذلك: كتاب الدرر الكامنة لابن حجر في أعيان المائة الثامنة ، والبدر الطالع للشوكاني.

وتارة تكون التراجم متعلقة بمكان معين ، ومن شواهد ذلك: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، وتاريخ دُنَيْسر ، وتاريخ الموصل للأزدي ، وتاريخ إربل.

وتارة تكون التراجم متعلقة بمذهب معين ، كطبقات الحنابلة للقاضي ابن أبي يعلى ، وذيلها لابن رجب ، وطبقات الشافعية للسبكي ، وكذا شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، وكذا الطبقات السنية في تراجم الحنفية.

وتارة تكون التراجم في فن معين من العلم ، كطبقات الحفاظ للإمام الذهبي ، وكمعرفة القراء الكبار للإمام الذهبي ، وكطبقات المفسرين للإمام الداودي.

وتارة تكون التراجم مقصورة على إمام معين ، كمناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ومناقب الإمام الشافعي كتب فيها ابن كثير والبيهقي وابن أبي حاتم الرازي وابن حجر ، ومناقب الإمام أبي حنيفة لابن المكي ، ومناقب الإمام مالك للزواوي.

وتارة يكتب المؤلف ترجمة لنفسه ، يضمنها في كتابٍ في ضمن تراجم ، ككتاب رفع الإصر لابن حجر ، فقد ضمّن ترجمته في كتابه هذا ، أو كالسخاوي في الضوء اللامع.

وتارة تكون الترجمة مستقلة في كتاب معين ، كما فعل السيوطي ، وكما فعل تلميذه محمد بن طُولون.

ومن المعلوم في كتب أدب الطلب فضلُ الرحلة في لقي كبار المشايخ، حتى قال الخطيب رحمه الله: لا ينبغي للطالب أن يرحل عن بلده حتى يأخذ عن كبار مشايخها وعن أعلام علمائها أو عن رؤوس علمائها.

وقد كان المحدثون وطلبة العلم يرحلون الأيام الطويلة ، بل الشهور ، في سبيل تحصيل إسناد عال ، والإسناد العالي ما قلّت رجاله في

الوصول إلى النبي ﷺ.

وفي هذا اليوم نجتمع مع أحد كبار مشايخنا، وقد عرفه الجميع من خلال مقالاته الذهبية في مجلة الدعوة، سواء الفتاوى والمقالات، أو من خلال فتح صدره قبل بيته لاستقبال كل راغب، كل راغب! سواء كان من داخل الرياض أو من خارج المملكة: الشيخ العلامة الفقيه: عبد الله ابن عبد العزيز بن عقيل.

الشيخ عبد الله يكره المدح، وأعلم هذا منه كما ربانا عليه، وقد كتب أحد طلابه النجباء محمد زياد بن عمر التكلة كتابا في ترجمة الشيخ عبدالله، وفي ثبته: إجازاته ومروياته، وما قاله عنه مشايخه وأقرانه وطلابه، في ثبت سماه: «فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل»[1]، فشكر الله للكاتب جهده، وما هذا إلا برٌّ يسير من حق شيخ كبير.

والشيخ عبد الله كما يعلم الجميع من أكبر المشايخ عِلماً وقَدراً، وله والحمد لله سمعة عند مشايخنا، حدثونا عنه قبل أن نراه، فزاد حبُّنا بعد

(١) وأقترح أن يُبعث إليه ما يعرفه الآخرون عن الشيخ ابن عقيل مما لم يُنشر، ليضع ذلك في طبعات الكتاب القادمة إن شاء الله (السدحان).

أن رأيناه.

وسنتحدث في هذه الليلة عن ترجمة ذاتية علمية ، نسأله فيها عن بداية طلبه للعلم ، وبخاصة أن الله قد أفاء على الشيخ بالرحلة في نشر العلم ، تولى القضاء في غير مكان ، وأيضاً عُني به علماء أجلاء ، وبخاصة أن الشيخ العلامة الفقيه الأصولي المحدّث المفسر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي كان يُعنى بالشيخ عبد الله عناية خاصة ، وجرى بينهما مكاتبات ومراسلات[1] ، ويكفي أن تعلموا أن الشيخ قال عنه: كان يخصُّني ويحدثني بأمور لا أرويها ، لأن الشيخ كان يأتمنه. وهذا دليل أن للشيخ حظوة عند الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى.

ومن باب رد الجميل إلى أهله أقول: إن الشيخ عبد الله حفظه الله تعالى هو الشيخ الثاني للعبد الفقير ، وكان له عليّ فضل ، كنت أتردد عليه منذ ثلاثين أو تسع وعشرين سنة ، وأسأله وكنت لا أجد إلا صدراً رحباً ، ويشهد الله أني لا أنسى تربيته لي ، في العام ٩٧ و٩٨ و١٣٩٩ ، وله عليّ منّة لا أجزيه إلا بالدعاء ، فقد كان السبب بعد الله في حظوتي عند الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله تعالى ، فقد شرّفني بالاجتماع به ،

---

(١) طُبعت هذه المراسلات بعنوان «الأجوبة النافعة» ، ثم ألقى شيخنا حفظه الله محاضرة عن حياة شيخه العلامة السعدي ، وطُبعت أيضاً.

وحظاني بدعوات طيبة ، واهتم بي شيخي الشيخ الإمام عبد الله بن حميد، والأجر للشيخ عبد الله بن عقيل أثابه الله تعالى ، وكتبه في ميزان حسناته.

* * *

۞ نبدأ بطرح الأسئلة على شيخنا ووالدنا وعلامتنا الشيخ عبد الله ، فنبدأ كما درج أهل التراجم في مصنفاتهم أن يتكرم الشيخ أثابه الله تعالى عن نبذة يسيرة مختصرة عن أسرته ، وعن تأثير أسرته عليه تأثيراً علمياً ، حتى يبدأ طرح الأسئلة المتتابعة والمستقبَلة من جهتنا ، فليتفضل الشيخ مشكوراً:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأحمد إليكم الله تعالى ، وأشكر لأخي الدكتور الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان ؛ جزاه الله خيراً على هذا اللقاء الذي أتاحه لنا ، لأجتمع بهذه الأوجه المباركة الطيبة في هذا المسجد المبارك ، لنتحدث بنعمة الله تبارك وتعالى؛ بعد أن صلينا هذه الصلاة الفريضة وما يتبعها ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها منا ومنكم ، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

والشيخ الدكتور عبد العزيز السدحان أعتبره تلميذاً وابناً بارًّا في آن

واحد ، عرفته منذ ثلاثين سنة ، شابٌّ جادٌّ في طلب العلم ، حريصٌ على الفائدة على صغر سنّه ، بحوثه جيدة ، وكثيراً ما ينبّهنا وقت الدرس على أشياء مهمة نغفل عنها أو نتجاوزها ، وكثيراً ما نرجع إلى كلامه وتنبيهه عليها.

فأقول تجاوباً مع الأخ الدكتور الشيخ عبد العزيز[1]:

أنا الفقير إلى الله : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل بن عبد الكريم آل عقيل ، وُلدت في « عُنَيْزة » عام ١٣٣٥ ، ونشأت في كنف والدي رحمه الله ، وهو من علماء عنيزة وأدبائها وشعرائها المشهورين ، له ترجمة مستقلة في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، و«روضة الناظرين» ، وغيرهما ، وقد أحسن تربيتي وتعليمي وتوجيهي ، فهو أول أساتذتي.

كذلك أخي الشيخ عقيل بن عبد العزيز رحمه الله كان قاضياً في منطقة «جازان» ، وكان يتعاهدني ويعلّمني.

فلما أني تجاوزت سن التمييز بدأت في طلب العلم وحفظ بعض

---

(١) فائدة: تكلم شيخنا عن ترجمته الذاتية في لقاء قناة المجد الفضائية ، ضمن برنامج «صفحات من حياتي» ، وكذا في لقاءات أخرى ، وفي ختام محاضرته: «الشيخ عبدالرحمن بن سعدي كما عرفته» ، وهي في المطبوعة (ص٥١-٥٨) ، وله ترجمة ذاتية موجزة مذكورة بنصها في «فتح الجليل» (ص١٤٦-١٤٩).

المتون ، فبدأت بحفظ شيء من القرآن وبمبادئ العلوم التي كان مشايخنا رحمهم الله يُلقنونها تلاميذهم ، مثل : « ثلاثة الأصول » ، و« كشف الشبهات» ، و«الآجرّومية» في النَّحْو ، وهي متن مبارك مختصر ، مدخلٌ إلى جميع كتب النَّحْو على كثرتها ، فهي من أنفع ما يكون لطالب العلم إذا حفظها وطبّقها ، كذلك في «الرَّحَبية» في الفرائض ، ومختصرات الفقه.

ثم دخلت مدرسة الأستاذ صالح بن صالح في البرغوش سنة ١٣٤٨ ، واستفدت منه علماً جمًّا وفوائد عظيمة ؛ من علوم وأخلاق وآداب وخط وحساب وغير ذلك ، جزاه الله عنا خيراً.

ثم إن الشيخ عبد القرعاوي - رحمه الله - فتح عندنا مدرسة بجوارنا في بلدنا «عنيزة» في جانبٍ من بيته المعروف بالفَرْعي - «الفَرْعي» حارةٌ من حارات «عنيزة» من أوسطها- وصار يعلِّم الناس مجّاناً ، مع أن المدراس الأخرى يأخذون أجراً على التلاميذ ، وهو فتح مدرسته مجاناً ، واهتم بالتلاميذ نصحاً وتوجيهاً وتعليماً ، فكلّفنا نحفظ القرآن والمتون الصغار: «تحُفة الأطفال» في التجويد ، و«الجَزَرية» ، و«الأربعين النَّوَوية» في الحديث ، وكذلك «آداب المشي إلى الصلاة» ، و«كتاب التَّوحيد» ، و«ثلاثة الأُصول» ، و«كَشْف الشُّبُهات» ، ونحوها ، وذلك في عام ١٣٤٨.

ثم بعد ذلك انتقلنا إلى مدرسة شيخنا العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله ، وكان شيخنا أُعطي فصاحة وبلاغة ونصحاً لطلابه ، فحفظنا عليه القرآن ، و«العُمْدة» في الحديث ، و«بُلوغ المَرام» ، و«زاد المُسْتَقْنِع» في الفقه ، وقرأنا عليه الأمهات الست ، و«كَشّاف القِناع» ، و«منتهى الإرادات» ، و«قواعد ابن رَجَب» ، كل هذه كان رحمه الله يدرّسها ويشرحها لطلابه ، و«العقيدة السَّفّارينية» حفظناها عن ظهر قلب ، ونقرأ عليه في «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» رحمه الله ، أخذنا على هذا أربع سنين تقريباً.

ثم جاءنا أمرٌ إلزاميٌّ من الملك عبد العزيز رحمه الله بالسفر إلى «جيزان» ، وذلك في شهر ذي القعدة ١٣٥٣ ، وذلك أن الملك عبدالعزيز أوعز إلى شيخنا عمر بن سِليم -رئيس مشايخ «القَصيم» في «بُرَيْدة»- بأن يختار عدداً من طلبة العلم لبعثهم إلى منطقة «جازان» ، منهم الدعاة والقضاة والمرشدون والخطباء والأئمة ، لأنه بعدما هدأت حركةُ الأدارسة في تلك الجهة وتدخل الإمام يحيى بن حميد الدين في تلك البلدان ، وصار هناك مناوشات، تجهز لها الملك فيصل من جهة الساحل، والملك سعود من جهة «أَبْها» ، وحصل عدة معارك ، وانتصر فيها السعوديون ، حتى وصلوا إلى «الحُدَيْدة» وما وراءها ، ثم استسلم

الإمام يحيى وطلب الصلح ، وأمر الملك عبد العزيز رحمه الله بعودة الجنود إلى مواقعها الأولى ، ولما هدأت الأحوال في تلك الجهات رأى الملك عبد العزيز أن من الواجب عليه بثّ الدعاة والمرشدين في تلك البلدان ، ليرشدوا الناس ويفقّهوهم في أمور دينهم وعقيدتهم ، فوقع الاختيار على بضعة عشر رجلاً من طلبة العلم ، منهم عمّنا الشيخ عبدالرحمن رحمه الله قاضي جيزان ، وأنا ومعنا عدد من الإخوان من أهل «بُرَيْدة» ، ومن أهل «البُكَيرية» ، ومن أهل «الرَّس» ، ومن أهل «المِذْنَب» ، كلهم من «القَصيم» ، ومجموعهم اثنا عشر رجلاً.

فسافرنا مع الشيخ عمر بن سِليم في السيارات للحج ، وكان الناس إذ ذاك يحجّون على الإبل ، وحججنا مع الملك عبد العزيز في سنة ١٣٥٣ ، وهي السنة التي حصل فيها الاعتداء على الملك عبد العزيز في المطاف من اثنين أو ثلاثة من اليمانيين؛ كانوا قد انزووا في الحِجْر ، فلما مرّ الملك عبد العزيز عدا عليه واحدٌ منهم بسكينة ، ويصوّت بأصوات منكرة، وكاد أن يوقع بهم ، لولا مدافعة الله تبارك وتعالى ، ثم الحرس تداركوا الأمر ، وأطلقوا النار على المعتدي حتى خرَّ صريعاً ، والثاني فرّ ، وأدركوه كذلك ، ثم إن الملك عبد العزيز قطع الطواف ودخل إلى غرفة قريبة من المَطاف: غرفة الأَغَوات ، حتى هدأ الرَّوع ، وسكنت الأحوال ،

ثم كمّل الطواف وعاد إلى منى يوم عيد الأضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٥٣.

الشاهد أنه في ذلك التاريخ انتدبونا إلى منطقة «جازان»، وتعينت مع عمي عبد الرحمن في «جيزان»، ومكثتُ هناك قريباً من ثلاث سنوات، ما بين دعوة وتعليم وإرشاد وخطابة وقراءة على عمِّنا؛ وسِنّي إذ ذاك ١٩ سنة تقريباً.

ثم استقلت ورجعت لعنيزة، واعتكفنا على دروس شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي نطلب العلم عليه، فلم نشعر مرة ثانية إلا وقد جاء أمرٌ جديد إلى أمير «عنيزة» عبد الله الخالد السليم من الملك عبد العزيز بأن أسافر إلى «الرياض» ثم إلى «جيزان»، حيث كلّفوني بقضاء «أبو عَريش»، حاولنا التخلص والعفو؛ أن يبقوننا نطلب العلم على مشايخنا، فلم يحصل ذلك، فلم يسعنا إلا امتثال الأمر.

ذهبنا إلى «أبو عَريش»، ومكثنا هناك في «أبو عَريش» و«فَرسان» نحو ست سنين، مع بُعد المسافة، وصعوبة المواصلات، ما تأتينا الكُتُب من أهلنا إلا بعد مدة، تمكث الشهر أو أكثر.

وفي مدة بقائي هناك صار بيني وبين شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله مكاتبات واسترشادات في بعض القضايا التي تَعرض لنا، وكنتُ أكتب له، ويجيبني رحمه الله الجواب الشافي الكافي، وتحصّل

عندي من ذلك مقدار قريب خمسين رسالة ، تشتمل على فتاوى ، وإرشادات ، ونصائح ، وتعليمات رحمه الله ، أبقيناها عندنا مخطوطة ، حتى قام بها بعض الإخوان أخيراً ، وطبعوها في مجلد لطيف ، اسمه: «الأجوبة النافعة على المسائل الواقعة» ، فيه من علوم الفقه والحديث والتفسير والتاريخ وغير ذلك الشيء المفيد.

وبقينا هناك إلى سنة ١٣٦٤ ، ثم بعد ذلك استعفينا ، ورجعت إلى «عنيزة» ، وبقيت في «عنيزة» مدة سنة تقريباً ، ولم أشعر إلا ويأتيني الطلب الثالث بتكليفي بقضاء «الخَرْج» ، فمكثت في «الخرج» مدة ، ثم أمر الملك عبد العزيز بنقلي إلى «الرياض» ، وبقيت في محكمة «الرياض» خمس سنين ، وفي عام ١٣٧٠ أمر الملك عبد العزيز بنقلي إلى قضاء «عنيزة» ، وحاولت الاعتذار من هذا الأمر فلم أستطع ، ولم أجد بدًّا من تنفيذ الأمر ، وسافرت إلى «عنيزة» ، وبقيت فيها حتى عام ١٣٧٥ .

وفي الأخير لما فُتحت دار الإفتاء وكُلِّف بها شيخنا المفتي محمد بن إبراهيم رحمه الله ، وكان يلتمس لها من الفقهاء من يساعدونه على الفتاوى وتصريف أمور الدار ، فطلب من الملك سعود رحمه الله – بعد وفاة الملك عبد العزيز – تعييني عضواً بدار الإفتاء ، فوافق له الملك سعود على ذلك ، وصار تعييننا عضواً في دار الإفتاء عام ١٣٧٥ ، وبقينا

في دار الإفتاء إلى جانب شيخنا محمد بن إبراهيم رحمه الله مقدار ١٥ سنة ، أسافر معه إلى الحج ، وإلى «الطائف» أيام الصيفية ، ومعه في «الرياض» ، وقرأنا عليه العدد الكثير من المراجع العلمية[(١)] ، واستفدنا من علومه وأخلاقه وآدابه وتربيته ما لا نجازيه عليه إلا بالدعاء الصالح ، اللهم اغفر له ، واجمعنا به في جنات النّعيم.

وكان رحمه الله في غاية ما يكون من النصح والإخلاص لله تبارك وتعالى ، ثم لولاة أمور المسلمين وعامتهم، مع العلم ، والدين ، والورع ، والتأني ، والعقل ، وجودة التفكير ، وحسن التصرف في الأمور ، ؛ إذا صعبت الأمور على القضاة أو عند التمييز ، أو ما بين القبائل ، أو أشكل على الحكومة شيء: وجهوها إليه؛ ويسر الله تبارك وتعالى ، وجعل الله فيه بركة ، يصرّف هذه الأمور بحكمة وتأنٍّ وحسن تدبير.

بقيت معه في دار الإفتاء إلى أن توفي رحمه الله في رمضان ١٣٨٩ .

وبعد وفاة شيخنا محمد بن إبراهيم أَمَر الملك فيصل بنقلي إلى هيئة التمييز ، ومنها إلى الهيئة القضائية العليا ، ثم بعد ذلك لما تشكّل مجلس

---

(١) سألتُ شيخنا بعد درس الروض المربع ليلة الاثنين ٥/ ١١/ ١٤٢٩ : هل كان شيخكم محمد بن إبراهيم يتوسّع في الشرح أم أن تعليقاته كانت مختصرة ؟ فأجاب : شيخنا ابن إبراهيم كان يشرح ويمثّل ويأتي بالدليل، والغالب أنه يتقيد بالمذهب ، وكذلك الشيخ العنقري، لا يخرجان عنه ، ويذكران القول الآخر ، إلا إذا كان الدليل قوياً وظاهراً ، بخلاف شيخنا ابن سعدي .

القضاء الأعلى برئاسة شيخنا محمد بن حركان تعيّنتُ عضواً فيه ، وفي الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى ، ثم بعد انتقال الشيخ الحركان إلى رابطة العالم الإسلامي وتعيّن شيخنا الشيخ عبد الله بن حميد في المجلس: رشّحني فضيلته لرئاسة الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى والنيابة عنه في رئاسة المجلس ، وبقيتُ فيها إلى نهاية عام ١٤٠٥ حين أحالوني إلى التقاعد لبلوغ السن النظامية ، ولله الحمد والشكر.

❁ حبذا يا شيخ أن تحدثونا عن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، من حيث سيرة الرجل ، وعبادة الرجل ، وأمور شخصية قد تخفى على من ترجم له ، وتنفع سامعها وقائلها[1].

شيخنا العلامة عبد الرحمن بن سعدي نعم الشيخ ، نعم المربي ، نعم المعلّم ، نعجز عن تعداد خصاله الحميدة وسيرته الرشيدة.

وُلد سنة ١٣٠٧ ، وعاش يتيماً ، مات أبوه وهو صغير ، وماتت أمه وهو كذلك ، وكفله أخوه حمد بن ناصر السعدي ، وأحسن تربيته هو وزوجته رحمهما الله ، فلما أن تجاوز سن التمييز بدأ بطلب العلم ، ومنحه الله تبارك وتعالى فهماً وعلماً ومعرفة ، وصار من أبرز طلاب العلم مع لِداته

---

(١) ألقى شيخنا محاضرة بعنوان: «الشيخ عبد الرحمن السعدي كما عرفته» ، وطُبعت بعناية الأخ الشيخ عبد الرحمن بن علي العسكر وفقه الله.

وانظر: فتح الجليل (ص٤٢-٤٩ و٦٥-٦٧ و٣١١-٣١٥ والفهرس).

وبني جنسه ، فهو يحصل في الأيام القليلة ما لم يحصله غيره في أكثر من ذلك ، فلما عَرَف زملاؤه وإخوانه تفوّقه اعتبروه شيخاً لهم ، وطلبوا منه أن يدرّسهم ، وكان إذ ذاك يَدرس ويُدرّس.

أخذ العلم عن مشايخ «عنيزة»: الشيخ صالح بن عثمان القاضي قاضي «عنيزة»[1]

---

(١) قلت: قيّدت عن شيخنا - أمدّ الله عمره على الخير والعافية- قبل درس مسند أحمد عصر السبت ١٩/ ٨/ ١٤٢٨ فوائد نفيسة عن الشيخ العلامة صالح القاضي ، فقال: «أدركت الشيخ صالح القاضي وكان شيخنا ابن سعدي بعد أذان العشاء يقرأ في تفسير ابن كثير على شيخه القاضي ، وأنا أسمع ، أصلي كل ليلة معه العشاء ، قبل أذان العشاء بعشر دقائق ، الشيخ ابن سعدي يجلس في الصف ، والشيخ صالح القاضي في المحراب ، قرأ عليه سنين طويلة ، أما قراءة كتب الحديث وحلقاته ما أدركتها ، كان توقف عن الإقراء مثل من توقف شيخنا محمد بن إبراهيم آخر حياته.

كما أدركت الشيخ صالح يصلي العصر ، ويُقرأ عليه حديث في المشكاة ويتكلم عليه ، وصلاة العشاء قراءة ابن سعدي عليه في التفسير ، ولكن قلّ ما يعلق ، بضع كلمات ، فحضرت عليه في المشكاة أيضاً ، وكان يحضر الناس في مجلس عظيم ، يأتي الناس من أطراف البلد والقرى ، يُقرأ عليه ويقرِّر.

وأول إدراكي على الشيخ صالح حول سنة ٤٥ ، أروح مع الوالد ، وصلاة العشاء كان يدفئني بمشلحه ، ما كان عندي مشلح.

ويذكرون أن امرأة جاءت للشيخ صالح القاضي وهو في القضاء ، وأرته وصية أمها ، فقال: اتركيني أتأملها. ووضعها في لفافة خضراء ، ثم مات ، وجاءت لهم تطالبهم بالوصية ، فقالوا: لم نجدها. فرأت الشيخ في الرؤيا يقول لها: وصيتك في لفافة خضراء ضمن إبريق مكسور العروة في المكان الفلاني. فجاءت وأخبرتهم ، فوجدوا كما قال!

والشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر قاضي «عنيزة» أيضاً، والشيخ محمد

ولما توفي سنة ١٣٥١ كان عمري ١٦ سنة ، ذهبت للمقبرة ، وكانوا يعزّون ولده الشيخ عثمان ، وهو طويل نحيل ، وكان يهز ، فجاء الهزّاعي وأمسكه كي لا يقع ، وهو يكرر: استجاب الله دعاءكم ، وغفر لنا وإياكم. كأنه أمام عينيّ.

وفي مرض موت الشيخ صالح كان يستقبل الناس ، ويبحث معهم ، وزاره الوالد أكثر من مرة ، وكنت أروح معه ، وكان رحمه الله أنيساً ، وهو في مرضه يداعب ويلاطف كل إنسان.

وكان الشيخ صالح مربوعاً بديناً ، ليس قصيراً ، ولكنه ضخم».

وقال لنا في درس آخر ليلة ٢٤/ ٨/ ١٤٢٧ : «الشيخ صالح تولى القضاء من سنة ٢٤ بعد ابن جاسر ، إلى أن توفي سنة ٥١ ، وتولى بعده شيخنا ابن مانع ، ومن طلابه سليمان العثيمين عم الشيخ ، ومن البسام كذا واحد ، ومن القواضى كذا واحد ، ويقولون إن ابنه عثمان كان يقرأ في التاريخ ويذهب عليه الوقت ، فكان يحبس مكتبته عنه حتى لا يضيع وقته. وكان الشيخ صالح صاحب فراسة ، وحسن أدب ، ولطافة ، وكان صلباً في القضاء وقوياً فيه ، ما يلين لأمرٍ ما ، ويقول لي الوالد: كان واحد -ترجم له البسام- قاضي ، يقال له العماني ، رجل طيب ، وطالب علم وصدوق وحبيب ، وهناك قضية في مزرعة في حدود بينهم ، وقال للشيخ صالح: أريد أن تظهر جهتنا تشوف بعينك هذه الحدود. فقال: ما يخالف. وواعده بعد الإشراق ، ووضع ذاك عزيمة كبيرة ، والتاجر موسّط القاضي العماني ، فلما صلى الضحى وطلع الشيخ إذا بأمة من الناس! فقال للشيخ: ما رأيك في القضية؟ قال: ما له حق فيها! ثم في الطريق قال: أنا سأذهب للعزيمة ونفسد الزرع والحق ليس معه! فانسل في الطريق ، ورجع».

وانظر: فتح الجليل: (٣٣ و ٣٤ والفهرس).

ابن مانع ، والشيخ محمد بن شِبْل ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، وغيرهم.

ليس له تعلق في الدنيا أبداً ؛ كل وقته بين إفتاء وتأليف وإمامة ونصح ، وصار له صدى كبير بين بني جنسه ، ليس في «عنيزة» فقط ، بل في جميع قرى «القصيم» ، بل وغير «القصيم» ، هو أول من ألّف التفسير من علماء نجد ، ما نعرف من علماء نجد المتأخرين من صنّف تفسيراً كاملاً في القرآن غيره - اللهم إلا الشيخ فيصل المبارك- وتفسيره من أحسن التفاسير وأنفعها وضوحاً وسلامةً وتحصيلاً ، وله مؤلفات أخرى تزيد على ثلاثين مؤلَّفاً.

وكان طريقته في التعليم غير طريقة من سبقه من المشايخ ، كان المشايخ الأول كل إنسان يريد أن يقرأ يأتي بكتاب يختاره إلى الشيخ؛ ويستأذنه ويأذن له قراءة فردية ، فلما كثر الطلاب على شيخنا قال لهم: الوقت ما يتسع كل إنسان يقرأ في كتاب وحده ، ولكن اجتمِعوا على كتاب واحد في درس واحد ، في التفسير أو في الحديث أو في الفقه أو في النحو ، فاتفقوا على هذا ، فاجتمع عليه من الطلاب كثرة ، تارة يكثرون: أربعين ، ثلاثين ، خمسين ، وتارة يقلّون ، ويذهب ناس ، ويتخرج ناس ، ويأتي ناس جدد.

فدرسنا عليه ، تعلّمنا منه الآداب والأخلاق والحِلْم على الطلاب ،

والنُّصْح ، واستيعاب المسائل ، وكان أيضا يناوب بين الطلاب في إعادة الدرس ، إذا انتهى من الدرس طلب من أحدهم يلخّص ما قاله الشيخ ، وبعضهم يورد عليه أسئلة ويجُيب عليها ، وربما أورد الشيخ عليهم أسئلة ليجيبوا عليها ، وربما يغلّط الشيخ نفسه ، إذا أراد أن يُعرب مثلاً رفع المنصوب ، ويُلقي باله عليهم ؛ ليعلم من يتفطّن لهذه الغلطة ممن هو سارح الذهن ، فالذي هو حاضر الذهن يستغرب هذا ، والذي هو غائب الذهن تفوت عليه ، وكذلك في إلقائه عليهم الأسئلة يعرف من قد حضّر للمسألة وأجاب عليها ، ومن يتلجلج في الجواب ولا يُعطي الجواب السليم.

وكان يُكلِّف بالحفظ ، شيخنا عبد الرحمن بن سعدي حلقته عشرين مثلاً ؛ يتحلقون على الأرض ، لا كراسي ولا فُرُش! الأرض مفروشة بالرمل ، الذي يريد يهتم يحفظ ويقرأ يصير على يمين الصف ، على يمين الإمام ، والذي عنده غفلة أو ما حفظ يصير يسار الحلقة ، فإذا جلس الشيخ ، وسلّم ، وابتسم في وجوه الحاضرين ، قال للأيمن: سَمِّ ، اقرأ. وقرأ الأيمن ثلاث آيات إن كان قرآن ، ثلاثة أحاديث إن كان حديث ، ثلاثة أسطر من متن الزاد مثلا ، ثم يقرأها الثاني أيضا نفسها ، ثم يقرأها الثالث ، فإذا تكررت على أسماعهم ثلاث مرات شَرَع يفسّرها ويوضحها ويُعطي عليها معاني ، ويحُيل على شيء إن كان سبق ، ربما في أثناء

الدرس سأل بعض الطلاب : ما معنى كذا ، ما إعراب كذا؟ ما تفهم من كذا؟ وربما إذا انتهى الدرس قال لأحد منهم: أعطنا خلاصة ما سمعت من الدرس هذا. وربما قام وقال: تعال يا فلان ، اجلس هنا وأعد عليهم الدرس. فحسب ما عندهم من الاستطاعة والاستيعاب ، منهم من يستوعب ، ومنهم من يزيد ، ومنهم ينقص ، يتذاكرون في هذا ، هذا فيه فائدة لطالب العلم.

وله مؤلفات كثيرة رحمه الله ، تتجاوز ثلاثين مؤلَّفاً ، منها: «الدين الصحيح يحل جميع المشاكل».

ومنها «القواعد والأصول» التي لخّصها من كتب شيخ الإسلام وابن القيم ، جمع فيها ألف قاعدة تقريباً ، ما بين قاعدة وضابط وغير ذلك ، وهو مطبوع متداول في المكتبات.

وكذلك أيضاً في الفقه: «السؤال والجواب» ، الذي هو الأسئلة والأجوبة الفقهية.

و«منهج السالكين وتوضيح الفقه المبين».

وممن أرَّخ له زميلنا الشيخ عبد الله البَسّام في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، فإنه فصّل سيرته ورحلته وطلابه ومؤلفاته رحمه الله ، وكذلك الشيخ محمد العثمان القاضي في كتابه «روضة الناظرين».

۞ ذكرتم في إحدى اللقاءات أنكم قرأتم عليه في مقامات الحريري، فكيف كان ذلك؟

كان رحمه الله يقرأ في كتب الأدب أحياناً، وخصوصاً مقامات الحريري، ولا سيما المقامة الخمسون؛ لما فيها من الوعظ والتذكير والتوبة، وفي أحد المجالس طلب منه الحاضرون أن يختم المجلس بشيء نافع، فأمرني أن أقرأ عليه تلك المقامة، فقرأتها، وانبسط منها هو والحاضرون، لما فيها من الوعظ وترقيق القلوب وذكر التوبة النصوص.

وكان ابنه عبد الله بعد أن انتقل إلى «الرياض» إذا اجتمعنا به في بعض المجالس يطلب مني أقرأها عليه وعلى الحاضرين، ويذكر من محبة أبيه لسماعها.

وبهذه المناسبة أذكر أن شيخنا حدثنا أنه كان مرة يقرأ في «ديوان المتنبي»، وكانت القصيدة تلك فيها هجاء لبعض الرؤساء، يقول: لما نام رأى في المنام كأنه ينبش قبراً، ويده تجول في عظامه. يقول: تقززت نفسي، وعزفتُ عن قراءة الأشعار التي فيها الهجاء.

۞ نرجو منكم ذكر قصة وفاة الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الرحمن السعدي استمر على هذا من حين بلغ ١٥ أو ١٦

سنة وهو في تفوق وزيادة معلومات ، حتى وصل به الحال إلى أنه صار في «عُنيزة».. هو ما تولى القضاء ، لكن هو المفتي ، وهو المرشد ، وهو الإمام ، وهو الواعظ ، ما في «عنيزة» إلا مسجد واحد[1] ، يحضرون من أطراف البلد ، يصلون معه الخطبتين ، وكانت الخطب في الأول إذ ذاك ، الخطيب يخطب بكتاب قد طُبع ، من دون إلمام بشيء من هذا ، يأخذ الخطبة ويقرأ من الكتاب بدون تفصيل للمسائل ، أما شيخنا عبد الرحمن بن سعدي لا ، صار هو الذي يصنف الخطبة ، يجمعها ، ويرى المواقع والمحلات التي تحتاج إلى زيادة إيضاح وتنبيه أو خلل ، أما الأوائل مطاوعة بسيطون ما عندهم زيادة إلمام في شيء ، حتى إن بعضهم لما أخذ الخطبة يريد أن يخطب من الكتاب في خطبة العيد ، مكتوب فيها: الله أكبر تِسْعاً نَسَقاً. قرأه هكذا : الله أكبر تسعاً نَسَقاً! ما فهم ما معنى نَسَقاً بأنه يأتي بها واحدةً بعد الثانية بعد الثالثة بعد الرابعة! أما شيخنا فكان يعالج المشاكل التي تقع في وقته من ناحية خطب الجامع.

وكان أيضا مُشغلاً وقته: في الصباح مرة أو مرتين ، وبعد الظهر ، وبعد العصر ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء.

---

(١) أي يصلى فيه الجمعة .

في آخر الوقت كأن أصابه شيء من النزيف، صار عنده شيء من النزيف، وتأثر، وأغمي عليه، وما خرج من المسجد إلا معضداً من هنا ومن هنا، فلما علمت الحكومة أرسلت له طائرة، وبُعث إلى «لُبْنان»، وعالجوه نسبياً، وصحَّ، ونصحوه أن لا يُمعن ويُكثر من التحديق في معاني القرآن والسنة، هذا هو الذي أصابك، وكذا.

أعطوه التعليمات أنه يخفف من المجالس هذه، ولكنه لم يمتثل، وقال: أنا راحتي في هذا. فبعد مدة عادت عليه النكسة مرة ثانية، وصار في غيبوبة أخرى أشد من الأولى، وحاولتْ الحكومة أيدها الله أنهم يستنقذون الموقف، وأرسلوا له طائرات، ولكن صار في أيام الشتاء وأيام الضباب والأمطار، ولم تتمكن الطائرة من الهبوط في مطار «عُنيزة»، لأمرٍ قضاه الله تبارك وتعالى، فتوفي رضي الله عنه في ذلك الوقت، سنة ١٣٧٦، ولم يبلغ سبعين سنة من العمر، رحمه الله، توفي في «عنيزة» ما سافر، فأصاب عنيزة ذهول، وأصابهم إزعاج، وتأثروا تأثراً عظيماً، وخرجوا كلهم معه في الجنازة، وأصابتهم مصيبة عظيمة، وعزوهم الناس من الداخل والخارج، رحمه الله.

❁ هلّا تحدثتم عن الشيخ المسند علي أبو وادي رحمه الله تعالى[1].

الشيخ علي أبو وادي شيخنا، وشيخ مشايخنا أيضاً، وُلد سنة ١٢٧٣ وتوفي سنة ١٣٦١، صار له عناية بالحديث، وسافر إلى «الهند»، وأخذ الأسانيد العالية عن شيخه الشيخ نذير حسين، شيخ مشايخ الهند على الإطلاق، كما أخذ عن الشيخ صديق حسن خان ملك «بهُوبال»، هذا الملك اتصلت به الملكة بيغم، ملكة بهوبال في الهند، وهي امرأة عالمة صالحة، ولها وزراء ورجال وقائمون بالعمل، فصار بينه وبينها اتفاق أن يتزوجها، وشرط عليها أنها ما تتولى المنصب بعد الزواج، فقالت: أنا أتنازل عنه لك. فصار هو يتولى مهمات الأمور.

والشيخ صديق حسن خان معروف، من كبار علماء الهند، وله المصنفات العديدة في فنون العلم، أهمها له تفسيره الكبير «فتح البيان»، الذي طبع مرات، ويقع في أكثر من عشرة مجلدات، وله مراسلات مع أئمة الدعوة وغيرهم.

القصد أن شيخنا علي أبو وادي بعد أن تحصل على الإجازات العلمية

---

(١) انظر: «فتح الجليل» (ص٤٩-٥٠ و٣٥٢-٣٥٦)، ومقدمة «النوافح المسكية» (ص٦).

في الحديث رجع من الهند ، وجلس للمشايخ والإخوان في «عنيزة» ، وأخذوا منه الإجازة بالأسانيد العالية ، منهم شيخنا عبد الرحمن السعدي، وذلك في عام ١٣٤٠.

أما أنا فلحقت بهم أخيراً نظراً لصغر سنّي ، وذلك في عام ١٣٥٧ ، عندما أشار علينا شيخنا عبد الله بن محمد المطرودي (١٣١٢-١٣٦١) - الذي يحفظ البخاري عن ظهر قلب سنداً ومتناً ، وهو من تلاميذ شيخنا أبو وادي- أشار علينا المطرودي بأخذ الإجازة من شيخنا أبو وادي بالحديث، واستأذنه لنا فأذن ، وجلسنا نقرأ عليه في الأمهات: البخاري، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ومسند الإمام أحمد ، ومشكاة المصابيح ، وبدأنا نقرأ عليه بأوائلها ، فأجازنا فيما قرأناه عليه ، وأجازنا في بقية الكتب إجازة ، بعدما ناولنا إياها ، وكانت حاضرة في المجلس ، وذلك في عدة أيام من شهرَي ربيع الأول والثاني عام ١٣٥٧ ، بعد سبع عشرة سنة من إجازته لشيخنا ابن سعدي وزملائه ، رحم الله الجميع.

۞ نرجو إفادتنا عن شيخكم القرعاوي؟[1]

شيخنا عبد الله القرعاوي طلب العلم على المشايخ في المملكة، ثم سافر إلى «الهند»، وتعلم من العلوم هناك خصوصاً علوم الحديث، ثم رجع وفتح مدرسة عندنا في «عنيزة»، واجتمع عنده عدد من الطلاب، وصار يعلّمهم مجّاناً دون مقابل، وقد كان المدرّسون قبله يأخذون على التدريس شيئاً رمزيًّا، وانتفع الطلاب به، حيث بدأ بهم يحفّظ شيئاً من القرآن، والعقيدة، والحديث: «الأربعين النووية» و«البيقونية»، والفرائض، وعلوم الحساب، وغير ذلك، ولكن لم تطل مدته، فأغلق المدرسة، وسافر إلى «الرياض» يقرأ على شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم، ولما رأى شيخنا محمد بن إبراهيم رغبته بالدعوة إلى الله أرشده إلى السفر إلى منطقة «جيزان»، وقال له: إن أهلها قد فشا فيهم الجهل، وهم متعطشون لمن يرشدهم ويعلّم أولادهم، وهم ناس قريبو التجاوب، ينقادون للداعية.

فسافر إلى «جيزان» في حدود سنة ١٣٥٩، وبدأ دعوته هناك، وجعل الله فيها خيراً، وانتشرت دعوته، وانقاد الناس له، وصار له تلاميذ من

---

(١) انظر فتح الجليل (ص٣٦-٣٩ و٣٣٧-٣٣٨ والفهرس).

أخصهم الشيخ حافظ بن أحمد الحَكَمي ، كان يرعى الغنم عند والده ، وحضر دروس القرعاوي ، فرغب فيه وتوسم فيه الخير ، وحرص عليه ، لكنه كان يغيب أحياناً ، فسأله عن غيابه؟ فقال: والدي يكلفني أرعى الغنم.

فاستدعى الشيخُ أباه ، وقال له: دع حافظاً يدرس عندنا يومياً. فقال: الغنم عندنا ما لها راعٍ ! فقال: أنا أستأجر لك بدله راعياً يرعى غنمك. فاستأجر له صبيًّا يرعى الغنم.

واستمر الشيخ حافظ حتى رزقه الله علماً ومعرفة ، وألّف المؤلفات ، ونفع الله به ، وصار هو العضد الأيمن للشيخ القرعاوي في التعليم والتوجيه والتدريس ، رحمهما الله ، ولكنه لم يعمّر ، توفي رحمه الله شابًّا سنة ١٣٧٧ وعمره إذ ذاك سبع وثلاثون سنة.

وقد انتشرت دعوة شيخنا الشيخ القرعاوي في جهات منطقة «جيزان»، وفتح المدارس العديدة ، وكثر فيها الطلاب ، وتخرج منهم كثير ، وأصبح تلاميذه وتلاميذهم منهم المشايخ ورؤساء الدوائر والقضاة والأئمة والدكاترة وغيرهم.

۞ من تتذكرون من أبرز زملائكم الذين كانوا معكم في أثناء الطلب.

زملاؤنا عند الشيخ القرعاوي في سنة ١٣٤٨ كثيرون ، منهم

عبدالرحمن بن حمد السعدي ابن عم الشيخ، موجود الآن في «الدَّمّام»، ومنهم سليمان الدخيّل، هذا خالُه الشيخ عبد الله القرعاوي، موجود الآن في «عُنيزة»، ومنهم محمد بن إسماعيل رحمه الله، ومنهم محمد بن حِنْطي، موجود الآن في «عنيزة»، وغيرهم ممن نسيت أسماءهم، كل هؤلاء من تلاميذ الشيخ القرعاوي؛ ثم صاروا من تلاميذ شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن سعدي أيضاً.

۞ نرجو التحدث عن الفترة التي قضيتموها في منطقة «جازان»، وهل تواصلتم مع أحد من علمائها أثناء مقامكم فيها، وما طريقتهم في التحصيل حال مقامكم في منطقة «جازان»[1].

أهالي «جازان» على العموم أناس طيبون، وقلوبهم طيبة، ينقادون للنصيحة، وعندهم تواضع ومحبة للحكومة ولطلبة العلم النَّجْديين وغيرهم، يلتفّون إليهم، ويجتمعون بهم، وفيهم طلبة علم، كان بعضهم يسافر لليمن لتلقي العلم في صنعاء.

كنا في «جازان» في أول الأمر مع شيخنا عبد الرحمن بن عقيل، هناك حلقات في المساجد، وبعض الأئمة وبعض الطلاب يحضرون معنا عند

(١) انظر: فتح الجليل (ص٦٠ و٧٥-٧٧ و١٨٥).

شيخنا عبد الرحمن العَقيل ، ونتذاكر معهم ، ونقرأ معهم في بعض كتب الشافعية ، لأنهم شافعية المذهب ، كتب الشافعية مثل «الإقناع» ، و«شرح المنهاج» ، و«سفينة النجاة» ، و«أبو شجاع» ، كل هذه من الكتب الصغار التي يقرؤها صغار الطلبة، وكذلك في كتب الحديث: البخاري ، ومسلم، والسنن، والحكومة - أيّدها الله - تجعل للأئمة والمؤذنين إذ ذاك رواتب متواضعة ، تشجعهم على حضور الدروس ، وعلى القيام بإمامة المسجد والأذان ونحو ذلك ، فحصل بذلك مجالس فيها خير وبركة.

۞ هل كانت معالم التوحيد موجودة في منطقة «جازان» قبل مجيء الشيخ القرعاوي.

لا ، كانوا أهل «جازان» قبل القرعاوي أناس فقراء ، ومشغولون في أمور فلاحتهم أو في أعمالهم ، ولا التفتوا إلى هذه ، ولا عندهم علماء عندهم اجتهاد في توجيههم ، يسمونه فقيه ، يقرأ بهم: يصلي بهم الصلوات ، حتى في رمضان يصلون التراويح يرددون السور القصار ، يقولون: (نلهاكم ، ولهَلِب).. (نلهاكم ، ولهلِب) يقرؤون في الركعة الأولى: ﴿ألهاكم﴾ ، والثانية ﴿قل هو الله أحد﴾ ، ثم التي بعدها بالعصر والإخلاص ، وهكذا حتى يختم! أهل جهل ، وعدم معرفة ، ولا جاءهم أحد يدعوهم ، ومشغولون بشؤون رزقهم ، هم فقراء فقراً مدقعاً ، كانت

حاجاتهم في غاية ما يكون من البساطة ، وكانت هناك الذبيحة تباع بريال، والإنسان إذا أراد أن يتقضى لبيته الريال هذا يجيب جميع مقاضي البيت ، بل الريال ربما عاد ببعض القروش ما كملها.

وهم أناس هادئون ، ويتقبلون النصيحة من طالب العلم ، ويوقرون العلماء ، فلما جاءهم شيخنا القرعاوي استجابوا لدعوته ، وانقادوا له ، والتفّوا حوله ، ونفع الله به ، فبثّ فيهم العلم ، وبدأ بهم من مسائل الأمور الصغار ، حتى نجح في مهمته ، وكان يعطي الطلاب ويعطي أهلهم ويعطي شيخ القرية ، حتى إنهم أَلِفُوه وأحبُّوه ، ونجح على يده جملة ، من أخصهم الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، فقد نفع الله به ، ولازمه ملازمة تامة ، حتى تخرج وتحصل على حظ وافر من العلم ، وألّف المؤلفات النافعة في العقيدة والحديث والفقه والآداب وغيرها.

وفتح شيخنا القرعاوي المدارس المتعددة من مساعدة الحكومة -أيدها الله- أيام الملك سعود بدعم من شيخنا محمد بن إبراهيم رحمهما الله ، وجعلت له الحكومة ميزانية ضخمة ، ومكنته من التصرف في الرواتب ، فساعده ذلك على التوسع في نشر العلم فيهم ، وشجعوا أولادهم على الالتحاق بمدارسه ، وحصل خير كثير بذلك ، مع النية الصالحة وحسن التدبير ، وأخذ الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

۞ لما كنتم في« جازان » هل بقي أحد من طلاب الشيخ عبدالله القرعاوي ، وهل تعرفون الشيخ أحمد النجمي ، وهل لكم مدارسة معه أيام كنتم في« أبو عريش».

أما الشيخ عبد الله القرعاوي نحن قرأنا عليه في «نجْد» في «عنيزة» قبل أن يبدأ دعوته ببضع سنين ، قرأنا عليه في سنة ١٣٤٨ وهو ما بدأ دعوته في «جازان» بعد ١٣٥٨ ، بعد عشر سنين تقريباً ، وأما تلاميذه فنعم ، نعرفهم ، منهم من مات ، ومنهم الحي. أما الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي فهو شيخ فاضل معمر ، من كبار تلاميذ شيخنا القرعاوي ، وتحصل على معلومات جمة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه ، وأصبح بعد وفاة شيخنا القرعاوي هو مرجع المشايخ وعمدة المفتين في منطقة جيزان وغيرها ، والناس يثنون عليه ويمدحونه ، وعمّره الله على زيادة أعمال صالحة نغبطه عليها ، نسأل الله لنا وله حسن الخاتمة [١] ، وتعرفت عليه منذ مدة ، وتدبجت معه ، فأجازني وأجزته ، وزارني في بيتي في الرياض مرتين في عام ١٤٢٤ و١٤٢٦ ، وأنشدني لنفسه بعض الأبيات.

وكذلك حافظ كنا نعرفه قبل وفاته ، وأخوه محمد ، وتلاميذ الشيخ باق منهم بقايا ، ولكن أكثرهم توفوا.

---

(١) توفي رحمه الله أثناء تجارب هذا الكتاب في ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩ ، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته .

❁ جدولكم اليومي في أثناء الطلب.

جدولنا في أثناء الطلب الغالب يقوم الإنسان من منامه قبل أذان الفجر بما سهل الله ، ثم الجدول كما يلي:

أولا: بعد صلاة الفجر نتحلق في مسجد المسوكف لدى شيخنا قاضي عنيزة الشيخ عبد الله بن محمد بن مانع رحمه الله ، نقرأ عليه درساً في الحديث أو في الفقه أو في العقيدة ، ثم بعد ما تطلع الشمس وترتفع ينتهي الدرس هذا ، والغالب الموجودون يصلون ركعتي الضحى ، وبعد ذلك ننطلق إلى مسجد الجامع لحضور دروس شيخنا السعدي ، لأن موعد جلسته مقررة بعد طلوع الشمس بساعة كاملة سواء في الصيف أو في الشتاء ، ما عدا يومي الثلاثاء[1] والجمعة ، فنقرأ عليه درساً ؛ بل دروساً في الحديث أو الفقه أو العقيدة أو النحو ، وبعد هذا الدرس ننصرف ونتهيأ للدروس المستقبلة ، ونهيّئ لها ، وقبل أذان الظهر بنصف ساعة تقريباً هناك القيلولة.

ثانياً: إذا أذن الظهر انطلقنا إلى مسجد القاع للصلاة والدرس لدى شيخنا سليمان العمري قاضي الأحساء ، ونقرأ عليه في شرح الطحاوية ،

---

(١) قال لنا شيخنا – استطراداً في أحد دروس المسند – : إن العلامة السعدي كان يخصص الثلاثاء لمشاويره وحاجاته الخاصة ، كي لا يضطر لقطع الدروس.

ثم ننطلق إلى دروس شيخنا السعدي في مسجد الجامع ، كل هذا قبل العصر.

ثالثاً: بعد صلاة العصر جلسة خفيفة لدى الشيخ السعدي أيضا في صحيح مسلم وغيره.

رابعاً: بعد صلاة المغرب لدى شيخنا السعدي في جلسة عامة في التفسير.

خامساً: بعد صلاة العشاء في غرفة المسجد ، حيث نجتمع نحن كبار الطلبة ، ونتذاكر دروس الغد ، ونشرب الشاهي ونتناول بعض الحاجات.

هذا غالب جدولنا ، إذا لم يكن لأحد منا شغل مهم أو حاجة لازمة له أو لأهله.

❁ اذكروا لنا نبذة عن أهم من قابلتهم من أهل العلم:

أحمد شاكر رحمه الله ، هل قابلتموه أم لا؟[1]

---

(١) انظر: فتح الجليل (ص١٢٤).

وحدثنا شيخنا - أمتع الله به- استطراداً في أحد دروس الروض المربع ، قال: «الشيخ أحمد شاكر رأيناه في بيتنا ، وعند محمد بن إبراهيم ، وأثنى على شيخنا ابن سعدي ، وقال: ردُّه على الصعيدي [يعني عبد الله القصيمي] أحسن الردود. وقلنا له عن شرح

أحمد محمد شاكر من علماء مصر، من أفاضل علماء مصر، نعم قابلناه لما كنت قاضياً في الرياض، سنة ١٣٦٧ أو ٦٨، جاءنا، وصار ضيفا للحكومة، واحتفى به شيخنا محمد بن إبراهيم، وأخذه الناس في الدائرة، وأنا من ضمن من أخذه، فزارنا في بيتنا، وتحدثنا معه، وجدناه رجلاً طويلاً، ولا هو بضخم، نحيف، ومتأني، وعنده تحقيقات، حقق كتباً عظيمة، حقق مسند الإمام أحمد رحمه الله، وصحيح ابن حبان، وكتب كثيرة، وتفسير ابن جرير، وغيرها من الكتب، واستفدنا منه في المجالس التي جلس عندنا تقريبا أسبوع أو عشرة أيام، احتفى به المشايخ، كل ليلة عند واحد، أو كل ظهر عند واحد، نحضر مع الدعوة، وكلٌّ منا يلقي عليه إما سؤال أو بحث، وهو تارة يبتدئ، وتارة يجاوب، واستفدنا منه، وعرفناه نعم الرجل، رحمه الله.

۞ والعلامة سعد بن حمد بن عتيق؟

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق قاضي الرياض رحمه الله هو شيخ

المسند، وسألتُه عن شرح البنّا، فقال: هو يؤول الصفات؛ ولا أوافقه. وكان شيخنا محمد بن إبراهيم يحبّه [يعني: أحمد شاكر]، ويعظّم شرحه للمسند، وكلّمه فيه».
قلت: كأنه يعني ليتفرغ له ويتمّه.

مشايخنا، كان في غاية ما يكون من العلم والعقل والتواضع والهيبة، له هيبة عند المشايخ وعند ولي الأمر، له قيمته، وكلمته لها قيمتها، ما أدركته، ولكن نسمع من مشايخنا - خصوصاً شيخنا محمد بن إبراهيم[١]- من الثناء عليه علماً وعقلاً وسلوكاً وورعاً ما يعجب منه السامع، وهو شيخ كبار مشايخ الرياض في وقته، وترجم له كثير من المؤرخين، منهم الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ عبد الله العبدالرحمن البسام، والشيخ محمد العثمان القاضي، والشيخ صالح بن عثيمين في تسهيل السابلة، رحم الله الجميع، وتوفي سنة ١٣٤٩ في الرياض.

❁ متى تعرفتم على سماحة الشيخ عبد الله بن حميد؟ وما مدى علاقتكم به؟[٢]

أما شيخنا العلامة عبد الله بن محمد بن حميد فإن أول معرفتي به حينما كان قاضياً في الرياض سنة ١٣٥٨، دخلتُ عليه في بيته - بيت

---

(١) وحدثني شيخنا - بارك الله في عمره وعلمه وعافيته - قال: «كان شيخنا محمد بن إبراهيم رحمه الله متشبعاً بعلوم الشيخ سعد، ويثني عليه، ويرى أنه الشيخ الوحيد، وأنه صاحب اتزان، وصاحب ثبات، وله الأجوبة والفتاوى».

(٢) انظر: فتح الجليل (ص١٣٧-١٣٨ و٢٩٠).

طين متواضع- في وسط حلة الرياض القديمة ، حارة الدحو ، وكان القضاة إذ ذاك يقضي القاضي في مسكنه ، فليس هناك محكمة مستقلة ، ولا ضبوط ولا سجلات ، رقيتُ إليه في مجلسه مع الدرج ، وجدته ينظر في قضية زوجية بين رجل وامرأته.

وقد وهبه الله رغبةً في العلم ، وحب التحصيل والاستزادة من العلوم والمعارف بشتى أنواعها وفنونها ، من الشرعية والعربية والأدبية ، أصولاً وفروعاً ، فتأهل وبرز بين الأقران ، مما جعل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يعيّنه مساعداً له في التدريس في المسجد الذي يدرّس فيه ، وهو المسجد المعروف باسم مسجد الشيخ في حي «دِخْنَة» من مدينة الرياض، وكان ذلك المسجد يمثّل جامعة إسلامية تموج بالطلاب من مختلف المناطق ، بل ومن خارج الجزيرة.

ثم نقل الشيخ ابن حميد إلى قضاء «المَجْمَعة» ، ومنها إلى «القَصيم» ، حيث تولى قضاء « بُريدة » ، والتدريس والخطابة والإفتاء ، وصار رئيس قضاة القصيم عموماً.

ثم جاورته في «عُنيزة» حينما عُيّنت قاضياً لها عام ١٣٧٠ ، وكنت أزوره ويزورني ، وأواصله بالكتابة ، وتأتيني منه الجوابات السديدة والنصائح المفيدة ، حتى عام ١٣٧٥ حينما نُقلت إلى دار الإفتاء بمعيّة

شيخنا العلامة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، وكنا مع الشيخ ابن حميد أيضاً حينما كان يفد إلى الرياض من بريدة إيام المراكيب ، ويمكث فيها الأيام ، نزوره وندعوه إلى منزلنا ، ونحضر جلساته ، ونستفيد منه.

وفي عام ١٣٨٤ تعيّن في الإشراف الديني على الحرمين الشريفين ، فانتقل من القصيم إلى مكة ، وأنشأ فيها معهد الحرم المكي وعدة مشاريع نافعة ، وتولى التدريس في الحرم والإفتاء وغير ذلك ، وأخيراً تعيّن رئيساً لمجلس القضاء الأعلى ، وكنتُ معه عضواً في مجلس القضاء الأعلى ، وتحت توجيهاته وإرشاداته ، ثم رئيساً للهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى، وكنتُ أنوب عنه في رئاسة المجلس في غيابه للعلاج في أمريكا، حتى توفي رحمه الله في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٤٠٢.

۞ أول لقاء بينكم وبين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى[١].

أول لقاء بيني وبين الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كان هو قاضياً في «الخَرْج» ، في «الدِّلَم» ، وكانت العاصمة إذ ذاك «الدِّلم» ، وكنت

---

(١) أفرد شيخنا رسالة وجيزة ماتعة عن ذكرياته وعلاقته بسماحة الشيخ ابن باز.

عُيِّنتُ قاضياً في «الخرج» أيضا أنا ، ولكن في «السَّيْح» -الآن الموجودة التي اسمها «الخرج»- بين «اليمامة» و«السّلميّة» و«السَّيْح» ، هذا في شرقي «الخَرْج» ، و«الدلم» في غربي الخرج ، فعينت في ذاك في «الخرج» ، والشيخ عبد العزيز بن باز شيخنا ورئيسنا في «الدلم» ، ما بيننا وبينه ارتباط في العمل ، بل بالعكس ، كنت لما تعينت في «الخرج» قاضيا في «السيح» فقط بدل الشيخ سالم الحناكي رحمه الله ، وكانت جميع قرى «الخرج» ترجع في قضائها إلى الشيخ عبد العزيز بن باز ، فلما تعينت في «السيح» وإذا المسافة بين «السيح والدلم» طويلة ، وهناك قرى بيننا وبينه ، أمر الملك عبد العزيز في كتابٍ وجهه إليّ على أني أتولى النظر زيادة على «السيح : اليمامة، والسلمية، والهياثم»، أن يكون قضاؤها تبعنا ، وتخفيفاً عن الشيخ عبد العزيز بن باز لأنه اشتكى له زيادة العمل ، ثم جاءني كتاب من الشيخ ابن باز لما بلّغه الملك ، قال: بلّغنا الملك بأن القرى هذه يكون قضاؤها تبعكم ، فاستعينوا بالله واصبروا ، وأدعو لكم ، ودعا لنا ، وقال: لا تُعِد عليّ أحداً منهم ، ترى إن جاءني أحد منهم سوف أرجعه عليك ، لأن ما عاد لي عليهم قضاء.

فكانت تلك السنة سنة ١٣٦٥ هي أول معرفتي بالشيخ عبد العزيز بن باز ، ثم هو استمر في «الخرج» ، وأنا نُقلت من «الخرج» إلى قضاء

«الرياض» ، واستمرت معرفتنا به ، تارة نزوره في «الخرج» ، وتارة يزورنا في «الرياض» ، وبيننا وبينه صداقة ومحبة وصحبة رحمه الله ، عندي منه مكاتيب ووصايا ونصائح وفتاوى محتفظٌ بها مخطوطة بختمه رحمه الله ، كان يكتبها الشيخ راشد بن خنين وصالح بن حسين العراقي كُتّابه في «الدلم».

۞ هل التقيتم بالشيخ الألباني؟ ومتى؟ وكيف كان لقاؤكم؟[(١)]

الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني من خيار علمائنا في الحديث والسنّة والرد على أهل البدع والصوفية وغيرهم ، التقيتُ به أكثر من مرة في دمشق ، أولها في عام ١٣٩٩ في المكتبة الظاهرية ، حيث كان له فيها مكان خاص ، يداوم فيها كل يوم غالباً ، ويشتغل بتحقيق المخطوطات ، وسألتُه عن مخطوطة رسالة للشيخ ابن رجب في وقوع طلاق الثلاث الذي خالف فيه رأي شيخه ابن القيم ، وشيخ شيخه؛ شيخ الإسلام ابن

---

(١) انظر: فتح الجليل (ص١٥٥-١٥٧)، ومقدمة شيخنا لكتاب السدحان عن الألباني.

ورأيت شيخنا لما أُهدي له كتاب الألباني «صفة الصلاة» - الأصل - سُرَّ به ، وقال: ما شاء الله! هذا أستفيد منه ، والألباني نعتقد أنه علامة ، عالم ، وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه، وكان أكثر ما سرّني منه مختصره للبخاري ، وهو أحسن من مختصر الزبيدي.ا.هـ. قيدته عنه في منزله بتاريخ ٣/ ٤/ ١٤٢٧.

تيمية رحمهم الله ، وبحثنا في جملة من المخطوطات ، ولم نجدها.

ومرة أخرى اجتمعنا به في دعوة وجهها إلينا الشيخ الكتبي محمد الخِيَمي ، حيث دعانا إلى الغداء في «دُمَّر» ، وحضر الشيخ الألباني وجماعة من الإخوان ، ومتعنا بأحاديثه.

ومرة دعانا الشيخ الألباني إلى بيته في دمشق بعد المغرب ، وطال بنا الجلوس حتى بعد العشاء ، ونحن في بحوث وفوائد ، ولما انتهينا صلينا العشاء في بيته جماعة ، وقدّم لنا طبقاً فيه فواكه ؛ جاءت به ابنته ووضعته أمامنا فوق الطاولة وذهبت ، وأهدانا كتابه مختصر صحيح البخاري الجزء الأول ، وأثنى عليه ، وقال: أعتبره من أحسن مؤلفاتي.

ومرةً أبدى لي الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حاجته إلى من يقرضه مائتي ألف ريال ، يريدها للشيخ الألباني قرضاً ؛ لمناسبة بيته السكني في دمشق ، حيث أن شركاءه سيبيعون نصيبهم منه ، ويخشى أن يأخذه من يضايقه ، وقال: هل تدلّنا على من يُقرضنا هذا المبلغ؟ فأشرتُ إلى الشيخ عمر المترك ، ورجل آخر ، فأقرضاه المبلغ ، ثم أُعيد المبلغ للمقرضين بعد مدة وجيزة ، رحم الله الجميع.

۞ متى تعرفتم على الشيخ فيصل المبارك؟ وكيف كان ذلك؟

الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك نعم الرجل رحمه الله ، أول ما تعرفت عليه في الرياض سنة ١٣٦٨ ، وكان قاضياً في «الجوف» ، ويفد إلى الملك عبد العزيز في الرياض سنوياً ، كما هو معروف: يفد كبار المشايخ ورؤساء القبائل وأعيان الناس إلى الملك عبد العزيز في الرياض سنوياً لتجديد العهد به ، ويعرضون عليه مشاكلهم ، ويوجهون إليه نصائحهم ، فيتقبّل منهم ، ويتجاوب معهم ، ويُكرم وفادتهم ، ويجُزل جوائزهم ، ويحصل بهذا اللقاء خير كثير ، وربما أن الملك عبد العزيز لا يكتفي بذلك ، بل يتجشم السفر إلى بلدانهم أحياناً ، ويتفقد أحوالهم ، ويطمئن على أخبارهم ، ويتعرّف على كثير منهم ، وهذه من حسناته التي يُشكر عليها رحمه الله.

الحاصل أن الشيخ فيصل قدم الرياض عام ١٣٦٨ من «الجوف» ، ونزل في بيت مجاور للمسجد الذي أنا إمامه «مسجد الشرقية» ، فتعرفنا عليه ، ووجدناه رجلاً فاضلاً متواضعاً ، عنده علم ودين ، وبسيط في أموره ، لا يتكلف في شيء ، وأكرمناه ، وعزمناه نحن وغيرنا من جماعة مسجدنا وغيرهم ، وكان يُلقي دروساً في تفسير القرآن ، فسألتُه عن

مراجعه في التفسير، فقال: أحسنها كتاب: «جامع البيان في تفسير القرآن» للصفوي الإيجي. وعرضه عليّ، فوجدته مجلداً واحداً كبيراً، جزآن في مجلد واحد مختصر مفيد، فعلق في ذهني، وطلبته من المكتبات، فلم أجده، لأنه مطبوع في الهند عام ١٢٩٥، وأخيراً طُبع في الهند طبعة جديدة، واشترت منه دار الإفتاء نسخاً وزّعتها على طلبة العلم، وجاءني منه نسخة انتفعتُ بها ولله الحمد.

ولما رجع الشيخ فيصل إلى الجوف صار بيني وبينه مكاتبات، وأهدى إليّ شيئا من كتبه.

توفي الشيخ فيصل قاضياً في الجوف سنة ١٣٧٦ وكانت ولادته سنة ١٣١٣، ولم يخلف إلا بنات، رحمه الله.

وكان عنده الشيخ عبدالله بن عبد الوهاب، رجل فاضل وطالب علم، أهل للقضاء، وتولاه بعده، رحمهما الله، وهو رجل فاضل نعرفه، صديق لنا.

۞ والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رحمه الله تعالى؟[١]

الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود زارنا في «الرياض»، وعزمناه مرة،

---

(١) انظر: فتح الجليل (ص١٢٧ والفهرس).

وجاءنا ، وزرناه في «قَطَر» أكثر من مرة ، وأيضا حضرنا عندما أُحضر بأمر من الحكومة لمناقشته في فتواه في جواز الرمي قبل الزوال ، واستنكروها إذ ذاك المشايخ والإخوان ، خصوصاً شيخنا محمد بن إبراهيم ، فأوعز إلى الملك سعود ، وطُلب من أمير «قطر» أنه يأمر ابن محمود أن يأتي ، جاء إلى «الرياض» ، واجتمعنا في مجلس الشيخ محمد بن إبراهيم ، عدة من المشايخ: الشيخ محمد بن إبراهيم ، وأخوه عبد اللطيف ، وعبدالرحمن بن إسحاق ، ومن قضاة المحكمة ، وأنا معهم ، وغيرنا ، ونوقش في مواضيع رمي الجمار ، وكيف أفتى أنه يجوز قبل الزوال ، وصار فيها أخذ وردّ ، بعد ذلك تنصل واعتذر ، وزعم بأنه سوف يرجع عن فتواه ، وراح ولا رجع.

وفتواه صار لها صدى عند الناس لمّا رأوا ما يقع عند رمي الجمار من التلف وهلاك الأنفس الكثيرة ، وقالوا: الشريعة ما تأتي بهذا ، والضرورات تبيح المحظورات ، فأباح من أباح منهم الرمي قبل الزوال ، وأباح أيضا جمهور العلماء على الرمي بعد المغرب إلى بعد العشاء إلى آخر الليل ، ولا يزالون كل سنة يحدث أشياء ، حتى اتجه القول الآن عند كثير من الناس بأنه يجوز الرمي قبل الزوال ، سواء في يوم النَّفْرة أو قبل ذلك ، حتى شيخنا عبد الرحمن بن سعدي ، لما أنه ابن محمود أظهر

كتابه ذاك الذي فيه تيسير الأنساك ، أنا أرسلته للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، وقلت له: هذه الرسالة ألفها ابن محمود ، نريد أن تعطيني رأيك فيها. فكتب إليّ جواباً ، موجود ضمن الأجوبة النافعة ، وقال: إن ما أدلى به ابن محمود ليس ساقطاً ما له معنى ، له معناه من القوة ، من جنس أدلة المانعين ، أو قد يكون أقوى..

وفي هذه السنة كتب الشيخ عبد الله بن منيع في مجلة الدعوة ، ونقل من الكتاب هذا ، نقل عبارة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، واتجه إلى التسهيل في هذا ، أنه لو مثلا أُفتي بجواز الرمي قبل الزوال ، أما في يوم النَّفْرة ، وفي الإنصاف رواية عن الإمام أحمد ، وقال به فلان وفلان من الأصحاب.

فهذه معرفتي بابن محمود ، وأنا زرته مرتين أو ثلاث في «قطر» ، وأكرمني جزاه الله خيراً ، واحتفى بنا واصطفانا وأرانا بيته وأعماله واستراحاته وكذا ، جزاه الله خيرا ، أكرمنا إكراماً زائداً ، اللهم اغفر له وارحمه ، وله أولاد صالحون الآن في «قطر» ما شاء الله.

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ؟[1]

الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب « أضواء البيان » فقد

(١) انظر: فتح الجليل (ص١١٨).

كان منزله بجوار بيتنا في «دِخْنة»، ونعزمه مع المشايخ في المناسبات، وحضرت مجالسه ودروسه في المسجد وغيره، وطلبت منه دروساً في المنطق، فقال: أنت لا تحتاج إلى دروس في المنطق، يكفيك جلستان أو ثلاثة أبيّن لك قواعده، ومستعد بذلك، لكن استأذن من الشيخ محمد بن إبراهيم، فإنه قد منعني من تدريس علم المنطق للطلاب، وأدباً مع سماحته أحتاج إلى إذنه.

ولكن بحكم ارتباطي مع سماحته في دار الإفتاء لم أتجرأ على الاستئذان منه خشية أن لا يأذن فتكون في النفس، فتوقفت لذلك.

والشيخ عبد الله العنقري؟[(١)]

من المشايخ الذين اجتمعت بهم فضيلة الشيخ عبد الله العنقري، فقد اجتمعت به في الرياض حينما يأتي مع المراكيب أيام المناخ، وزرته في بيته الذي أنزلته به الحكومة في سنة ١٣٦٧ أو ١٣٦٨، وبحثت معه في عدة مسائل فقهية.

ومرة أخرى دعاه الشيخ إبراهيم بن سليمان زميلنا في محكمة الرياض ليلةً بعد العشاء، وصادف أنه - أي الشيخ إبراهيم - عُزل من قضاء

---

(١) انظر: فتح الجليل (ص١١٩).

الرياض ذلك اليوم ، فقال الشيخ العنقري: إن أفعال الحكومة لا تُعَلَّل! قال ذلك تسليةً للشيخ إبراهيم ولنفسه ، لأنه قد عُزل من قضاء «المَجْمَعة» فجأة ، وتأثّر لذلك هو محبّوه.

هل اجتمعتم بالشيخ عبد القادر الأرناؤوط؟ ومتى اجتمعتم به؟ وما المناسبة؟ وكيف كان ذلك؟[١]

نعم اجتمعنا بفضيلته مرات ، واستفدنا منه علوماً وأخلاقاً ، جزاه الله خيراً ، فأول اجتماعنا به في عام ١٤١٨ ، حينما سافرت لدمشق ومعي بعض الأبناء ، فزرناه في بيته في حي «المَيْدان» ، وذلك ضحى ، وتحدثنا معه ، واستفدنا منه ، وقلت له: نحن في «نَجْد» نتلقى العقيدة السلفية من علماء الشام ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وتلميذ تلميذه الحافظ عبد الرحمن بن رجب رحمهم الله. فذكر لنا الشيخ عبد القادر عن قبريهما ، وعرض علينا أن يقف بنا عليهما ، فركبنا سيارتنا «الجيمس» وانطلقنا لمبنى جامعة دمشق حيث قبر شيخ الإسلام ، وتلطف الشيخ مع البوّاب حتى أذن لنا بالدخول ، ولسيارتنا بالوقوف في المكان المناسب ، ووقفنا على قبر شيخ الإسلام ابن تيمية ،

---

(١) انظر: فتح الجليل (ص١٥٧-١٥٨ و٢٣٢ والفهرس).

فسلّمنا عليه ودعونا له ولمرافقَيه ، وهو مقبور في مقبرة الصوفية المعروفة، ولكنها أُدخلت أخيراً في مباني الجامعة ، ولم يبق منها إلا زاوية صغيرة فيها قبر شيخ الإسلام ، مكتوب عليه اسمه ، وتحته قبر أخيه شرف الدين عبد الرحمن ، وتلميذه ابن كثير رحمهم الله.

ثم انطلقنا إلى قبر ابن القيم رحمه الله في مقبرة باب الصغير ، فدخلنا ، ووجدناه على يسار الداخل من الباب ، مكتوب عليه اسمه ، فسلّمنا عليه، ودعونا له ، ثم انصرفنا.

ثم اجتمعنا بفضيلة الشيخ في دعوة من الشيخ سليمان الحَرَش ، دعانا في مزرعة بـ«صَحْنايا» ، وحضر الشيخ عبد القادر ضمن المدعوين ، وتمتعنا بأحاديثه.

وبعد ذلك بمدة زارنا الشيخ عبد القادر في الرياض ، وجعلنا له دعوة كبيرة ، حضرها جمع من الإخوان ، ولما دخل علينا واستقر به المجلس قال: نحب نتعرف على الإخوان ، كل باسمه ، أولاً: أنا عبد القادر الأرناؤوط. وعرّف بنفسه ، ثم الذي على يمينه ، والذي بعده ، حتى تكاملوا ، ثم حدّثنا بحديث صلاة عمار بن ياسر الذي رواه أبيّ رضي الله عنهما ، حينما صلّى بهم فخفّف الصلاة ، فسألوه عن ذلك ، فقال: لقدْ دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ . فلما قام تبعه رجلٌ

من القوم – هو أُبيّ – غير أنه كنّى عن نفسه ، فسأله عن الدعاء ، ثم جاء فأخبر به القوم: «اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرّة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضاء بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين».

وتوفي رحمه الله في عام ١٤٢٥.

۞ بحكم معرفتكم بكتب المذهب فما الذي تنصحون به المبتدئ بطلب العلم من كتب الحنابلة رحمهم الله.

أولاً نقول : إن الإمام أحمد رحمه الله لم يؤلف كتاباً في الفقه ، مثل ما ألّف الأئمة الثلاثة أبوحنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله ، أما هو فلم يؤلف كتابا في الفقه ، وكان ينهى عن التقليد ، وقال: «لا تقلّدوني ولا تقلدوا مالكاً ، ولا تقلدوا فلاناً ولا فلاناً ، خذوا من حيث أخذنا». لكنه

ألّف في الحديث، وفي التفسير، يقال إن تأليفه في التفسير بلغ مليون حديث، كما قال بعضهم:

حوى ألفَ ألفٍ من أحاديث أُسنِدت . . . .

وألّف في الرجال، وألّف في العقيدة وغيرها، لكن له أصحاب كثيرون، ذكرهم أصحاب طبقات الحنابلة، كابن أبي يعلى وغيره، فأصحابه يسألونه ويستمعون أجوبته لهم ولغيره ويدونوها، فلما توفي الإمام أحمد قام الخلال من أكبر أصحابهم، وتتبع الأصحاب وأخذ ما عندهم من فتاويه، منهم من عنده عشر مسائل، ومنهم من عنده أكثر، ومنهم من عنده أقل، حتى الذي عنده مسألة واحدة، فكان الخلال يتتبعهم، وربما سافر يطلب ما عندهم، حتى تحصل له عدد كثير، جُمعت في جامع الخلال، ولكنه مع الأسف فُقد، ولم يُعثر عليه كاملاً، إنما وجدوا أجزاء منه، وقد طُبعت بعض مسائل الإمام أحمد، ومنها مسائل الإمام أحمد لابنه عبدالله، ومسائل الإمام أحمد لابنه صالح، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود، ومسائل الإمام لابن هانئ، إلى آخره، فجمعها.

ثم قام الإمام أبوالقاسم الخِرَقي، وألّف كتابه «مختصر الخرقي»، جمع تلك المسائل ورتبها على أبواب الفقه، وصارت كتاباً مستقلاً، ففرح به الأصحاب، واعتنوا به، وخدموه، وشرحوه بعدة شروح

وتعليقات وحواشي ونظم وغير ذلك ، فمن شروحه «المُغْني» لابن قدامة ١٥ مجلد ، وبعضها ١٢ مجلد ، ومنها «شرح الزَّرْكَشي» ، الذي حققه الشيخ عبد الله بن جِبْرين ، وله شروح أخرى ، حتى قيل إنها تقارب ثلاثمائة كتاب ، ما بين اختصار ، وشرح ، وتعليق ، وحاشية ، ونظم ، وغير ذلك ، ذكرها الشيخ عبد الله بن جبرين في مقدمة تعليقه على الزركشي.

وصار الأصحاب يؤلفون على ترتيبه ، حتى جاء الموفَّق أبو محمد عبدالله بن محمد بن قدامة بعد ثلاثمائة سنة تقريباً ، فألّف كتاب «المقنع»، وزاده مسائل ، وجعله على روايتين ووجهين ، وخالف ترتيب الخرقي في بعض الأبواب ، فلما رأى الأصحاب المقنع : عدلوا عن ترتيب الخرقي ، وصاروا إلى ترتيب المقنع ، وخدموه بالشروح والحواشي والتعليق ، من شروحه «الإنصاف» للمرداوي ، و«نظم ابن عبد القوي» ، نظم على قافية الدال ، ومن شروحه «المُبْدِع» ، حتى قيل إن له ما يقارب ثلاثين شرحاً أو تعليقاً أو نظماً أو مختصراً.

ثم بعد ذلك بمدة تقارب ثلاثمائة عام قام الشيخ موسى الحَجّاوي فاختصر المقنع في كتاب سماه «زاد المستقنع» على قول واحد ، قال فيه: أما بعد ، فهذا كتاب مختصر في الفقه من مقنع الإمام الموفق أبي محمد على قول واحد وهو الراجح في مذهب أحمد. فلما ظهر هذا المختصر

في مجلد لطيف عكف عليه الناس بالحفظ والدرس والتدريس، إلا أنه كما قال بعضهم: بالغ في الإيجاز حتى عُدَّ كأنه من الألغاز، عكس ما مشى عليه صاحب «دليل الطالب» الشيخ مَرْعي بن يوسف المقدسي، الذي قال فيه: بالغتُ في إيضاحه رجاء الغفران، وبيّنت فيه الأحكام أحسن بيان. وصار هذان الكتابان: «زاد المستقنع»، و«دليل الطالب»، كفَرَسَيْ رهان، من الناس من يفضّل هذا، ومنهم من يفضّل هذا، فدليل الطالب أوضح عبارات، وأوضح تقاسيم وأنواع، وكان أوائلنا يُبدِّؤون الطلاب أولاً في «دليل الطالب» لأنه أوضح وأسهل عبارات، ولكن «زاد المسنقنع» أكثر مسائل، وقد شرحه الشيخ منصور البهوتي رحمه الله بشرح مختصر مفيد، سماه «الروض المرُبِع»، حل عباراته وأوضح إشاراته، وقيّد بعض مطلقاته، وقرّبه لطلاب العلم، ثم وُضعت عليه عدة حواشي، بعضها مخطوط، وبعضها مطبوع، وأول ما طُبع منها فيما علمت حاشية للشيخ عبد الله أبا بطين في مجلدين، ثم حاشية الشيخ عبدالله العنقري في ثلاثة مجلدات، ثم حواشي الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في سبعة مجلدات، وهي أجودها وأوسعها وأنفعها.

أما مختصرات متون الحنابلة فكثيرة، منها:

- العُمدة للموفق بن قُدامة.

- والتسهيل للبَعْلي.
- وزاد المستقنع مختصر المقنع لموسى الحَجّاوي.
- ودليل الطالب لمَرْعي بن يوسف المقدسي.
- وأخصر المختصرات للبَلْباني.
- وآداب المشي إلى الصلاة لمحمد بن عبد الوهاب.
- وعمدة الطالب لمنصور البهوتي.
- وكافي المبتدي لابن بَلْبان.
- وما لا بد منه، للشيخ أبي بكر خوقير.
- وتحفة الراكع والساجد للجراعي.
- وبداية العابد وكفاية الزاهد لعبد الرحمن البَعْلي.
- وتوضيح الفقه المبين، لعبد الرحمن السعدي.
- والعمدة في الفقه، لأحمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

۞ أحسن الله إليكم: ما بين مرحلة الطلب إلى مرحلة المشيخة، كيف ترون اليوم طلبة العلم، وحبذا لو ذكرتم بعض الفروق إن وُجدت بين جيلكم في أثناء الطلب وبين طلبة العلم اليوم.

الفرق واضح، كنا في أول طلب العلم ليس هناك مدارس الابتدائية

ولا الثانوية ، فضلاً عن الجامعة والماجستير والدكتوراة ، نتردد على حلقات المشايخ في المساجد ، ونطلب منهم الجلوس لنا ، فمنهم من يوافق ، ومنهم من يعتذر ، ولا كتب دراسية ، ولا مكافآت تشجيعية ، فضلا عن الرواتب الشهرية ، نستعير الكتب من بعض الناس ، فمنهم من يسمح ، ومنهم من يعتذر ، وكل طالب يعتمد على نفسه في حفظ القرآن وبعض المتون المختصرة ، مثل ثلاثة الأصول ، والآجرّومية ، والرحبية ، في نطاق ضعيف ، والناس عندهم فقر وفاقة وحاجة ، الغلام إذا بلغ مثلاً عشر سنين يحتاجه أهله ليخدمهم في أمورهم ويحصّل لهم شيئاً ، ما يفرّغون أولادهم لطلب العلم وينفقون عليهم.

أما الآن فالحكومة أيدها الله هيّأت لطلاب العلم وسائل الراحة من كل جانب ، وبنت المدارس والمعاهد والكليات ، ورتبت للطلاب الرواتب المغرية ، وجلبت لهم العلماء من الخارج لتعلمهم العلوم النافعة من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وعلوم الآلة والنحو والبلاغة وغيرها ، ورتبت لهم الرواتب المغرية ، ونظمت لهم فصول التعليم والاختبارات والشهادات الرسمية والتشجيعات الأدبية ، فما بقي لأحد عذر من هذه النواحي ، فجزى الله القائمين على هذا أحسن الجزاء.

❁ أحسن الله إليكم: في الكتاب الذي أُلِّف عنكم ذُكر أنه صُلِّيَ عليكم صلاة الغائب، ما أصل هذا الخبر؟(١)

هذا يُؤتى به للتندر! كنت خرجت مع الهيئة التي تحدد الحدود بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن في منطقة «جازان»، نحن في منطقة «جازان»، وهؤلاء في منطقة «مَيْدي وحَرَض» وما حولها من بلاد اليمن، فاتفق الطرفان على أن تخرج هيئة تحدد الحدود، فانتُدب لذلك عمنا الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضي جازان، وأمير جيزان عبد الله بن عُقيِّل بالتصغير، ومدير مالية جازان عبد الله قاضي، وخرجتُ معهم، وكانت الأمور تلك الأيام تعب ومشقة وكلفة، وهناك مرض الملاريا، أصابتني الملاريا ونحن في قرية يقال لها «الخَوْبة»، بلاد الحرث، مكثت الهيئة مدة طويلة في مناقشة بين لجنة الحدود اليمنية ولجنة الحدود السعودية، وأنا مرضتُ مرضا شديداً، وكان معنا في المعسكر واحد من الخوبا يُقال له ابن عَقيل، مَرِض كذلك مرضاً شديداً وتوفي رحمه الله، فشاع الخبر أنْ ابن عقيل توفي، فظنوا أني أنا الميت! وكان ذلك يوم جمعة، فقام الخطيب بعدما صلى الجمعة، وقال: صلوا على أخيكم

---

(١) انظر: فتح الجليل (هامش ص٦١-٦٢ و٢٨٢).

الشيخ عبد الله بن عقيل الذي توفي مع الهيئة. وصلّوا عليّ صلاة الجنازة للغائب.

بعد ذلك تبين الواقع؛ فصاروا يتندّرون عليّ ويقولون: خلاص أنت إذا متّ ما نصلي عليك، قد صُلّيَ عليك أول مرة! هذه هي القصة.

۞ شيخنا المبجل: تكرموا بإسداء نصح أو نصيحة وتوجيه إلى طلابكم الحاضرين معكم والسامعين لكم.

أما الوصية فوصية الله للأولين والآخرين بتقوى الله تبارك وتعالى، فعلى كل واحد منا أن يتقي الله في ما يعامل به نفسه، وفي ما يعامل به ربه، وفي ما يعامل به أولاده وأهل بيته وجيرانه وإخوانه من المسلمين، فقد جمع النبي ﷺ هذه الثلاث لمعاذ حيث قال: «**يا معاذ، اتق الله حيثما كنت، وأَتْبِع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالِقِ الناس بخُلُق حسن**». ثلاث وصايا، الأولى في سياسة الإنسان بينه وبين ربه، الثانية في سياسته لنفسه، الثالثة لسياسته مع الناس.

كما أوصي أبنائي الطلاب بحفظ الوقت، فإن الوقت كالسيف، إن قطعته وإلا قطعك، وهذه الكلمة تُروى عن الإمام الشافعي، كما جاء كلمة عنه جامعة أخرى: «النفس إن أشغلتَها بالحق وإلا أشغلتْكَ بالباطل».

وقال بعضهم:

الوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه   وأراه أسهلُ ما عليك يَضيعُ

حفظ الوقت من أهم ما يكون ، لئلا يضيع في الاسترسال مع المباحات ، بل ربما جرَّ إلى ما هو أسوأ من ذلك ، فليحذر الإنسان من تضييع الأوقات في الأماني الفاضية وأحلام اليقظة.

وأهم شيء المحافظة على الصلوات الخمس التي فرضها الله تبارك وتعالى ، ورتّبها على ساعات الليل والنهار ، قالوا: إن شجرة الإيمان تحتاج إلى من يتعاهدها بالسقي مثل ما يسقي الشجرة الحسية: يسقيها الصباح ، ويسقيها الظهر ، ويسقيها العصر ، ويسقيها المغرب ، ويسقيها العشاء ، فيصلي الظهر وقت الزوال الذي قال فيه النبي ﷺ : «**هذا وقتٌ تُفتح فيه أبواب السماء**» ، يتطهر الإنسان ، ويصلي الراتبة القبلية ، ثم يصلي الفريضة ، ثم يصلي الراتبة البعدية ، ثم يذهب إلى عمله الذي يسره الله ، وكذلك العصر ، والمغرب كذلك ، والعشاء كذلك ، ولما كان ما بين العشاء والفجر وقت طويل مظنة الغفلة ، نُهي الإنسان عن الحديث بعدها إلا لطلب علم ، أو حديث مع الأهل ، أو ما فيه نفع وفائدة ، ولما كان ما بين الفجر والظهر وقت طويل أيضاً شُرع له صلاة الضحى ، حتى يصير على علاقة مع ربه باستمرار ، فإذا الإنسان واظب على هذه الفرائض

والنوافل فيُرجى له أن يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

وأما طلب العلم: فعلى طالب العلم أن يبدأ بالأهم قبل المهم ، فيأخذ أحد المختصرات ويحفظه عن ظهر قلب ، ويقرأ به على شيخه حتى يتقنه، ولا ينتقل منه حتى يكمله ، ثم يشرع في كتاب آخر ، وهكذا.

ولا يحصّل العلم متكبر ولا ملول ، ولا مستح ولا كسول.

۞ يقول إن أمه مريضة ، يطلب من الشيخ عبد الله أن يدعو لها بالشفاء والعافية.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يشفيها ، اللهم اشفها وعافها ، اللهم اكتب لها الشفاء والعافية.

وأختم كلمتي بالدعاء الصالح: اللهم صل وسلم على محمد ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمّر أعداء الدين ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم اغفر لنا ولوالِدِينا ولوالدي والدينا ، ولكل من له حق علينا ، اللهم أصلح نيّاتنا وذرّيّاتنا وأزواجنا ، وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت ، اللهم ولّ علينا خيارنا ، واكفنا شرّ شرارنا ، وأصلح ووفّق ولاة أمورنا ، ووفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه ، اللهم وفقه وولي عهده ، وإخوانه ، وأعوانه ، واجعلهم دعاة للحق ، وأيّد بهم الدِّين يا رب

العـــالمين ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صل على محمد.

۞ جزاكم الله خيراً يا شيخنا ، أثابكم الله ، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله.

* * *



سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
كما عرفته



بسم الله الرحمن الرحيم

طلب مني فضيلة الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة كلمة عما أعرفه عن شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، فأجبتُه بما يلي:

شيخنا العالم العلامة عبد العزيز بن باز لا يحتاج إلى تعريف، بل هو يُسأل عن الناس، ولا يُسأل الناس عنه، ولكن تجاوباً مع الشيخ السائل أقول حسب معرفتي به:

هو أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز.

وُلد رحمه الله في الرياض أواخر سنة ١٣٣٠، ولما بلغ سن التمييز دخل الكتّاب وتعلم مبادئ الدروس، وبدأ بحفظ القرآن، كان بصيراً في أول الدراسة، ثم أصابه مرض في عينيه عام ١٣٤٦، فضعف بصره بالتدريج حتى ذهب بصره بالكليّة عام ١٣٥٠، ولكن عوّضه الله بنور البصيرة، كما يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول بعد ما عمي بصره في آخر عمره:

إن يأخذ اللهُ من عينيَّ نورَهما — فإن قلبي مضيءٌ ما به ضررُ

أرى بقلبيَ دنيايَ وآخرتي — والقلبُ يُدركُ ما لا يُدركُ البصرُ

تلقى العلم على كبار العلماء في بلده ، ومنهم: الشيخ حمد بن فارس ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، وشيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وهو عمدته.

وبَرَع وعُرف بالفضل والعلم والتقى مبكراً.

أول ما لقيتُه في شعبان سنة ١٣٦٤ في الرياض ، حين مررتُ بها راجعاً من جيزان بطريقي إلى وطني عنيزة ، ودعانا رئيس الهيئات الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ ، ومعنا الشيخ ابن باز وجماعة ، فلما اجتمعنا عند الشيخ عمر عَرَضَ علينا برقية وردته من أخيه رئيس القضاة بمكة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ يُعَمِّدُه بأن يجُرى اختبار المدرسة التابعة للمعارف التي بالرياض ، وليس في الرياض تلك السنة إلا مدرسة واحدة يُديرها أحمد عبد المالك الطرابلسي ، فقال الشيخ عمر للشيخ ابن باز: من ترى نبعث لهم؟ فقال الشيخ ابن باز: هذا الشيخ عبد الله بن عقيل حاضر.

فأخذ الشيخ عمر بترشيح الشيخ ابن باز وعمّدني بذلك ، ثم أعطاني سماحةُ الشيخ ابن باز بعض التعليمات والنصائح ، وقد كان عندي إلمامٌ بهذا حين كنت قاضياً بأبي عريش ، وكنا نختبر مدارسهم ، ثم أجرينا اختبار الطلاب لتلك المدرسة سنة ١٣٦٤ ، ومن ضمن التلاميذ الشيخ عبد الله بن

غديان ، وضحيان العبد العزيز ، وعبد العزيز الحزيمي ، وغيرهم.

ثم جاورتُه في سنة ١٣٦٥ حينما عُيِّنتُ قاضياً في «الخَرْج» ، وكان يُسمَّى « السَّيْح » إذ ذاك ، وسماحته إذ ذاك قاضٍ في « الدِّلَم » قصبة الخرج ، وجميع قرى الخرج ترجع إلى سماحته ، والمسافة بيننا قريبة ، نحو ٢٠ كيلاً ، ولما قدمتُ الخرج قمت بزيارته ، فأكرمني هو وكاتباه الشيخ راشد بن خنين ، والشيخ صالح بن حسين جزاهم الله عني خير الجزاء ، فقد كانوا لنا نعم الجيران ، ورأينا في بيته عدداً من المستفتين عن الطلاق وغيره ، ولم يكن في البلد إذ ذاك فنادق ولا دور ضيافة ، فكان يُضيفهم ويُفتيهم.

وكان قد انفرد عن علماء بلده أو عن أكثرهم بأنه يرى الطلاق الثلاث واحدة ، ويرى عدم وقوعه في الحيض أو في طُهر وطئها فيه ، ويرى عدم وقوع طلاق السكران ، ويرى الحلف بالطلاق يمينا مكفرة ، وغير ذلك ، فلهذا كثر المستفتون عن هذه المشاكل ، ورحلوا إليه من أجلها ، وكان رحمه الله يُفتيهم بالأسهل؛ موافقاً في اجتهاده شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من محققي العلماء ، وأنقذ الله بفتواه أسراً كثيرة كادت أن تتهدم بيوتهم ويتشرد أطفالهم وتأيم نساؤهم ، فجزاه الله عن الجميع أفضل الجزاء ، وطالما نهاه شيخه محمد بن إبراهيم ، بل نهاه الملك عبد العزيز

عن هذه الفتوى فلم ينته ، يرى أن هذا هو القول الصحيح ، وأنه من العلم الذي لا يحل له كتمانه.

ولما استقر بي القرار بالخرج ، وكان أصل تعييني قاضياً لقرية السَّيْح فقط ، فلم أشعر إلا وقد جاءني خطاب من الملك عبد العزيز بتكليفي بقضاء ثلاث قرى من القرى التابعة لعمل الشيخ ابن باز ، وهي: «اليمامة ، والسلمية ، والهياثم» وهذا نصُّه:

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبدالله ابن عقيل سلمه الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بعد ذلك:

من طرف أهل اليمامة وأهل السلمية وأهل الهياثم فقد عرّفناهم أن قضاياهم عندكم ، لا يروحون للشيخ ابن باز ، فأنتم من ورد عليكم منهم: إن شاء الله تخلّصون دعواهم ، وتحرصون في ذلك ، هذا ما لزم بيانه ، والسلام. الختم ١٣/ ١٠/ ١٣٦٥[1].

ثم ورد إليّ خطاب من الشيخ عبد العزيز بن باز برقم ١٠٣٤ في ٢٣/ ١٠/ ١٣٦٥ يخبرني بذلك ، ويدعو لي بالعون والمساعدة ، ويحثني على الصبر والاحتساب ، ويبلغني أنه بعد هذا لن ينظر في أي شيء من

---

(١) انظر ملحق الوثائق ، الصورة رقم (١).

قضاياهم ، وأنه لو جاءه أحد منهم فسيرده إلينا[١] .

---

(١) وهذا نص خطابه: « بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم المحب الشيخ الفاضل عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل أصلح الله لي وله القول والعمل آمين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:

فقد سبق لكم منا كتاب بتاريخ [فراغ بالأصل] نرجو أنه وصل ، وقد سرَّني ما ذكرتَ في كتابك المشار إليه من ترتيب مجالس القراءة ، أعانك الله ووفقك ، ورزقني وإياك وجميع إخواننا الفقه في دينه ، والقيام بحقه ، وحسن الدعوة إليه ، آمين.

وقد نسيت إجابتك على هذه البشارة ، فلذا أجبتُك بهذه الكلمة كراهةً لترك الجواب عن مثل هذا المهم ، أصلح الله لي ولك النية والعمل ، آمين.

ثم يا أخي قد جاءنا كتاب من الإمام يذكر فيه أن قضاء اليمامة والسلمية والهياثم قد حُوِّل إلى جنابكم ، فحمدت الله على ذلك ، ودعوت لكم بالتوفيق والإعانة ، فاتق الله يا أخي ، واصبر واحتسب الأجر ، واستعن بالله على ما حُمِّلْتَ ، وأكثر من التضرع إليه أن يعينك ويسدد نظرك ، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين ، وعليك بالتثبّت ومطالعة كل ما يُشكل ، وإذا علم الله من العبد النصح والصدق في اللجاء إليه أعانه ويسَّر أمره ، وعلى كلٍّ منا النصيحة لأخيه ، والدعاء له بظهر الغيب ، يسَّر الله ذلك ، وأعاننا جميعا على ما يرضيه وينفع عباده آمين.

وليعلم المحب أنه لا يمكنني النظر في دعوى أي أحد من أهل البلدان المذكورة بعد الصرف المذكور، فلا تكلّف أحداً منهم بالتوجه إليّ، فإني سأرده إليك، بارك الله فيك.

هذا ما لزم ، مع إبلاغ السلام الأحباب كافة ، كما منا الأخوان والعيال والكاتبان وكافة المحبين الجميع بخير ويُسَلِّمون ، والسلام.

٢٣/ ١٠/ ١٣٦٥ (الختم) » . انظر ملحق الوثائق ، الصورة رقم (٢).

فلم يسعني إلا الامتثال.

استقر الشيخ ابن باز في الخرج قرابة أربع عشرة سنة ، فكان هو القاضي والمفتي والإمام والخطيب ، وأقبل الناس إليه كأنه أبوهم ، وهو أخلص لهم كأنهم أبناؤه ، يستشيرونه ويستشفعون به ويرجعون إليه في جميع شؤونهم الدينية ، وبقي إلى نهاية ١٣٧١ .

ثم اختير للتدريس في الرياض في المعاهد العلمية وكلية الشريعة ومعهد القضاء الأعلى ، فنجح في ذلك كله ، وكانت لي معه اجتماعات ولقاءات كثيرة لما تعينتُ في دار الإفتاء سنة ١٣٧٥ ، فكنا نجتمع معه في مجالس العلماء ودعواتهم ، مثل شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، والشيخ عبد الله بن صالح الخليفي ، والشيخ محمد البواردي ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي ، وغيرهم ، فكانت الدعوات اجتماعية فيها درس علمي يُقرأ بأي كتاب يتهيّأ ، ويعلّق سماحته عليه ، وكانت سائر مجالسه معمورة بالخير ، بل كلما حصلت مناسبة لا يفوتها حتى يلقي فيها كلمة نصح وإرشاد ، وأتذكر منها مرة دعاه فيها الشايقي –خادم الملك عبد العزيز وكاتبه الخاص– في مزرعته بالخرج ، ودعانا معه في جملة من الإخوان ، وذلك يوم الجمعة الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٧٩ ، فصلى بنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في مزرعة

الشايقي بالخرج صلاة العصر ، وقصر الصلاة فصلاها ركعتين ، وذكَّر بنا على عادته ، وصلى معنا جميع الذين قدموا من الرياض.

وفي ١٣٧٩ صدر الأمر باستعراض مقررات ومناهج وأنظمة التعليم في وزارة المعارف ، وقراءتها قراءة دقيقة ، ثم كتابة تقرير بالملاحظات عليها مادةً مادة ، فكتب لي سماحة شيخنا المفتي محمد بن إبراهيم رحمه الله خطابه رقم ٥٧٠ وتاريخ ١٢/ ٣/ ١٣٧٩ بأن أشترك مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وفضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم لهذه المهمة ، وأن يكون الاجتماع في بيت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بعد صلاة العشاء في كل ليلة ، وقد تم الاجتماع ، وأجري المطلوب ، ورُفع به تقرير موقَّعٌ من الجميع إلى سماحة المفتي ، رحم الله الجميع[1].

---

(١) وهذا نص خطاب شيخنا محمد بن إبراهيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٥٧٠

التاريخ ١٢/ ٣/ ١٣٧٩

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:

فنرغب حضوركم لدى فضيلة الأخ الشيخ عبد اللطيف في بيته لاشتراككم أنتم والشيخ عبد العزيز بن باز مع فضيلته في استعراض مقررات ومناهج وأنظمة التعليم =

ولما أُنشئت الجامعة الإسلامية في المدينة اختير سماحته نائباً للرئيس الشيخ محمد بن إبراهيم ، فانتقل إليها سنة ١٣٨١ ، واستمر فيها نائباً للرئيس حتى وفاة الرئيس ، وبعد وفاته في رمضان ١٣٨٩ ، عُيِّن سماحته رئيساً للجامعة الإسلامية ، هناك اتَّسع أفقه ، وتعددت أفضاله ، وتعرف على جملة صالحة من العلماء في داخل المملكة وخارجها ، وتعرفوا عليه ، ونفع الله به في الجامعة الإسلامية ، حتى تخرّج منها آلاف الطلاب، وكانوا بعد تخرجهم يتفرقون دعاة في بلدانهم في كثير من الدول والجمهوريات ، خصوصاً في دول أفريقيا.

وكنت أتردد عليه لما أزور المدينة لغرض تعيين حدود الحرم ، وأصحبه إلى الحرم النبوي ، ومشيتُ معه مرة إلى الحرم النبوي ماسكاً يده ، فلما دخلنا المسجد كبّرنا لتحية المسجد ، وصلينا ركعة واحدة ، فأُقيمت صلاة العصر ، فرمقتُ ماذا سيفعل ، فاكتفى بالركعة التي صلى ،

= في وزارة المعارف ، وقراءتها قراءة دقيقة ، ثم إخراج تقرير بملاحظاتكم عليها مادةً مادة ، ويكون الاجتماع للغرض المشار إليه ببيت الأخ الشيخ عبد اللطيف بعد صلاة العشاء من كل ليلة حتى تخلصوا من مهمتكم ، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انظر ملحق الوثائق ، الصورة رقم (٣).

وجلس للتشهد لئلا يفوته شيء من الفريضة ، فصنعتُ مثل ما صنع.

وكان يدعونا إلى بيته بحضور مجالس العلم ، ومنهم الشيخ محمد بن ناصر العبودي وغيره من الإخوان ، كما كنت ألتقي به عندما يأتي الرياض، وأتشرف بدعوته إلى بيتي هو ومن يصحبه ، فيُكرمني بإجابة الدعوة ، ويُلقي في مجلسنا كلمة وعظ وتذكير في كل مناسبة.

ولما عُيِّن مفتياً عامّاً ورئيساً للإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٣٩٥ ، واستقر في الرياض ، كان يدعونا إلى بيته للمشاركة في بعض الأمور المهمة ، وزاملتُه في مجلس الأوقاف الأعلى فترة حينما كان رئيس المجلس أمين كتبي ، ومن أعضائه الشيخ عبد الله بن منيع ، والسيد حبيب محمود أحمد ، وفي لجنة إعانة المتزوجين منذ تأسيسها سنة ١٤٠١ حتى وفاته ، ومن أعضائها الشيخ عبد الله بن غديّان ، والشيخ راشد ابن خنين ، والشيخ عبد الله بن فنتوخ ، والشيخ عبد اللطيف بن شديد.

استفدت كثيراً من علومه ، وأخلاقه ، وتواضعه ، ولطفه مع الكبير والصغير ، وصبره وتحمّله ، له أخلاقٌ أرقُّ من النسيم ، وأعذب من السلسبيل ، لا يعاتب على الهفوة ، ولا يؤاخذ بالجفوة ، يتودد ويتحبب إلى القريب والبعيد ، يقابل بالبشاشة ، ويعاشر بالحسنى ، ويجالس بالمنادمة ، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود ، ويعطف على الفقير

والصغير ، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير ، ويساعد بماله وجاهه ، وينشر علمه ونصحه ، ويُدلي برأيه ومشورته ، بلسان صادق ، وقلب خالص ، وسر مكتوم ، ومهما أردتُ أن أعدد فضائله ومحاسنه التي يتحلى بها فإني مقصّر وقلمي عاجز ، ولا يُدرك هذا إلا من عاشره وجالسه ، هذا مع زهده وورعه ، لا ينهر أحداً ، ولا يعبس في وجه أحد ، وقلَّ ما يصدر منه قاصده إلا وقضى حاجته ، أو أشار عليه بمن يقضيها.

وكنت مرة جالساً عنده في وقت متأخر ، وجاءه رجل يطلب شفاعة لأحد الأثرياء ، وذكر حاجته ، فرَقَّ له ، وقال: تأتي غداً. ثم التفت لي ، فقال: أنا لا أعرف هذا الرجل ولا صاحبه ، ولكن كذا وكذا. ثم قال : يُحكى أن رجلاً محتسباً لا يرد من طلب منه شفاعة ، فجاءه أحدهم وطلب منه شفاعة إلى أحد الملوك لإطلاق ولده من السجن ، فكتب هذا المحتسب إلى الملك ، وأورد في كتابه الأحاديث والآثار الواردة في العفو والصفح ، فلما قرأ الملك كتابه قال: من هو هذا الذي لا نعرفه وهو من بلادنا وكتب يشفع لهذا الرجل السجين؟ فقيل له: هذا فلان محتسب لا يرد طلب أحد. فقال: والله لا يكون أرحم منا به ، اقبلوا شفاعته ، وأطلقوا ولده ، وأعطوه راحلة ونفقة توصله إلى أهله.

أعطاه الله علماً لدنيّاً لا يتوقف على مدى ما تعلمه من مشايخه - وإن

كان طلب العلم على علماء محققين من أبرزهم شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة- ونوّر الله بصيرته عوضاً عما فقد من بصره ، فله اليد الطولى في الحديث ، والعقيدة السلفية ، وعلوم الحديث ، والفقه ، وغيرها ، أخذ من كلّ فن منها بنصيب وافر.

استحق لقب شيخ الإسلام ، وأطلقه الناس عليه ، وكان محل التقديم والإجلال من ولاة الأمر ومن كبار المشايخ الذين أدركناهم ، فكان شيخنا العلامة عبد الرحمن السعدي كثير الثناء عليه ، ويأمرني أن أبلّغه سلامه في مكاتباته لي ، وقال في بعض المناسبات: إن الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الله بن حميد ، والشيخ عبد الله القرعاوي: لا يوجد لهم مثيل في تصديهم لنفع الناس ودعوتهم وإرشادهم[1].

---

(١) قال محمد زياد: يقصد شيخنا ما قاله العلامة ابن سعدي في كتابه مجموع الفوائد (ص١٧٣) ، حيث قال: «ثم اعلم أن في هذا القُطر المسؤول عنه [أي: نَجْد] أربعة من أهل العلم ، الذين برزوا على غيرهم ، وتميّزوا بعِلْمهم وتعليمهم ودعايتهم ونفعهم ، وحصل بهم وعلى أيديهم خير كثير ونفع كبير ، فميِّزْهم يا أخي بمحبتك ، واعرف قدرهم ، وأكْثِرْ من الدعاء لهم والثناء عليهم ونشر محاسنهم ، وتقرَّب إلى الله بذلك ، وهؤلاء تعرفهم ويعرفهم غيرك ، وذكرُ صفاتهم يُغني عن ذكر أسمائهم ، وضم إليهم خامساً جعل الله فيه بركة ، فهو وإن كان دونهم في العلم فقد حصل على يديه من النفع التعليمي والديني ما لم يحصل على يد غيره ، وقد انحاز إلى بعض أقطار المملكة ، فهدى الله به ذلك القطر وانتقل إلى مذهب السلف ، وكثر فيهم أهل العلم ، فالعلم =

ساعد الدعاة في الداخل والخارج ، بل قلَّ أن يُطلب منه دعم لمشروع

= إذا جعل الله فيه بركة ترتب عليه خير كثير ، وهذا الخامس من أكبر الدعاة إلى الله وإلى دينه ، فتجب مؤازرته ومناصرته والثناء عليه والذب عنه ، كما يجب لهؤلاء الأربعة ولغيرهم من علماء المسلمين».

قلت: حصلت مناقشة في مجلس شيخنا حفظه الله في تحديد هؤلاء الأربعة ، إذ أشكل ما ورد آخر المطبوع من كتاب الفوائد أنه تم سنة ١٣٤٣ ، وفي ذلك الوقت كان الشيخان ابن باز وابن حميد في أوائل الطلب ، ولكن ظهر بالتأمل والبحث في ذلك المجلس وبعده أن تاريخ كتابة الكلام الآنف متأخر يقيناً ، فلا نزاع في أن الخامس هو الشيخ عبد الله القرعاوي ، وما ذهب إلى جنوب المملكة إلا بعد هذا التاريخ بمدة طويلة ، فالظاهر أن التاريخ المثبت هو للفائدة الأخيرة فيه وحسب ، وأما الكلام المنقول فهو من جواب عن سؤال ، ونص المحقق في مقدمته (هامش ص٥) أنه وجده بآخر الكتاب فألحقه به ، وبذلك يزول إشكال التاريخ ، وأكّد شيخنا (من قبل ومن بعد) أن المستقر والثابت عنده من قديم أن الثلاثة هم المشايخ: محمد بن إبراهيم ، وابن باز ، وابن حميد ، وشيخنا من أعرف الناس بكلام شيخه ابن سعدي ومقاصده ، ولكن يبقي معرفة الرابع: فيرى شيخنا أن المقصود به هو الشيخ ابن سعدي ذاته ، لكنه ما أحب أن يسمي نفسه تواضعاً ، فكأنه لذلك أبهم الكلّ ، وردّ إلى ما يعرفه السائل والناس ، والسائل ما سأل الشيخ إلا لمعرفته بفضله ومكانته الرفيعة ، وهذا كلمة إجماع عند الناس ، وما كان رحمه الله دون من أشار ، بل هو شيخ خامسهم ، رحمهم الله جميعاً.

ذكرتُ مختصر هذا البحث والتحقيق - المستفاد من شيخنا حفظه الله- لأهميته ، ولتعلقه المباشر بهذه الترجمة ، فضلا عن أهميته في ترجمة بقية المذكورين ، والله أعلم.

خيري أو مركز إسلامي إلا دعمهم وشجّعهم، وأعانهم بالمال والجاه والتوجيه والنُّصح والدعاء الصالح، وأعرف أخباراً من مساعيه في مثل هذا.

فاق زملاءه في حُسن الخلق والكرم، قلَّ أن يأكل طعامه وحده إلا ومعه من كان حاضراً في المجلس، قلُّوا أو كثروا، من أي طبقة كانوا، كلما جاء مستفت وقت غداء أو عشاء قال له: تفضل معنا.

أعطاه الله جَلَداً على التعليم، فلا يمل مهما طال المجلس، ولم أر مثله في بذله نفسه للناس، وفي سعة الصدر، ذو غيرة على محارم الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، يؤلف الردود على كل من يُظهر أي شيء مخالف للشرع، قوي في دين الله، ليّن متواضع لعباد الله، خصوصاً صغار الطلبة وجفاة المستفتين، صبورٌ على ما يتعرض له مثله من جهلة الناس وعوامهم، من نوادر علماء عصرنا في هذا العصر علماً وسلوكاً وحرصاً على الازدياد من مسائل العلم، خصوصاً الحوادث المستجدة.

بلغت فتاواه أكثر من ثلاثين مجلداً، مطبوعة متداولة مبذولة لطلبة العلم مجاناً، وأما الأشرطة (الكاسيت) فيمكن أن تبلغ الآلاف كما حدثني سكرتيره بذلك، انتشرت فتاواه في الإذاعة وفي نور على الدرب، واستفاد منها من لا يحصيهم إلا الله في شتى البلدان، ولديّ مجموعة من رسائله ومكاتباته الخاصة، وسبق ذكر رسالته إليّ وهو في الخرج بشأن

ضم بعض قرى الخرج.

ما يُعلم أنه قابل أحداً على سوء أدبه إلا بلطف وأدب ، يرد على أهل الباطل ويوضّح لهم أخطاءهم برفق ولين ، وله في هذا المجال العدد الكثير من الردود شفهياً وخطياً وهاتفياً.

وأخبرني سكرتيره إبراهيم الحصين رحمه الله أنه كثيراً ما إذا تحقق عنده حاجة بعض المناطق إلى داعية ؛ ووجد من يقوم بهذه المهمة أمر بتسجيله ، فإذا قال: البند لا يتحمّل ، أو قالوا: العدد قد استغرق. قال: سجّلوه على حسابي الخاص. أو قال: قيّدوه على حساب البيت. وإن أكثر رواتبه يُصرف للدعاة ، حتى إنه في بعض الأشهر يستقرض للشهر القادم.

وذكر لي بعضهم أنه سافر بالقطار من إحدى ولايات أوروبا ، فصادف امرأة متدينة ، فتكلم معها ، وقالت: رحم الله الشيخ ابن باز. فقال لها: من أين عرفت الشيخ ابن باز؟ فقالت: كنت أعمل في مؤسسة كذا وكذا ، فأوقفوا راتبي ، فاشتكيتُ له ، فقال: أَجْروا راتبها من حسابي.

أعطاه الله حافظة وبديهة ، فكان يحفظ أسماء الذين يدخلون عليه ، فإذا دخلوا وسلموا عليه وعرّفوه بأسمائهم وتكاملوا جلوساً: أعاد عليهم أسماءهم بسؤالهم عن أحوالهم بأسمائهم التي سمعها منهم ، فيقول: كيف حالك يا فلان بن فلان؟ وأنت يا فلان بن فلان؟ حتى يأتي على آخرهم.

وبالجملة فإن سيرته طيبة عطرة ، وذكرياتنا معه كثيرة ، لا تفي بها هذه الكلمات ، فقدناه أحوج ما كنا إليه ، وترك فراغاً لا يسدّه غيره ، نسأل الله أن يُخلفه على المسلمين بخير ، وأن يتغمده برحمته ، فقد اجتمعنا في الله وتفرقنا عليه ، واستمر الوداد والإخاء بيننا من سنة ١٣٦٤ إلى وفاته سنة ١٤٢٠ ، وترك بوفاته فراغاً عظيماً في كل أبواب الخير ، وما زالت حسناته جارية عبر علمه المدوَّن ، وعبر تلاميذه النجباء الذين يُعتبرون من أحرص الدعاة إلى الله ، وعبر نتائج أعماله في الخير في جميع جهات العالم ، وقلَّ أن يوجد عالم له محبة وقبول في الناس مثله ، سواء في الداخل أو في الخارج ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا به في دار كرامته ، وأخلف على المسلمين من أمثاله.

توفي في الطائف فجر الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠ ، وصُلِّي عليه في الحرم الشريف بمكة المكرمة ، وحضر جنازته والصلاة عليه ودفنه جمع كثير من الناس ، قدموا من الرياض والقصيم وغيرهما ، ودُفن في مقبرة العدل ، لم يُدفن في مقبرة الحُجون.

اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنّا بعده ، واغفر لنا وله ولوالدينا ولجميع المسلمين ، واجمعنا بهم ووالدينا في عليين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، حامداً لله، مصليًّا مسلّماً على عبده ورسوله نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تحريراً في ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧.

* * *

ترجمة الإمام أحمد بن حنبل[1]

(1) نشرت بمجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني، شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٥، المحرم - صفر - ربيع أول ١٣٩٦ .



أحمد بن حنبل

هو أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيْباني المَرْوَزي البَغْدادي ، وشيبان حي من بكر ؛ القبيلة المشهورة من قبائل العرب .

ولد في ربيع الأول على المشهور سنة ١٦٤هجرية في بغداد ، وكانت أمه قد حملت به في مرو التي كان يقيم فيها أبوه ، والمعروف أن أباه مات بعد ولادته عن ثلاثين سنة تقريباً ؛ وأحمد إذ ذاك صغير لا يدرك شيئاً ؛ بدليل أنه نفى رؤيته لأبيه وجده ، وكان جده قد انتقل إلى خراسان ، وكان والياً على سرخس في العهد الأموي ، ثم انضم إلى صفوف الدعوة العباسية حتى أوذي في هذا السبيل ، ويقال : إنه كان قائداً .

نشأ أحمد رضي الله عنه يتيماً ، وقامت على تربيته أمه صفية بنت ميمونة بنت عبدالملك الشيباني ، وترك له أبوه بيتاً في بغداد يسكنه ، وبيتاً آخر يغل غلة ضيئلة . وكان في هذا كشيخه الإمام الشافعي في اليتم والفقر والحاجة وعلو الهمة ، تشابهت نشأة التلميذ والأستاذ ، ولكل منهما أم تدفعه إلى التقدم والعلو والزيادة من الخير ، نشأ الإمام أحمد رضي الله عنه ببغداد وتربى فيها تربيته الأولى ، وقد كانت بغداد إذ ذاك تموج بالناس الذين اختلفت مشاربهم وتخالفت مآربهم ، وزخرت بأنواع العلوم

والمعارف ، ففيها الفقراء والمحدِّثون والمتصوفة وعلماء اللغة والفلاسفة وغيرهم ، فقد كانت حاضرة العالم الإسلامي ، وقد توافر فيها ما توافر في حواضر العالم من تنوع المسالك وتعدد السبل والكتابة ، ولقد قال في ذلك : كنت وأنا غليِّم أختلف إلى الكتّاب ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة ، وكان وهو صبي محل ثقة الذين يعرفونه من الرجال والنساء ، حتى إنه ليُروى أن الرشيد وهو بالرقة مع جنده ، وكان أولئك الجند يكتبون إلى نسائهم بأحوالهم ؛ فلا يجد النساء غير أحمد يقرأ لهن ما كتب به إليهن ويكتب لهن الردود ؛ ولا يكتب ما يراه منكراً من القول.

شبَّ أحمد على هذا ، واستمر في طلب العلم بعزم صادق وجد ، وأمه تشجعه على ذلك ، وترشده وتدعوه إلى الرفق بنفسه إذا خشيت عليه الإرهاق ، وحكى ذلك أحمد عنها فقال : كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي بثيابي وتقول : اصبر حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا . وكان اتجاهه إلى الأخذ عن رجال الحديث . ويروى أن أول تلقيه كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، فقد قال : أول من كتبت عنه الحديث أبويوسف ، وفي تاريخ الحافظ الذهبي قال الخلال : كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها ثم لم يلتفت إليها .

اتجه أحمد إلى كتابة الحديث من سنة ١٧٩ حينما كان عمره ست

عشرة سنة ، واستمر مقيماً في بغداد يأخذ عن شيوخ الحديث فيها حتى سنة مئة وست وثمانين ، وابتدأ في هذه السنة رحلته إلى البصرة ، ثم إلى الحجاز واليمن وغيرها ، واستمر ملازماً لشيخه هشيم بن بشير بن أبي خازم الواسطي حتى سنة وفاته ١٨٣ .

قال صالح بن أحمد قال أبي : كتبت عن هشيم سنة ١٧٩ . ولزمناه إلى سنة ثمانين وإحدى وثمانين واثنين وثمانين وثلاث . ومات في سنة ثلاث وثمانين ، كتبنا عنه كتاب الحج نحواً من ألف حديث ، وبعض التفسير، وكتاب القضاء ، وكتباً صغاراً ، فقال صالح : يكون ثلاثة آلاف ؟ قال : أكثر . ثم ارتحل في طلب العلم إلى الحجاز وغيره. وقد ذكر ابن كثير تفصيل رحلاته الحجازية في تاريخه البداية والنهاية جزء ١٠ ص٣٢٦ .
وكان من أبرز الشخصيات التي التقى بها الإمام أحمد أثناء رحلاته وفي إقامته الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقد أخذ عنه واستفاد منه كثيراً ، وكان الشافعي يجلُّه ويقدّره ويعول عليه في معرفة صحة الحديث أحياناً، ورشحه الإمام الشافعي عند الرشيد لقضاء اليمن ، فأبى أحمد وقال له : جئت إليك لأقتبس منك العلم تأمرني أن أدخل لهم في القضاء ؟! وكان ذلك في آخر حياة الرشيد ، ثم رشحه الشافعي مرة ثانية لقضاء اليمن عند الأمين ؛ فأبى أحمد ، وكان ذلك عام ١٩٥هـ .

ودخل الشافعي يوماً على أحمد بن حنبل فقال : يا أبا عبدالله كنت اليوم مع أهل العراق في مسألة كذا فلو كان معي حديث عن رسول الله ﷺ ، فدفع أحمد إليه ثلاثة أحاديث ، فقال له : جزاك الله خيراً .

وقال الشافعي لأحمد يوماً : أنتم أعلم بالحديث والرجال ، فإذا كان الحديث الصحيح فعلموني إن شاء يكون كوفياً أو شامياً حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً . وهذا من كمال دين الشافعي وعقله ، حيث سلم هذا العلم لأهله .

وقال عبدالوهاب الوراق : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، قالوا له : وأي شيء بان لك من علمه وفضله على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سئل عن ستين ألف مسألة ؛ أجاب فيها بأن قال : (أخبرنا) و(حدثنا) .

وقال أبوزرعة الرازي : حفظ أحمد بن حنبل بالمذاكرة على سبعمائة ألف حديث . وفي لفظ آخر قال أبوزرعة الرازي : كان أحمد يحفظ ألف ألف فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

كان الإمام أحمد يقول : فاتني مالك فأخلف الله عليَّ بسفيان بن عيينة ، وفاتني حماد بن زيد فأخلف الله عليَّ إسماعيل بن عُلَيَّة .

وكان ملازماً لكتابة الحديث ، فانشغل بذلك عن كل شيء ؛ حتى عن

الزواج ؛ فلم يتزوج إلا بعد الأربعين . وقيل له : يا أبا عبدالله قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين . فقال : مع المحبرة إلى المقبرة ، فأنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر .

وقد روى المزني أن الشافعي قال : ثلاث من عجائب الزمان : عربي لا يعرب كلمة وهو أبوثور ، وأعجمي لا يخطئ في كلمة وهو الحسن الزعفراني ، وصغير كلما قال شيئاً صدقه الكبار وهو أحمد بن حنبل .

وقال الشافعي : خرجت من بغداد ما خلفت بها أحداً أورع ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

ولم يزل على ذلك مكباً على الحديث والإفتاء وما فيه نفع المسلمين ، والتف حوله أصحابه يأخذون عنه الحديث والفقه وغيرهما ، وألف المسند في مدة ستين سنة تقريباً ، وكان قد ابتدأ بجمعه في سنة ١٨٠هـ أول ما بدأ بطلب الحديث ، وسيأتي الكلام على المسند إن شاء الله ، وألف في التفسير ، وفي الناسخ والمنسوخ ، وفي التاريخ ، وفي المقدم والمؤخر في القرآن ، وفي جوابات القرآن ، وألف المناسك الصغير والكبير ، وفي حديث شعبة ، وألف كتاب الزهد، وكتاب الرد على الجهمية والزنادقة ، وكتاب السنة ، وكتاب الورع والإيمان ، وكتاب العلل والرجال ، وكتاب الأشربة ، وجزءاً في أصول السنة ، وفضائل

الصحابة ، وله قصائد متناثرة ، وأجزاء في بعض الأصول والمسائل ، كما نقل عنه مجموعة من المسائل ، منها مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود السجستاني صاحب السنن ، وهي مطبوعة نشرها السيد محمد رشيد رضا بمطبعة المنار ، وتقع في ٣٢٨ صفحة ، وهي أجوبة على بعض المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد في الفقه ، ومنها مسائل ابنه عبدالله بن أحمد ، ومسائل إسحاق بن إبراهيم رواية ابن منصور المروزي ، وهي مخطوطة ، وتوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وغير ذلك من مؤلفاته رضي الله عنه.

كان في بغداد أيام المأمون تيارات ثقافية متضادة : منها ما كان عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة الممثل في حلقات أهل الحديث والفقهاء وغيرهم ممن يرجعون إلى النصوص الشرعية ، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه وما صح عن رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تأويل ولا تعطيل ، ومن أبرز هؤلاء : الإمام أحمد ومحمد بن نوح وأحمد بن نصر الخزاعي وغيرهم ، ومنها تيار المعتزلة القائلين بخلق القرآن وتأويل آيات الصفات وغير ذلك مما هو معروف من مذهبهم ، كالقول بالعدل و التوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان هارون الرشيد يقاوم القول بخلق القرآن فلم يجرأ أحدٌ عليه مدة حياته ؛ كما روي عن محمد بن نوح قال : سمعت هارون الرشيد يقول : بلغني أن بشر المريسي زعم أن القرآن مخلوق ، عليَّ إن أظفرني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط . فلما مات الرشيد وتولى الأمين أراد المعتزلة حمله على ذلك فأبى .

فلما تولى المأمون الخلافة وكان يميل إلى المعتزلة ويقربهم ، وكان أستاذه أبو الهذيل العلاف من زعماء المعتزلة ، وكذلك قاضيه أحمد بن أبي دؤاد فأشار عليه ابن أبي دؤاد بإظهار القول بخلق القرآن ، فأظهر القول بذلك عام ٢١٢هـ، فكان المأمون يناظر من يغشى مجلسه في ذلك، ولكنه لم يلزم بذلك أحداً بل ترك الناس أحراراً فيما يذهبون إليه ، فلما كان عام ٢١٨هـ رأى المأمون حمل الناس - وخصوصاً العلماء والقضاة والمفتين - على القول بخلق القرآن الكريم ، وكان المأمون آنذاك في الرَّقَّة، فأرسل إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم وهو صاحب الشرطة ببغداد أن يجمع من بحضرته من القضاة ويمتحنهم فيما يقولون ويعتقدون في خلق الله للقرآن وإحداثه ، ويعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله بمن لا يقول بهذا القول ، وكان ذلك في ربيع الأول من عام ٢١٨هـ .

فثار العلماء حين سمعوا كتاب المأمون إلى نائبه في بغداد ، وقال

واحد منهم : لقيت ثمانمائة شيخاً ونيفاً وسبعين ، فما رأيت أحداً يقول بهذه المقالة – يعني خلق القرآن – ، وقد حُبس وعُذِّب وقُتل في هذه المحنة خلائق لا يحصون كثرة كما يراه القارئ المتتبع لتلك الحقبة من التاريخ ، وصارت هذه المحنة هي الشغل الشاغل للدولة والناس ، خاصتهم وعامتهم ، وأصبحت حديث مجالسهم وأنديتهم وحاضرتهم وباديتهم في العراق وغيره ، وقام الجدل فيها بين العلماء ، ووقع امتحان الأمراء للعلماء والقضاء والفقهاء والمحدِّثين في مصر والشام وفارس وغيرها ، حتى تناول الإمام البخاري وشيوخه الأجلة الأفذاذ : يحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، ويزيد بن هارون ، وزهير بن حرب ، وغيرهم من الأئمة المجمع على جلالتهم وإمامتهم في حفظ السنة المطهرة وعلومها .

وأرسل المأمون لصاحب الشرطة في بغداد بأن يوافيه بجواب من امتحن منهم ، فوافاه بجوابهم ، وإذا هو يتضمن إنكار هذه المقالة والتشنيع على من قال بها ، فلم يقتنع المأمون بذلك ، فبعث إليه بكتاب ثانٍ يأمره فيه بإشخاص سبعة من المحدثين المشهورين في بغداد أو ثمانية وهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبومسلم ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ،

وأحمد بن إبراهيم الدورقي ، لكي يمتحنهم وفي مقدمتهم أحمد بن حنبل ، إلا أن ابن أبي دؤاد حذف اسم الإمام أحمد من القائمة ، لمعرفته بصلابته وشدته في هذا الأمر .

ثم أمر المأمون بعد ذلك بحمل الإمام أحمد و محمد بن نوح إليه في طرسوس فحملا إليه بأغلالهما ، فأما محمد بن نوح فمات في أثناء الطريق قبل أن يصل ، وأما الإمام أحمد ومرافقوه فبلغهم وفاة المأمون قبل وصولهم ، فعادوا إلى بغداد وأُلقي الإمام أحمد في الحبس ، ويقال : أن أحمد دعا على المأمون ، وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨ .

ثم تولى الخلافة المعتصم وكان المأمون قد أوصاه بتقريب ابن أبي دؤاد ، والاستمرار بالقول بخلق القرآن وأخذ الناس بذلك ، وكان أحمد في السجن ، فاستحضره من السجن ، وعقد له مجلساً مع ابن أبي دؤاد وغيره ، وجعلوا يناقشونه في خلق القرآن وأحمد يستدل عليهم بالنصوص الواردة ، ويقول لهم : أعطوني دليلاً من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ . وانفض المجلس ذلك اليوم دون شيء ، وأمر المعتصم بردِّه إلى السجن ، وفي اليوم التالي أحضر من السجن وعقد المجلس ، وكان موقفه رائعاً جليلاً كموقفه في الأمس ، ورغم المحاولات والمناقشات صمم الإمام أحمد على كلامه ، وفشل القوم كفشلهم بالأمس ، وانفض

الاجتماع، ورُدَّ الإمام أحمد إلى السجن ، وفي اليوم الثالث أُعيد انعقاد المجلس ، وأُحضر الإمام أحمد من السجن وأعيدت المناقشة ، وكان المعتصم عند عقد مجلس المناظرة قد بسط بمجلسه بساطاً ونصب كرسياً جلس عليه ، وازدحم الناس إذ ذاك كازدحامهم أيام الأعياد ، وكان مما دار بينهم أن قال للإمام أحمد : ما تقول في القرآن ، فقال : كلام الله غير مخلوق ، قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1] قل : هل عندك حجة غير هذا ؟ قال : نعم . قول الله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾[2] ولم يقل خلق القرآن ، وقال تعالى : ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾[3] ولم يقل : المخلوق ، فقال المعتصم : أعيدوه للحبس . وتفرقوا ، فلما كان من الغد جلس المعتصم مجلسه ذلك ، وقال : هاتوا أحمد بن حنبل . فاجتمع الناس ، وسمعت لهم ضجة ببغداد ، فلما جيء به وقف بين يديه والسيوف قد جُرِّدت، والرماح قد ركزت، والأتراس قد نصبت، والسياط قد طُرحت.

(١) سورة التوبة : ٥ .

(٢) سورة الرحمن: ١، ٢ .

(٣) سورة يس : ١، ٢ .

فسأله المعتصم عما يقول بالقرآن . قال : أقول غير مخلوق ، وأستدلُّ بقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[1] الآية قال : فإن يكن القول من الله تعالى فإن القرآن كلام الله ، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروه بحضرته ثلاثة أيام وهو يناظرهم ويظهر عليهم بالحجج القاطعة، ويقول : أعطوني دليلاً من كتاب الله أو كلام رسوله ﷺ . فقال المعتصم : قهَرَنا أحمد . وحلف ليضربنه بالسياط وأمر الجلادين فأحضروا ، ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال : ائتوني بغيرها .

قال أبوعبدالله : صُيِّرتُ بين العُقابين - والعُقابان بضم العين خشبتان يوضع بينهما الرجل ليجلد . قاله في تاج العروس - فعلق الإمام أحمد بالعقابين ، ورفع حتى صار بينه وبين الأرض مقدار قبضة ، قال أحمد : وشدّت يداي ، وجيء بكرسي فوضع له - يعني للمعتصم - وابن أبي دؤاد على رأسه والناس أجمعون قيام ممن حضر ، فقال لي إنسان ممن شهدني : خذ بنابي الخشبتين بيدك وشد عليهما . فلم أفهم ما قال . قال : فتخلعت يداي لما شددت ولم أمسك الخشبتين . قال أبوالفضل - يعني ابنه صالحاً - ولم يزل أبي رحمه الله يتوجع منهما من الرسغ إلى أن توفي.

---

(١) سورة السجدة : ١٢ .

قال أبوعبدالله فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل دمُ امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث**» الحديث . فبم تستحل دمي وأنا لم آت شيئاً من هذا ، يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل كوقوفي بين يديك ، يا أمير المؤمنين راقب الله . فلما رأى المعتصم ثبوت أبي عبدالله وتصميمه لانَ ، فخشي ابنُ أبي دؤاد من رأفته عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله ، أو أن يقال : غلب خليفتين . فهاجه ذلك ، وطلب كرسياً جلس عليه ، وقام ابن أبي دؤاد وأصحابه على رأسه ، ثم قال للجلادين تقدموا ، وجعل أحدهم يتقدم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين ثم يتنحى ، ثم يتقدم الآخر فيضربه سوطين ، والمعتصم يحرّضهم على التشديد في الضرب ، ثم قام إليه المعتصم وقال له : يا أحمد ، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق ، فما تقول؟ فيقول أحمد : أعطوني دليلاً من كتاب وسنة رسوله حتى أقول به . ثم رجع المعتصم فجلس . فقال للجلاد : تقدم وحرضه على إيجاعه بالضرب، ويقول : شدوا قطع الله أيديكم . قال أحمد : فذهب عقلي عند ذلك فلم أفق إلا وقد أفرج عني ، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فصليت ، فقالوا : صليت والدم يسيل منك .

فقلت: قد صلى عمر رضي الله عنه وجرحه يثعب دماً. وكان ذلك في رمضان سنة ٢١٨، ثم نقل أحمد إلى بيته واستقر فيه، حيث لم يقو على السير، فلما برئت جراحه وقوي جسمه خرج إلى المسجد، وصار يدرّس في المسجد ويملي الحديث حتى مات المعتصم.

فلما تولى الواثق منع الإمام أحمد من الاجتماع بالناس وقال: لا تساكنِّي في بلد أنا فيه. فأقام الإمام ببغداد مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق، وذلك مدة خمس سنوات تقريباً.

فلما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ بقيت المحنة قائمة خلال عامين من حكمه، ثم رفعت سنة ٢٣٤، وكانت قد بدأت من السنة الأخيرة من خلافة المأمون وهي سنة ٢١٨ وانتهت في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة المتوكل سنة ٢٣٤ حيث أوقف المتوكل أخذ الناس بالمحنة، وأصدر إعلاناً عاماً في كافة أنحاء الدولة نهى فيه عن القول بخلق القرآن، وتهدد من يخوض في ذلك بالقتل، فعمَّ الناس الفرح في كل مكان وأثنوا على سجايا الخليفة ومآثره، ونسوا شروره ورذائله، وسمع الدعاء له من كل جانب، وذكر اسمه مع اسمي الخليفتين أبي بكر وعمر وعمر بن عبدالعزيز.

وكان المتوكل يكره العلويين ويسرف في مطاردتهم، فجعل المعتزلة يحيكون دسائسهم لدى الخليفة ضد الإمام أحمد ويتهمونه بالجنوح إلى

العلويين ، وتتطور المحنة لتأخذ لوناً آخر ، وتشتد الرقابة على الإمام أحمد ، وامتدت أعناق أهل الفتنة فاتهموا الإمام أحمد لدى الخليفة أنه يؤوي في بيته أحد العلويين ذوي القدر الخطير ، ويثور الخليفة فيرسل من فوره إلى بغداد لمفاجأة بيت الإمام أحمد والقبض على العلوي المزعوم ، وفي ليلة من الليالي بعد أن نام الناس وهدأت الحركة وأرخى الليل سدوله على بغداد الهادئة الساكنة سمع أحمد دقاً عنيفاً على باب داره ، فقام إلى الباب ففتحه ، فإذا به أمام رجلين وامرأتين ، أما الرجلان فهما مظفر حاجب عبدالله بن إسحاق نائب بغداد ، والآخر ابن الكلبي صاحب البريد، وأما المرأتان فمهتهما هي مهمة البوليس النسوي في أيامنا هذه . قال مظفر : يقول لك الأمير : إن أمير المؤمنين كتب إليه أن عندك طلبته العلوي . وقال ابن الكلبي : نعم إنك تؤوي في بيتك علوياً من أعداء أمير المؤمنين ، وقد جئنا لأخذه. فقال الإمام أحمد : إني لا أعرف هذا ولا أرى سوى طاعة أمير المؤمنين في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة . وسكت الإمام قليلاً سكتة ذكر فيها حرمانه من المسجد بدون مسوغ واستأنف يقول : إني أتأسف عن تأخري عن الصلاة وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين . قال ابن الكلبي : قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلّفك ما عندك طلبته أفتحلف ؟ قال أحمد : إن استحلفتني

حلفت . فأحلفه ابن الكلبي بالله فحلف ، وبالطلاق فحلف . وكان نساء الدار والصبيان قد حضروا وحضر ابنه صالح ، فقال ابن الكلبي : أريد أن أفتش منزلك ومنزل ابنك صالح . وقام مظفر وابن الكلبي ففتشا البيت . وفتشت المرأتان النساء فلم يعثروا على شيء ، وفتشنا بيت صالح فلم يجدا شيئاً ، وفتشت المرأتان أماكن الحريم وجاءوا بشمعة فأدلوها في البئر وانصرفوا بعد أن لم يجدوا شيئاً .

وتولى ابن الكلبي وصف حال الإمام أحمد للمتوكل من احتباسه عن الجمعة والجماعة بدون مسوغ ، ومن صدق لهجته فيما يكن لأمير المؤمنين من السمع والطاعة في المنشط والمكره ، ومن براءته مما عزاه إليه خصومه ، وأذن الله بانكشاف الغمة ، فجاءه بعد يومين كتاب من علي ابن الجهم أن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قذفت به ، وكان أهل البدع قد مدوا أعناقهم ، فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك .

وأقبلت الخلافة على الإمام تخطب ودَّه وتطلب المؤانسة بقربه والتبرك بدعائه ، وأخذت الأيام تدبر مولية عن المعتزلة ، فمرض ابن أبي دؤاد بالفالج ، وجاء بعض أعيان الدولة يتقربون إلى الإمام أحمد بذكر ما نزل بابن أبي دؤاد ويومئون إلى أن كرامة الإمام على الله أوجبت ذلك القصاص ، فلم يلتفت إليهم الإمام أحمد وصمت ولم يرد ، وظهر عليه

التبرم بما قالوا . ومضت الأيام في إدبارها على المعتزلة ، فغضب الخليفة على ابن أبي دؤاد وقبض على أبنائه وصادر أملاكه وأمواله وجواهره ، وأخذ ابن أبي دؤاد إلى بغداد بعد أن أشهد عليه ببيع ضياعه ، فكان يأتي إلى الإمام أحمد من يحمل إليه تلك الأنباء فيكرم نفسه أن تنزل إلى مستوى الشماتة الرخيص بل كان الخليفة نفسه يرسل إليه كأنه يستفتيه فيما يرى من مصير أموال ابن أبي دؤاد ، فكان يسكت ولا يجيب بشيء وهو موقف جدير أن يلقي على الناس دروساً في عظمة النفس ، وشدة الإقبال على جلائل الأمور ، والانصراف عن سفاسفها وتوافهها ، رحم الله الإمام أحمد ، لقد كان إماماً في كل مكرمة .

ثم أرسل إليه الخليفة المتوكل كتاباً يقول فيه : قد صح نقاء ساحتك ، وقد أحببت أن آنس بقربك وأتبرك بدعائك ، وقد وجهت إليك بعشرة آلاف درهم معونة على سفرك . وفرح آل أحمد بالعافية تقبل مع السعة والجاه ، وحلَّ بالدار نشاط وأنس ، ودبَّ فيها بعد الوحشة دبيب الحركة بمن صار يغشاها من رسل الخليفة وكبار رجال الدولة . قال ابنه صالح : لما جاء كتاب المتوكل بالمال ناداني أبي في جوف الليل ، فقمت إليه فإذا به يبكي ، فلما رآني قال : ما نمت ليلتي هذه ، سلمتُ من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بُليتُ بهم .

فلما كان الصباح جاء الحسين البزاز والمشايخ فقال : يا صالح جئني بالميزان وبالدراهم ، ثم أخذ يزن المال ويقول : وجهوا هذا إلى أبناء المهاجرين ، وهذا إلى أبناء الأنصار ، وهذا لفلان ليفرق في ناحيته ، وهذا لفلان ، وهكذا حتى فرق كلها ، فلما فرقها أحسَّ أنه فرق معه كربته وتنفَّس الصعداء ونفض الكيس ثم تصدق به .

وكان لابد لأحمد من تلبية أمر الخليفة لا خضوعاً لقوة السلطان بل وفاء لحق السمع والطاعة الذي فرضه الإسلام لأولي الأمر في غير معصية ، فخرج من بغداد إلى سامراء ومعه يعقوب المعروف بقوصره ، وهو الرسول الذي حضر إليه من لدن الخليفة بالمال والخطاب ، وخرج معه بعض بنيه ، وكان يعقوب شديد السرور بنجاح مهمته ، فقد قبل أحمد ابن حنبل أن يخرج معه وكان يدرك مبلغ السرور الذي سيدخل قلب أمير المؤمنين بذلك .

نزل الإمام بـ « سُرّ من رأى » ضيفاً على أمير المؤمنين ، ولم يكن للخليفة من هم بعد أن عرف كل شيء عن أحمد إلا أن يرضيه وأن لا يحمله على شيء يكرهه ، عرف الخليفة أن أحمد لا يقبل ماله ، فلم يكن له بد من النزول على رغبته واحترام إرادته ، ولكن لابد من أن يصله في قرابته ، فليكن المال لأهله وبنيه دون أن يعلم ، وتسلم صالح ابنه بأمر

الخليفة عشرة آلاف على الفور مكان التي فرقها أبوه ببغداد على أبناء المهاجرين والأنصار وسواهم ، وعرف رجال القصر لهفة الخليفة وشدة إقباله على أحمد وإكباره له ، فأقبلوا عليه بمثل ما أقبل سيدهم كلٌّ يخطب ودَّه ويبتغي إليه المنزلة ، ويحاول أن يسره بما يستطيع ، أمر الخليفة أن تفرش الدار التي هيئت له بالفرش الوثيرة ، وأن ترتب له ومن معه من بنيه مائدة شهية واسعة ، وأمر أن يقطع له ملابس فاخرة : طيلسان وقلنسوة وشارات رسمية من السواد الذي اختارته الدولة العباسية شعاراً لها .

ويحضر يحيى بن خالد ، فيقول : إن الخليفة أمرني أن أصير لك مرتبة في أعلى ، ويصير ولده المعتز في حجرك تؤدِّبه بما شئت من أدب القرآن وسنة رسول الله ﷺ . وجاء يحيى في اليوم التالي يدعوه أن يركب إلى دار المعتز ، ويقول في لهجة مهذبة : تركب يا أبا عبدالله ؟ فيقول الإمام أحمد : ذاكم إليكم . وكان يوماً مشهوداً في القصر ، ألبسوه هناك الطيلسان وما أمر له به الخليفة من ألوان الثياب والشارات ، ويقول بعض الخدم إن الخليفة كان مع أمه مستترين خلف ستار من ستور القصر يرقب في خفاء ما يكون من أحمد ، فلما رآه يدخل أخذته خفة وغشيته هزة من الفرح ولمع السرور في عينيه وقال : يا أمه ، قد أنارت الدار بدخول أحمد .

يقول ابنه صالح : لما عاد أبي من القصر إلى الدار التي أعدت له نزع

عنه الثياب التي أنعم بها عليه ، وجعل يبكي ويقول : سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم ، ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام ، فكيف بالخليفة الذي يجب نصحه من وقت أن تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده ؟ ثم التفت إلى الملابس وقال لابنه : وجِّه بهذه الثياب إلى بغداد لتباع ، وحذار أن يشتري أحدٌ منكم شيئاً. أما الفرش الوثيرة الطرية فقد نحى نفسه عنها ، وألقى بنفسه على مضربة خشنة له ، ونظر إلى حجرة في جانب الدار فأمر أن يحول إلى ركن منها وأن لا يسرج فيها سراج قط ، وأما المائدة فقد عافها فلم يدخل بطنه شيء منها ، وكانت شهية حافلة .

وأخيراً بلغ الضجر بالإمام أحمد كل مبلغ ، وبرم بكل شيء ، وزهد في كل شيء ، ولم يعد أبغض إليه من أن يلقى رجال الخليفة حتى كان يدعهم مع بنيه في الدهليز ويقبل على صلاته ما شاء الله ، وكان المرض ينزل به فيراه عافية سابغة لما فيه من عافية احتجابه عنهم ، اشتكت عينه مرة فلما برئت ضاق ببرئها ، وقال لولده صالح : ألا تعجب ، كانت عيني تشتكي فتمكث حيناً حتى تبرأ ثم هي في هذه المرة تبرأ في سرعة ، والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان أيام المعتصم ، وإني لأتمنى الموت في هذا ، إن هذا فتنة الدنيا وكان ذاك فتنة الدين ، نعوذ بالله من الفتن ما

ظهر منها وما بطن .

وأما مرضه ووفاته فإنه مرض تسعة أيام ، قال ابنه عبدالله : سمعت أبي يقول : استكملت سبعاً وسبعين سنة ، فحم من ليلته وبات وهو محموم يتنفس تنفساً شديداً . وقال صالح : وكنت قد عرفت علته ، وكنت أمرضه إذا اعتل . وجاء الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبه ، وأتى ابن علي ابن الجعد فحجبه ، وكثر الناس فقال لي : أي شيء ترى ؟ قلت : تأذن لهم فيدعون لك . قال : استخير الله . فأذن لهم ، فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً ويسلمون عليه ويرد عليهم بيده ، ويسألونه عن حاله ، ويدعون له حتى تمتلئ الدار ، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر ، وكثر الناس وامتلأ الشارع وأغلقنا باب الزقاق ، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فسر به ، وقال : إني لأرى الرجل يجيء شيئاً من السنة فأفرح به ، فدخل فجعل يدعو له ، فيقول أبي : ولجميع المسلمين .

وجاء رجل فقال : تلطف لي بالإذن عليه ، فإني قد حضرت ضربه يوم الدار وأريد أن أستحله . فقلت له : فأمسك. فلم أزل به حتى قال : أدخله. فأدخلته ، فقام بين يديه وجعل يبكي وقال : يا أبا عبدالله ، أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار ، وقد أتيتك فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك ، وإن رأيت أن تحلّني فعلت . قال : على أن لا تعود لمثل ذلك . قال : نعم.

قال : فإني قد جعلتك في حِلٍّ . فخرج يبكي وبكى من حضر الناس . ثم قال : وجّه فاشتر تمراً وكفِّر عني كفارة يمين ، فأخبرته بأني قد فعلت . فقال : الحمد لله . ثم قال : اقرأ عليَّ الوصية . فقرأتها ، فأقرَّها ، وكنت أنام إلى جنبه ، فإذا أراد حاجة حركني فأناوله ، وجعل يحرك لسانه ، ولم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قائماً أمسكه فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه ، ولم يزل عقله ثابتاً .

وتسامع الناس بمرضه ، وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس ، فوكل ببابه وباب الزقاق المرابطة وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق حتى تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب ، وجاء صاحب ابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك . فقال : هذا مما أكرهه وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره . وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر . والبُرُد تختلف كل يوم ، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤذن لهم ، فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال: ادعوا لي الصبيان – بلسان ثقيل – ، فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم وعينه تدمع ، فقال له رجل : لا تغتم لهم يا

أبا عبدالله . فأشار بيده ، فظننا أن معناه إني لم أرد هذا المعنى . وكان يصلي قاعداً ويصلي وهو مضطجع لا يكاد يفتر ، ويرفع يده في إيماء الركوع واشتدت علته يوم الخميس ووضأته فقال : خلل الأصابع ، وثقل ليلة الجمعة فلما كان يوم الجمعة ، الموافق اثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام ٢٤١ توفي صدر النهار لساعتين منه ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلأت السكك والشوارع، وقال صالح : وجه ابن طاهر يعني نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقلت : اقرئ الأمير السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته .

وقد كانت الجارية غزلت له ثوباً عشارياً قوّم بثمانية وعشرين درهماً ليقطع منه قميصين ، فقطعنا له لفافتين ، وأخذ منه فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف ، واشترينا له حنوطاً ، وفرغ من غسله وكفّناه وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفّنه ، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير ، وقال صالح : وجه الأمير ابن طاهر ، فقال : من يصلي عليه ؟ قلت : أنا . فلما صرت إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف، فخطا إلينا خطوات وعزّانا ووضع السرير ، فلما انتظرت هنيهة تقدمت ،

وجعلت أسوي صفوف الناس ، فجاءني ابن طاهر فقبض هذا على يدي ومحمد بن نصر على يدي ، وقالوا : الأمير . فمانعتهم ، فنحياني ، وصلى، ولم يعلم الناس بذلك ، فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر ، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة سوى ما كان في الأطراف والحواري والسطوح والمواضع المتفرقة ، ومن كان في السفن في الماء ، وقد حزر من حضر جنازته فكانوا سبعمائة ألف ، وقيل ثمانمائة ألف ، وقيل : بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف ، وقيل غير ذلك ؛ مما يدل على أنهم جمع غفير ، وكان رضي الله عنه يقول في حال صحته : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز .

وقد صنفت في ترجمته مصنفات مستقلة، منها : المناقب لأبي الفرج ابن الجوزي في مجلد ، ومنها لأبي إسماعيل الأنصاري في مجلدين ، ومنها لأبي بكر البيهقي في مجلد ، ومنها لأبي زهرة مجلد ، ومنها لأحمد الدومي في مجلد ، وغير ذلك ، عدا ما في غضون كتب التاريخ والتراجم من ذكر مناقبه وثناء الناس عليه ، رحمه الله وسائر أئمة المسلمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

مراجع البحث

١- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين بن أبي يعلى .

٢- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .

٣- المنهج الأحمد للعليمي .

٤- ابن حنبل لأبي زهرة .

٥- أصول مذهب الإمام أحمد للدكتور عبدالله العبدالمحسن التركي.

٦- الجزء الأول من المسند طبعة أحمد شاكر .

٧- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة لعبدالحليم الجندي .

٨- أحمد بن حنبل بين محنة الدين و محنة الدنيا تأليف أحمد عبدالجواد الدومي .

٩- أحمد بن حنبل والمحنة تأليف ولتر م. باتون ، ترجمة عبدالعزيز عبدالحق .

١٠- الإمام الممتحن أحمد بن حنبل ، نقلاً عن مجلة « المسلمون » .

١١- الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني لأحمد عبدالرحمن البناء الساعاتي .

١٢- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي .

١٣- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبدالقادر بن أحمد بن بدران .

لقاء مجلة العـدل

مـع

سماحة الشيخ عبدالله بن عقيل



فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى – سابقاً – عايش القضاء لفترة جاوزت الخمسين عاماً ، تنقَّل بين مناطق المملكة وعمل في أكثر من موقع ، وعايش تطور القضاء وتطور الأنظمة القضائية .. ولكي نقف على تفاصيل هذه الرحلة الطويلة يسرنا أن نلتقي بفضيلة الشيخ في هذا الحوار:

- كيف بدأتْ رحلتكم العلمية والعملية ؟

- لما كان أواخر عام ١٣٥٣هـ أوعز الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عمر ابن سليم رئيس قضاة منطقة القصيم بأن يختار من طلبة العلم ذوي الكفاءة والمعرفة لبعثهم إلى منطقة جازان ليكونوا قضاة ودعاة ومرشدين، فاختار الشيخ عمر اثني عشر رجلاً من طلبة العلم كنت أحدهم ، ومنهم عمي الشيخ عبدالرحمن بن عقيل ، فسافرنا مع الشيخ عمر وحججنا عام ١٣٥٣هـ ، ومكثنا بعد الحج بمكة قرابة ثلاثة أشهر ، وكنت في هذه المدة أتتبع حلقات العلماء والمشايخ في الحرم وأستمع إلى دروسهم ، ومنهم محمد أمين الكتبي ، و محمد عبدالرزاق حمزة ، والشيخ عمر حمدان المحرسي التونسي ، كما حضرت جلسات رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في مجلسه بالداودية المطلة على الحرم .

- وما الوظائف التي التحق بها فضيلة الشيخ ؟

في ربيع الأول عام ١٣٥٤هـ صدرت تعيينات المشايخ المنتخبين من قبل الشيخ ابن سليم ، فتم تعييني مع عمي الشيخ عبدالرحمن العقيل في مدينة جيزان ، والشيخ عبدالله بن عودة السعوي في مدينة صبياء ، والشيخ عثمان بن حمد المضيان في مدينة أبوعريش ، والشيخ عبدالرحمن المحيميد في مدينة صامتة ، ومع كل منهم اثنان كدعاة ومرشدين ، وكنت طيلة إقامتي بجيزان أتولى الإمامة والخطابة والتدريس وأعمال الحسبة إضافة إلى عملي مع عمي قاضي جيزان ، حيث مكث على هذا قرابة ثلاث سنين .

- وما المحطة الأخرى بعد جيزان ؟

وفي عام ١٣٥٧هـ رجعت إلى عنيزة ولازمت شيخي الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ملازمة تامة ، واستمررت على طلب العلم وحفظ المتون ومراجعة الشروح ومطارحة المسائل مع الإخوان كبار تلاميذ الشيخ مثل : محمد بن عبدالعزيز المطوع ، ومحمد المنصور الزامل ، وعبدالله المحمد العوهلي ، وسليمان البراهيم البسام ، وحمد المحمد البسام ، وغيرهم.

- وهل استمر هذا الوضع طويلاً ؟

لما كان في رجب عام ١٣٥٨هـ أبرق الملك عبدالعزيز رحمه الله لأمير عنيزة بأن يكلف الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل بالتوجه للرياض ، فلما وصلت الرياض ألزموني بقضاء أبوعريش خلفاً للشيخ محمد بن عبدالله التويجري ، فسافرت وباشرت العمل في أبوعريش ، وتوليت القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة والدعوة والإرشاد بفضل الله .

- وهل طال مكوثكم في أبوعريش ؟

جرى نقلي إلى قضاء فرسان ، فسافرت إليها بحراً في سفينة شراعية وباشرت القضاء فيه بتاريخ ٧/ ٣/ ١٣٦٠هـ ولم تطل بي المدة فيها أكثر من سبعة أشهر تنقلت فيها بين تلك الجزر للقضاء والدعوة والإرشاد ، حيث صدر الأمر بنقلي إلى قضاء أبوعريش مرة ثانية ، فانتقلت إلى أبوعريش ، وباشرت العمل فيها بتاريخ ١/ ١٠/ ١٣٦٠هـ ، وكان لي جولات على قرى جيزان ، والاجتماع بعلمائها وأدبائها والأخذ عنهم ، مثل قاضي جيزان السابق علي بن محمد السنوسي ، وقاضي أبوعريش السابق عبدالله بن علي العمودي، وقاضي صبيا البهكلي، والأديب محمد بن أحمد العقيلي ، والفقيه عقيل بن أحمد حنين ، والشيخ علي محمد صالح عبدالحق ، والشيخ علي بن أحمد عيسى ، وغيرهم .

- وما المحطة الثانية بعد أبوعريش ؟

صدر الأمر من الملك عبدالعزيز رحمه الله بنقلي إلى قضاء الخرج خلفاً للشيخ سالم الحناكي ، فباشرت في محكمة الخرج في رمضان عام ١٣٦٥هـ القضاء والإمامة والخطابة والتدريس والحسبة ، وكنت مدة قضائي في محكمة الخرج على اتصال بسماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، حيث هو الذي رشحني لهذا المنصب ، كما كنت على اتصال بسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز قاضي الدلم ، فكنت أزوره وأستفيد منه ، وبعد أن أمضيت قرابة سنة في الخرج أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بنقلي إلى الرياض ، وباشرت العمل في محكمة الرياض في شوال عام ١٣٦٦هـ مع الشيخ إبراهيم بن سليمان والشيخ سعود بن رشود، مكثت في محكمة الرياض قرابة خمس سنين .

- وهل طال بكم المكث في الرياض ؟

في آخر سنة ١٣٧٠هـ أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بنقلي إلى قضاء محكمة عنيزة خلفاً للشيخ عبدالرحمن بن عودان ، فباشرت فيها ، وكنت في مدة قضاء عنيزة على اتصال بسماحة الشيخ عبدالله بن حميد قاضي بريدة ، حيث أزوره وأستفيد منه ومكثت على هذا قرابة خمس سنين .

- ومتى عملتم في دار الإفتاء ومتى انتقلتم لها ؟

حينما أُنشئت دار الإفتاء صدر أمر الملك سعود بنقلي إلى عضوية دار الإفتاء بترشيح من سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وباشرت فيها في ١/ ٩/ ١٣٧٥هـ ، فعملت فيها مع سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم حتى توفي في عام ١٣٨٩هـ رحمه الله ، وقد أمضيت معه قرابة خمس عشرة سنة ، وفي أثناء عملي بدار الإفتاء عهد إليَّ بإصدار صفحة الفتاوى التي تصدر في جريدة الدعوة الأسبوعية ، كما رشحني سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم لعضوية مجلس الأوقاف الأعلى ، فكنت مندوب دار الإفتاء في المجلس ، ولما أعيد تشكيل مجلس الأوقاف رشحني وزير العدل الأسبق الشيخ محمد الحركان لعضوية المجلس ، ومكثت في المجلس حتى أحلت على التقاعد .

- ومتى عملتهم في الهيئة العلمية وهيئة التمييز والهيئة القضائية؟

لما توفي سماحة المفتي في عام ١٣٨٩هـ كلفت برئاسة الهيئة العلمية التي شكلها الملك فيصل رحمه الله للنظر في المعاملات التي كانت تحت نظر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، ومن أعضائها أصحاب الفضيلة : الشيخ محمد بن عودة ، والشيخ عبدالله بن منيع ،

والشيخ راشد بن خنين ، والشيخ عمر بن مترك .

وبعد انتهاء أعمال الهيئة العلمية أمر الملك فيصل رحمه الله بنقلي إلى هيئة التمييز في الرياض التي يرأسها الشيخ عبدالعزيز بن رشيد رحمه الله، فباشرت فيها بتاريخ ١/ ٩/ ١٣٩١هـ ، وفي عام ١٣٩٢هـ انتقلت من هيئة التمييز إلى الهيئة القضائية العليا التي يرأسها معالي الشيخ محمد بن جبير.

- ومتى عملتهم في مجلس القضاء الأعلى ؟

لما تم تشكيل مجلس القضاء الأعلى برئاسة معالي الشيخ محمد الحركان وذلك في شعبان ١٣٩٥هـ عينت عضواً في المجلس بدرجة رئيس محكمة التمييز ، وبعد انتقال الشيخ محمد الحركان إلى رابطة العالم الإسلامي سنة ١٣٩٥هـ خلفه سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رئيساً للمجلس ، وتم تعييني رئيساً للهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى حيث أنوب عن الرئيس أيام غيابه ، واستمررت على هذا حتى أحلت على التقاعد في رجب سنة ١٤٠٥هـ لبلوغي السن النظامية .

- وبعد هذه المرحلة الطويلة في المجال العملي هل تركتم الأعمال بشكل نهائي ؟

لما وافق خادم الحرمين الشريفين على تأسيس شركة الراجحي

المصرفية للاستثمار ؛ ليكون بنكاً إسلامياً بلا فوائد ربوية ؛ واختير لها هيئة شرعية تصحح سير معاملاتها وتخلصها من شوائب الأمور الربوية: اخترتُ رئيساً لهذه الهيئة ، والشيخ صالح الحصين نائباً للرئيس ، ومن أعضائها الشيخ عبدالله البسام ، والشيخ عبدالله بن منيع ، والأستاذ مصطفى الزرقاء ، والدكتور يوسف القرضاوي ، والدكتور عبدالله الزايد ، والدكتور حمد الجنيدل ، وقد باشرت الهيئة العمل بالشركة بتاريخ ٨/ ٤/ ١٤٠٩هـ .

- ومن أشهر العلماء الذين طلبتم العلم على أيديهم ؟

أشهر مشايخي هم : الشيخ عبدالرحمن بن سعدي علامة القصيم ، الشيخ عمر بن محمد بن سليم رئيس قضاة القصيم ، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ، الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع قاضي عنيزة ، الشيخ سليمان العمري قاضي الأحساء ، الشيخ محمد أمين الشنقيطي ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ، رحمهم الله جميعاً ، وغيرهم .

- يلتزم ولاة الأمر في المملكة بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة فسعدت البلاد بذلك بالأمن والاستقرار والرفاه ، هل لكم من كلمة عن تطور تنظيم القضاء في هذه الديار الخيّرة ؟

كان التقاضي في بلدان نجد وما حولها في عهد الدولة السعودية

الأولى سنة ١١٥٧هـ - أعني عهد الإمام محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود رحمهما الله - على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وكان الإمام محمد بن عبدالوهاب يتولى القضاء والإفتاء والتدريس والدعوة إلى الله ، وله نواب يختارهم في البلدان الأخرى ، وكان تنفيذ ذلك من قبل الإمام محمد بن سعود ونوابه على إقليم نجد وما حولها ، وكانت أساليب القضاء يسيرة تتناسب مع طبيعة أهل ذلك العصر ، فكان الخصوم يحضرون لدى القاضي برضاهم فيسمع كلامهم ويحكم بينهم أو يصلح بينهم صلحاً شفهياً فيقوم الخصمان راضيين بذلك من دون كتابة وثيقة ولا حكم ، وربما حضر الخصمان لدى القاضي في المسجد أو في منزله أو وهو يمشي في الشارع ونحو ذلك ، فكانت معظم المحاكمات تجري على هذا النمط ، إلا ما كان يحتاج إلى توثيق ويتعلق بالعقارات والأوقاف والقضايا المهمة فهذا يحرر فيه وثيقة عادية مستكملة للشروط المطوبة ويختمه القاضي بختمه ثم يؤيده الإمام بختمه وتصديقه ويتولى تنفيذه ، هكذا جرت الأعمال في الدولة السعودية الأولى والثانية ، وصدر من عهد الدولة الثالثة التي أسسها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل رحمه الله في سنة ١٣١٩هـ ، وبعد ضم الحجاز في عام ١٣٤٣هـ واستكمال بناء الدولة جرى تنظيم أعمال الدولة

تنظيماً يتلاءم مع تطورات الحياة الحديثة ونمو الناس ومن ضمن ذلك تنظيم المحاكم الشرعية وكتابة العدل ، حيث صدرت الأنظمة والتعليمات متتابعة .

- وما أبرز ميزات القضاء في المملكة ؟

أهم ميزات القضاء في المملكة العربية السعودية :

أولاً : استقلال القضاء استقلالاً تاماً من جميع النواحي خالياً عن أي تأثير ، وأن الناس فيه سواسية ، سواء الأمير والمأمور ، حتى الأمراء إذا كان لهم خصومات يحضرون إلى المحكمة بأنفسهم أو وكيلهم .

ثانياً : الحكم بالشريعة الإسلامية متجرداً من أي تقاليد وأعراف أو وساطات .

ثالثاً : عدم إلزام القاضي بأن يحكم بنهج معين فيترك له الاختيار ليحكم بما يفهمه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وأقوال علماء الشريعة الإسلامية مع أن الجميع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

رابعاً : إن المجتمع السعودي مقتنع ومسلم بوجوب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية كجزء من عقيدة الإيمان تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء : ٦٥] .

- عاصرتم القضاء لعدة سنوات فماذا بقي في الذاكرة ؟

لقد عاصرت نظام القضاء في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٥٤هـ ، حينما كلفت بالعمل مع عمي الشيخ عبدالرحمن العقيل ، وهو أول قاضٍ نجدي يتولى القضاء في منطقة جيزان .

وعملت مع خمسة من ملوك آل سعود أعزهم الله ، أولهم : الملك عبدالعزيز ، ثم ابنه الملك سعود ، ثم الملك فيصل ، ثم الملك خالد رحمهم الله ، ثم خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز أيده الله ، وذلك في مدة ٥٣ سنة تقريباً ، أولها ١٣٥٤ ، وآخرها ١٤٠٥هـ ، ثم مدد لي سنة ١٤٠٦هـ .

- وما أبرز المواقف التي لا زلت تتذكرها ؟

عندما عينت مع عمي الشيخ عبدالرحمن بن عقيل لقضاء جيزان وعند وصلونا إليها استقبلنا أميرها تركي بن أحمد السديري بالحفاوة والإكرام ونزلنا مع عقبة ضلاع على حمير ، وهي الواسطة في التنقلات وذلك لعدم توفر السيارات خصوصاً مع عقبة ضلاع تلك العقبة الصعبة ، وأما الآن فقد بذلت الحكومة أيدها الله في تسهيل هذه العقبة الجهود الجبارة

والأموال الطائلة والمعدات الهائلة ، وفتحت الأنفاق وأنشئت الكباري حتى سهلت سلوك السيارات معها ، وكم لهذه الدولة أيدها الله من أمثال هذه المشاريع النافعة ، وكان مرورنا على الشيخ محمد بن هادي صاحب قرية الدرب ، ثم ذهبنا إلى أم الخشب في بيش ، ووجدنا شيخهم قاسم العكفي ، ثم الملح ، فالسلامة ، فصبياء ، فجيزان كل هذا على الحمير ؛ القصد أننا وصلنا جازان في أول ربيع الأول ١/ ٣/ ١٣٥٤هـ ووجدنا الأمير حمد الشويعر مريضاً لم يلبث أن توفي رحمه الله ، و نزل الأمير تركي السديري من أبها ليقوم بعمل الإمارة حتى يتعين لها أمير جديد ، ولما وصل الأمير عبدالله بن محمد بن عقيّل أميراً لجازان رجع السديري إلى أبها ، وتفرق الإخوان إلى مراكزهم في جيزان وصبيا وأبوعريش وصامطة وقاموا بأعمالهم ، وأحبهم الناس وألفوهم ، واقتنعوا بآرائهم وأحكامهم وإرشاداتهم ، وكانت المواصلات إذ ذاك على الحمير أو على الجمال الرويكب المقطورة ، وحالة المعيشة فيها شيء من الضيق ، وكان في الماء قلة يؤتى بها على الجمال من بئر في قرية عمير تبعد عن جيزان مقدار كيلومتر بتنك مصدية ومتخرقة ومرقعة بسدادات من الخيش ونحوه ، أربع تنكات بريال ، فالماء عندهم أغلى من السمن ، بمعنى أن صاحب البيت يشتري سمناً للعشاء ذلك اليوم بمبلغ ولا يكفيه من الماء

إلا ضعف ثمن السمن .

- وكيف كانت الرواتب والأجور في ذلك الوقت ؟

كانت القلوب طيبة ، والناس بينهم تعاطف وتسامح عند التقاضي ، ويقنعون غالباً بما يعرضه القاضي بينهم من الصلح في خصوماتهم ، وكانت الرواتب تصرف باسم « قروش » نيكل صرف الريال ٢٢ قرشاً ، وربما يتأخر صرفها شهرين أو ثلاثة ، وكانت تأتي من جدة لجميع موظفي منطقة جيزان ، وربما صرفوا للناس رواتبهم أكياس ملح من منجم الملح الذي في جيزان ، فيخيّر الموظفون هل تحب أن تنتظر أم نصرف لك ملحاً تبيعه وتتصرف فيه ؟

وكان لنا اجتماعات مع طلبة العلم والمشايخ والأدباء في جيزان ، مثل قاضي جيزان السابق على محمد السنوسي ، وابنه الأديب الشاعر محمد علي السنوسي ، والأديب المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي ، والشيخ الفقيه عقيل بن أحمد حنين ، والشيخ علي محمد صالح عبدالحق ، والشيخ علي بن أحمد عيسى، وقاضي أبوعريش السابق عبدالله بن علي العمودي وأبنائه ، والشيخ إدريس ، والشيخ عبدالرحمن الحفاف، والشيخ البهكلي، وغيرهم ، نتزاور ونتذاكر ويحصل بالاجتماع حصيلة علمية مباركة .

- لكم إسهامات في مجال الفتيا .. هلا ألقيتم الضوء على تلك الإسهامات وأين كانت ؟

عن موضوع فتاوى مجلة الدعوة أصلها جريدة يومية والذي تبنى إصدارها سماحة الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، حيث أشار إلى جملة من أصحابه وأهل العلم بإصدار جريدة إسلامية تتبنى نشر المقالات الإسلامية والتوجيهات الشرعية ، وطلب منهم المساهمة فيها مادياً ومعنوياً ، فتجاوبوا معه وكوّنوا مؤسسة الدعوة ، واستقطب لها أهل الأقلام والمفكرين ، وجعل رئيس تحريرها الأستاذ عبدالله بن إدريس ، فيما كان رئيس مجلس إدارة المؤسسة ومنذ إنشائها معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن آل الشيخ وما زال ، وقالوا آنذاك لابد من صفحة للفتاوى الشرعية تجيب على استفتاءات الناس ، وبصفتي أحد تلاميذه وموظفاً عنده وعضواً في دار الإفتاء عهد إليَّ بإعداد صفحة الفتاوى ، فالتزمت بذلك ، وصار جملة ما صدر من الفتاوى في فترات إصدارها ما يقارب ستمائة وسبعاً وخمسين فتوى ما بين مطولة ومختصرة في أصول الدين وفروعه وفي الأدب والتاريخ وغير ذلك ، وقد عرفت أن أبنائي أصلحهم الله قد اهتموا بإخراجها ونشرها لعل الله أن ينفع بها .

- هل لفضيلتكم دروس علمية تلقونها في المسجد أو المنزل وفي أي الفنون ؟

كنت منذ مدة طويلة أفتح بابي للإخوان وطلبة العلم وأرحب بمن يأتيني منهم للقراءة أو الاستماع ، ويأتيني جملة منهم يقرؤون في فنون متعددة في : العقيدة وكتب أئمة الدعوة والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو ، بعضهم طلاب علم من الجامعة ، وبعضهم أساتذة وغيرهم ، وذلك بعد صلاة العصر والمغرب والعشاء يومياً في أغلب الأحيان ، وبعد صلاة الفجر ، وقبل صلاة الظهر ، وبعدها ، على حسب ما يناسب لكل منهم.

- نسمع من أجدادنا عن « سنة الرحمة » التي كثر فيها الموتى بسبب الأمراض هل لكم أن تعرفونا بها حفظكم الله ؟

هذه السنة هي سنة ١٣٣٧هـ أصاب الناس وباء عام .. الله أعلم أنه مرض (الكوليرا) أو مرض ما من جنسها، وعم بلدان نجد وغيرها ، ومات خلق كثير وعالم لا يحصيهم إلا الله ، ويقول بعضهم بأنها آثار مخلفات الحرب العالمية الأولى التي وقعت سنة ١٣٣٣هـ وكثر الموتى وانتشرت الجثث؛ وسرى الوباء من بلد إلى بلد ؛ حتى حصل ما حصل ، والله أعلم.

- هل من كلمة توجهونها إلى كل قاض يتولى أعمال المسلمين؟

القضاة – من فضل الله – أغلبهم على مستوى من العلم والعقل والسلوك الحسن والاستقامة ، وهم الذين يوجهون الناس ، ولكن بما أنكم أثرتم هذا الموضوع فأقول : على إخواننا القضاة أن يشكروا الله ويؤدوا حق هذه النعم التي يتمتعون بها ، فقد كان القضاة الأوائل يعملون في كل أوقاتهم ، وليس عندهم دوام خاص ، ويهتمون بجميع ما يهم البلد من القضاء والإفتاء وكتابة الوثائق وعقود الأنكحة ونحو ذلك ، وليس عندهم كتَّاب ولا موظفون ، ومع هذا ليس لهم رواتب شهرية ولا مقررات ذات أهمية، إنما هو بروة من التمر زمان جوار النخيل وآصع من الحب أيام حصاد الزروع ، ومع هذا هم صابرون ومصابرون وباذلون جهدهم في كل ما ينفع البلاد وأهلها احتساباً لوجه الله ، أما الآن فقضاة هذا الزمان رتب لهم الرواتب الشهرية ، وأثثت لهم المحاكم ، ووظف عندهم الكتاب والمراسلون فأصبحت معيشتهم ميسرة ، فالحكومة أيدها الله بذلت لهم كل إمكاناتها ، فعليهم شكر الله والقيام بما عهد إليهم بنيّة صالحة واحتساب ، وبث العلم الذي أعطاهم الله ، والنصح والاجتهاد في أداء ما ائتمنوا عليه ؛ لأن القضاء منصب عظيم ووظيفة شريفة ، وفيها من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله إذا توفرت الشروط ، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٥] .

لقاء في إذاعة القرآن الكريم

ضمن برنامج « في موكب الدعوة »

سنة ١٤١٩

إعداد وتقديم:

محمد بن عبدالله المشوّح

بسم الله الرحمن الرحيم

[بعد المقدمة والترحيب] .

- فضيلة الشيخ عبد الله لعلنا نعود قليلاً إلى الوراء ونسألكم عن ما يُعرف بمسقط الرأس ، أين كانت الولادة والنشأة لفضيلتكم؟

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وُلدت في عنيزة سنة ١٣٣٥هجرية ، الموافق ١٩١٦ ميلادية ، ونشأت في كنف والدي رحمه الله ، وكان من طلبة العلم ومن الشعراء والأدباء في عنيزة المعروفين ، فتعلمت الكتابة على يديه ، وعلى يد أخي الشيخ عقيل بن عبد العزيز بن عقيل قاضي العارضة.

ثم دخلت كُتّاب ابن دامغ: عبد العزيز بن دامغ ، في مسجد أم حمار في عنيزة.

ولما فُتحت مدرسة الأستاذ صالح بن صالح دخلت معهم في الفوج الأول ، حينما فتحها في البَرغوش قرب الجادة ، وتعلمت فيها ما شاء الله.

ثم قدم الشيخ عبد الله القرعاوي من الهند ، يحمل معلومات جديدة ،

ونصح وإخلاص، وفتح مدرسة في جانب بيته في سوق الفَرْعي بعنيزة، وجعل التعليم مجاناً، فرغب الوالد أن أدخل عنده، لأنه يعلّم الناس العلوم الشرعية: الفقه والحديث والتفسير والنحو، مع بقية العلوم الأخرى التي تعلّمها المدارس، فاستفدنا من الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله علوماً وآداباً وأخلاقاً، وكان حريصاً على تلاميذه، يُنفق عليهم من عنده، ويُلزمهم بأن يصلوا الصلوات التي توجد عنده، ويتفقدهم.

ثم بعد ذلك التحقت في طلاب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله، وهو شيخنا وأستاذنا ومعلمنا، وذلك في سنة ١٣٤٩، وتعلمنا عند الشيخ رحمه الله علوماً عظيمة، من الفقه والتوحيد والتفسير وغيرها.

وفي آخر سنة ١٣٥٣ أوعز الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الشيخ عمر بن سليم رحمه الله رئيس قضاة القصيم بأن يختار بضعة عشر من طلبة العلم والمشايخ؛ ليبعثهم إلى منطقة جازان، يكونون قضاة ودعاة ومرشدين، فصار اختيار عمنا الشيخ عبد الرحمن بن عقيل منهم، وكذلك شملني الأمر، وذهبت معهم، فسافرنا مع الشيخ عمر بن سليم رحمه الله إلى مكة للحج سنة ٥٣، وحججنا مع الملك عبد العزيز، وقابلناه مراراً، وحضرنا مجالسه رحمه الله، ودروسه التي كان تُلقى في مجلسه بعد صلاة العشاء: يجعل جلسة خاصة للمشايخ، في مكة، في

قصر السقاف ، في سطح هناك كبير ، يجلسون الناس على كرويتات ، وأمامهم مروحة جلّاسية ، لأن الوقت حر ، فإذا مرّت من عند أحدهم تنسّم نسيم البَرَاد.

- كان الملك عبدالعزيز يجلس هذه المجالس في أثناء الحج؟

أيام الحج يجلس هو ورؤساء الوفود ويجلس هو وكبار المشايخ ، لكن بعد العشاء جلسة رسمية للمشايخ ، يحضر فيها الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة ، والشيخ محمد بن مانع ، ومشايخ مكة ، وأئمة الحرم ، وغيرهم.

ثم بعد الحج بشهرين وزعوا المشايخ الذين جاؤوا مع الشيخ عمر بن سليم على مناطق جازان ، فكان عمّنا الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضيا في جيزان ، ومعه اثنان ، أنا وعلي بن غضيّه ، والشيخ عبد الله بن عودة السعوي قاض في صبيا ، أبو محمد بن عودة ، الشيخ ، ومعه عبد الرحمن الجمعي ، وصالح الراشد ، والشيخ عثمان بن حمد المضيان قاض في أبو عريش ، ومعه عبد الله بن عامر وصالح بن حميد ، وعبد الرحمن بن محيميد قاض في صامطة ، ومعه صالح العمرو ، ومحمد الربع ، رحمهم الله جميعا ، توفوا رحمهم الله.

مكثنا على هذا مدة ، كنت مع عمنا عبد الرحمن كملازم قضائي ، وفي

الإمامة والخطابة والدعوة والإرشاد، وفي معيّته، الخطاب الذي جاءنا محتفظ به، عندي الآن، الذي جاءنا من عبد الله بن حسن، يقول فيه: صدر أمر الملك بتعيين عبد الرحمن بن عقيل قاضياً في جيزان، وبمعيته أنتم وعلي بن غضيه. بمعيّته، ما قال يعني.. لا قال: قاضي، ولا قال: ملازم، ولا قال..

- كم استمر بقاؤكم هناك يا شيخ؟

استمر بقاؤنا هناك مدة ثلاث سنوات، وبعدها استأذنت، ورجعت إلى وطني عنيزة، ومكثت هناك قرابة سنة.

ولما كان في رجب سنة ٥٨ جاءت برقية من الملك عبد العزيز إلى أمير عنيزة: بخصوص عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، بدا لنا به لازم، بلغوه يتوجه إلينا ويراجع أمير بريدة عبدالله بن فيصل. فحاولت الاستئذان من أمير عنيزة، فقال: ليس لي في هذا تصرف، أنا مبلَّغ أنك تسافر.

- حاولت الاعتذار؟

الاعتذار! فسافرت إلى بريدة، وحاولت مع الأمير ابن فيصل، فأجابني بمثل جواب أمير عنيزة ابن سليم، وأمر بترحيلي في سيارات الشبيلي التي كانت تحمل الخشب من القصيم إلى الرياض، لأن ما في سيارات متواصلة، والطرق غير معبدة ولا مزفتة، فأمر أمير بريدة ابن

فيصل خادمه قال: ركّبوا فلان إلى جانب السواق، لا يركب فوق الخشب. -الناس يركبون فوق الخشب- فسافرنا، وأنا لا أعلم إلى أين أُوَجَّه، إنما أنا أروح حسب أمر الملك، فقابلنا الشيخ عمر بن سليم رحمه الله في المستوي، راجعاً من الرياض إلى القصيم، وقد تعطلت سياراتهم، فسلّمنا عليه، وسألناه عن الخبر، قالوا.. أخبرنا تلاميذه الذين معه قالوا: إن عمك عبد الرحمن بن عقيل يلح على الملك عبد العزيز بالاستقالة، وجاءه برقية، فأرسلها إلى الشيخ عمر، وقال: بلّغونا بمن يصلح بدله. فكتب تحتها حرفين: يصلح بدله ابن أخيه عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل الموجود في عنيزة. فأمر الملك بإحضاركم.

فقلت للشيخ عمر: يا شيخ! قضاء جيزان صعب عليّ، لا أستطيعه، ولكن هذا محمد بن عبدالله التويجري، مطوع القُصيعة سابقاً، هذا الآن قاض في أبو عريش، لو يكون هو في جيزان، لأن جيزان هي المركز العمومي، وأنا أكون في أبو عريش، أسهل عليّ، لأن عمري إذ ذاك ٢٣ سنة، صغير السن. فوافق الشيخ واستحسنه، قال: يراجعون الملك. قلت: إذا رحت ما في مراجعة! اكتب لي الآن! قال: ما معي أوراق ولا عندي شيء! قلت له: أنا معي شنطة فيها أوراق. فحضّرت الشنطة، وأملى عليّ، وكتبت من إملائه كتابا للملك في ذلك، وأخذت الختم وختمته،

وأخذت الكتاب ، وسافرت معه للرياض.

أبقيت الكتاب عندي ، لما سلمت على الملك ، الملك أمر بتنزيلنا ، نزلنا في بيت ، وسلّمنا على المشايخ والإخوان ، وجلسنا مع الشيخ محمد بن إبراهيم ، أصلي معهم ، مكثنا مدة ، في الأخير استلحقونا ، فلما استلحقونا لإبلاغنا بالأمر عرضت عليهم الكتاب الذي من الشيخ عمر ، فاستحسنوه أيضا ، وأمروا بذلك. كتب الملك كتابا إلى الأمير فيصل نائبه في الحجاز، وإلى رئيس القضاة ، وإلى محمد بن ماضي أمير جيزان بذلك.

فسافرت وقابلت الملك فيصل هناك ، الأمير فيصل ، ورئيس القضاة ، وابن سليمان ، وسافرنا بعد ذلك إلى جيزان ، وباشرت العمل في أبي عريش في رمضان سنة ٥٨ ، وكان عندي شيء من الخبرة بملازمتي مع عمي عبد الرحمن لما كان قاضي في جيزان ثلاث سنوات ، وبقيت في أبو عريش مدة سنة تقريبا ، ثم نُقلت إلى محكمة فَرَسان ، وفرسان هذه جزيرة إلى جانب جيزان ، جُزر ، وقرى ، وبلدان ، ليست جزيرة واحدة ، مكثت فيها قريب ستة أشهر أو سبعة أشهر ، ثم جاء أمر آخر بنقلي وإعادتي إلى أبو عريش ، فمكثت في أبو عريش إلى سنة ١٣٦٤.

- ما يقارب خمس سنوات؟

تقريبا خمس سنوات، ثم بعد ذلك أخذت إجازة ، جعلت وكيلاً بدلي،

وسافرت إلى القصيم ، وبقيت هناك مدة ، فلما تباطؤوني كتب أمير جازان إلى وزير الداخلية ، ثم إلى أمير بريدة ، ثم إلى أمير عنيزة ، يستحثوني في الرجوع ، فاعتذرت بأعذار إذ ذاك وظروف ، ورجعت المعاملة ، فلما كان بعد شهرين تقريبا جاء مثلها ، واعتذرت مرة ثانية ، فحينئذ لما رأوا الكتابات هذه ما تفيد أبرقوا للملك ، وأبرق الملك إلى أمير عنيزة بأن أتوجه حالاً ، فحينئذ لا مناص من تنفيذ أمر الملك.

حجزوا لي بالبريد.. وسافرت فيه إلى الرياض ، وسكنت في الرياض مع المشايخ والإخوان ، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله إذ ذاك يصحح نسخ كتاب الإنصاف ، وكتاب المبدع ، لأجل أمر الملك بطبعه ، وكان المعني بذلك الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله ، وكان يلتمس من الإخوان من يراجع معه النسخ ، كل واحد يأخذ نسخة ، فطلب مني أن أشاركهم ، ففرحت بذلك، وصرت أحضر عند الشيخ محمد بن إبراهيم ، آخذ نسخة من المخطوطة ، والآخر يأخذ نسخة أخرى ، ونقرأ على الشيخ ، وإذا استشكل شيء بحثنا فيها ، تصحيح الكلمة ، وإلا تصحيح مرجعها ، أو نحو ذلك.

صادف إذ ذاك قاضي الخَرْج - الخرج إذا أُطلق في ذلك الوقت المراد به الدِّلَم وما حولها ، الذي يرأسه الشيخ عبد العزيز بن باز ، والخرج الآن

الموجود يسمونه السَّيْح ، لأنه عيون تسيح ، وليس قرية ، وإنما نخيل ، وللملك فيه قصر ، ويذهب له الملك بعض الأحيان- فصادف أن أُقيل الشيخ سالم الحناكي رحمه الله من الخرج ، فلم أشعر إلا قد بعث لي إبراهيم الشايقي رحمه الله وكان هو من كبار رجال الديوان ، وهو المعني بالمشايخ وشؤونهم مع الملك ، فأرسل لي الشايقي ، وقال: بكرة الساعة الثانية غروبي - بعد طلوع الشمس الضحى- تحضر هنا. فحضرت ، فلما دخلت عليه في مجلسه ، سلمت عليه ، أجلسني وقام بأمر الملك ، فسريعاً جاء واحد من الخدام ، وقال لي: ابن عقيل؟ ومسك يدي ، وأدخلني على الملك ، ما في المجلس أحد إلا أربعة أو خمسة بعيدون عن الملك ، باعدهم ، فسلمت عليه ، ففحصني بعينه ، ناظرني ، وقال: الأمر خير إن شاء الله، نبغيك تصير قاضي عند قصري في السيح بالخرج ، فقلت: السهباء؟ فلفت نظره ، وقال: لا ... لا .. لا ، السهباء بعيدة عندكم ، السيح جنب قصري ، جنب قصري.

فقلت له: يا طويل العمر أنا ما بعد بلغت مبلغ القضاء ، خلوني أقرأ عند الشيخ محمد بن إبراهيم أدرس ، وإذا بلغت المبلغ أنا بالسمع والطاعة. فالتفت إليّ ثانية ، وقال: محمد بن إبراهيم؟! هذا تراه أخوي وولدي ، شاوره ولا تخرج عن رأيه. قال: الشيخ محمد بن إبراهيم أخ

لي وابن لي ، وشاوره ولا تخرج عن رأيه ، تعال يا إبراهيم الشايقي امش مع الأخ ، وخلصوه.

فذهبت مع إبراهيم الشايقي وقلت له: ما أستطيع القضاء ، أنا أبغي أدرس مع محمد بن إبراهيم! فضحك الشايقي ، وقال: الذي دبّر هذا الأمر هو محمد بن إبراهيم ، هو الذي عيّنك!

والعجيب أني كنت أمس عند الشيخ ، وقبل أمس ، وكل يوم أجلس عنده ، وما قال لي شيء ، ولا أشار لي بشيء ، فخرجت من عند الشايقي ، وذهبت للشيخ محمد بن إبراهيم ، وأخبرته الخبر ، فجعل يستطعم مني الكلام: أيش قال لك الملك؟ أن الشيخ محمد بن إبراهيم ولدٌ لي وأخ لي فشاوره ولا تخرج عن رأيه. فقال الشيخ محمد بن إبراهيم: استعن بالله ، ما دام أمر الملك عليك استعن بالله وامتثل. فقلت: لا أستطيع أعمل بالقضاء ، ولا أستطيع إلا إذا كان أنت تكون مرجعي وأشاورك فيما يُشكل عليّ وما أحتاج إليه من أسئلة ، وإلا فأنا ما أستطيع. قال: فيك بركة ، فيك بركة ، وأنا مستعد لك. أو كلام هذا معناه.

فسافرت إلى الخرج ، وبقيت فيه ما شاء الله ، أشهر ليست طويلة ، أربعة أشهر أو ثلاثة أشهر ، ثم استأذنت بإجازة لأذهب إلى محل عملي الأول في أبي عريش ، لي فيه أثاث ، وعفش ، وعائلة ، فأذن لي ولي

العهد، وأعطاني سيارة، رحت فيها إلى أبو عريش، وخلصت أشغالي، وجئت.

ولما رجعت بلّغني الشايقي، وقال: إنك معيّن الآن في نجران. فذهبت للشيخ محمد بن إبراهيم، وبلّغته بالخبر، فقال: هذا ليس بأمري، قال بلهجته: ما بذا من عندي، أو: ما فهمت. يقول لي. قال: ما يطلع من عندي. أو: ما فهمت. قلت: بلى فهمت. فذهبت للشايقي واعتذرت، فصمم، فصممت أني ما أروح لنجران.

كتب الشيخ على إثر ذلك كتاباً - لم أشعر به إلا بعد وفاة الشيخ رحمه الله- إلى ولي العهد، والكتابة عندي، صورتها موجودة الآن، يقول: إلى ولي العهد، بعد السلام، من جهة عبد الله بن عقيل قاضي السيح سابقاً: بلّغتوني بأنه يكون قاضيا في نجران، وهذا لا بأس به، لكن المذكور فيه خير، ويؤمل أن يكون في أنفع من نجران، ونجران يكفيه ناصر بن جعوان قاضي الظهران سابقا، ما بينه وبين نجران إلا ثلاثة أيام، أو عبدالله ابن عبدان الموجود الآن في بريدة بدون وظيفة، والسلام عليكم. وعليه ختم. والظاهر أنه بخط ابنه إبراهيم وزير العدل.

فلم أشعر بعد أيام: خمسة أو ستة أو عشرة إلا وقد بلّغني الشايقي مرة ثانية بأنه صدر الأمر بتعييني قاضيا في الرياض.

- عام كم هذا يا شيخ عبد الله؟

عام ٦٦ في شوال.

- وكنت تلك المدة في الرياض؟

كنت تلك المدة في الرياض، نعم.

- كنت تحضر مجالس الشيخ محمد؟

أحضر مجالس الشيخ، وعنده، فتعينت في الرياض، ما هو معنا بالرياض غير الشيخ إبراهيم بن سليمان قاض في الحاضرة، والشيخ سعود بن رشود قاض في البادية.

مكثنا ما شاء الله، ثم أُقيل الشيخ إبراهيم بن سليمان، وحولوا الشيخ سعود بن رشود من البادية للحاضرة، وعينوا بدل ابن رشود في البادية الشيخ محمد بن مهيزع، وبقيت إلى سنة ٧٠، من سنة ٦٦ إلى سنة ٧٠ في محكمة الرياض.

وفي هذه السنة في آخرها شغرت وظيفة قضاء عنيزة لما أقيل الشيخ عبد الرحمن بن عَودان، فصدر الأمر من الملك عبد العزيز رحمه الله بأن أسافر إلى عنيزة قاضياً فيها، فاعتذرت وألححت من قبل ولي العهد، ومن قبل الشيخ محمد بن إبراهيم، ولكن بدون جدوى، قالوا إذا صدر

الأمر من الملك ما نستطيع ، فسافرت إلى عنيزة ، وبقيت فيها خمس سنوات ، من سنة ٧٠ إلى سنة ٧٥.

ولما فُتحت دار الإفتاء برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، وكان يلتمس لها أعضاء: جاءني كتاب من الشيخ وأنا في عنيزة على أننا طلبنا من الملك - لأن الملك سعود إذ ذاك ملك ؛ بعد وفاة الملك عبدالعزيز - أن تكون عندنا عضوا في دار الإفتاء ، فأحببنا إخبارك حتى أنك تكون على علم. بعدها بيوم أو يومين جاءتني برقية ، عندي محفوظة: عيّناك عضوا في دار الإفتاء ، فاستعن بالله ، وخلّص أعمالك في عنيزة وتوجّه.

باشرت في الإفتاء في ١ رمضان سنة ١٣٧٥ ، وبقيت فيها إلى جانب الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قرابة ١٦ سنة أو ١٥ سنة ، إلى أن توفي ، أستفيد من علومه ، وأخلاقه ، وآدابه ، ومخاطبته للناس ، ومراجعته للرؤساء ، والمراجعين يراجعونه ، والقضاة.

بعد ذلك: بعد وفاة الشيخ صدر أمر من الملك فيصل بأن أنتقل إلى هيئة التمييز ، لكن قبل ذلك لما توفي الشيخ محمد بن إبراهيم كان في مكتبه معاملات كبيرة كثيرة ضخمة يتولاها ، فأمر الملك فيصل بأن تُشكل لجنة علمية من خمسة من المشايخ ينظرون في المعاملات التي في

مكتب الشيخ محمد بن إبراهيم حتى يتمونها ، وعيَّن أسماءهم: عبد الله ابن عقيل ، محمد بن عودة ، راشد بن خنين ، عمر المترك ، عبد الله بن منيع ، ويرأسهم أكبرهم سناً ، فاجتمعنا ودرسنا الموضوع ، وقالوا: إن أكبرهم سنًّا عبد الله بن عقيل ، فصرت رئيس اللجنة هذه ، ومكثنا فيها مدة حتى خلصنا المعاملات التي فيها ، بعد ذلك أمر الملك فيصل بأن أكون عضوا في هيئة التمييز في الرياض ، وذلك في سنة ٩١.

- كم كان عدد أعضاء الهيئة في ذلك الوقت يا شيخ عبد الله؟

أعضاء هيئة التمييز: الرئيس عبد العزيز بن رشيد ، والشيخ محمد البواردي ، والشيخ محمد بن سليم ، والشيخ صالح بن غصون ، والشيخ محمد بن جبير ، وكنت معهم أنا.

بقيت في هيئة التمييز قرابة سنة ، من ٩١ إلى ٩٢.

تشكلت لجنة برئاسة الشيخ محمد بن جبير ، اسمها: الهيئة القضائية العليا ، وعيّنوني عضواً فيها ، انتقلت من هيئة التمييز إلى الهيئة القضائية العليا.

- اسمها هكذا أول ما أُنشئت: الهيئة القضائية العليا؟

نعم ، يرأسها ابن جبير ، وأعضاؤها: عبد الله بن عقيل ، وصالح بن لحيدان ، وعبد المجيد حسن ، وغنيم المبارك ، فبقيت فيها إلى سنة ٩٥

لما تشكل مجلس القضاء الأعلى.

- فضيلة الشيخ عبد الله: استكملنا أو تحدثنا في الحلقة الماضية عن شيء مما يمكن أن نسميه تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية، والذي عاصرتم أجزاء كثيرة منه، منذ عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، إلا أن الحديث توقف في اعتقادي عندما تفضلتم بالإشارة إلى إنشاء مجلس القضاء الأعلى، هل لكم أن تتفضلوا فضيلة الشيخ عبد الله بإيضاح لنا وللإخوة المستمعين والمستمعات عن إنشاء هذا المجلس، ثم التحاقكم بالعمل فيه؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

سبق أن ذكرنا لكم عما يتعلق بالهيئة القضائية العليا، وأنها أُنشئت لتكون مرجعاً للقضاء فوق هيئة التمييز، ويكون الحُكم إذا صدر من القاضي ولم يَقنع أحد الخصمين بذلك فإنه يُعطى صورة الحكم، صك الحكم، حتى يتأمله ويعد عليه لائحة اعتراضية، بنفسه أو بمن شاء من طلبة العلم أو المحامين أو غير ذلك، ثم يعيده إلى القاضي مع المعاملة، فالقاضي يتأمل فيه، إن وجد فيه ما يوجب الرجوع عما حكم به وإلا رفعه إلى هيئة التمييز، هيئة التمييز لا بد أن يميّزه ثلاثة، إن لم يكن من

الحدود، فإن كان من الحدود لا بد أن يميّزه خمسة ، كل هذا احتياطاً للحقوق والحدود ، فإذا صدقته التمييز مثلاً أو لاحظت عليه أو نقضته ، ثم لم يقتنع بذلك القاضي وأورد على ما جاء منهم إيرادات ، وصار بينهم اختلاف: فالمرجع في هذا إلى الهيئة القضائية العليا ، التي يرأسها الشيخ محمد بن جبير إذ ذاك ، وكنت إذ ذاك عضواً معهم ، فلما أنشئ مجلس القضاء الأعلى ،على وقت الملك فيصل رحمه الله ، وصار رئيسه هو الشيخ محمد الحركان رحمه الله ، صار وزيرا للعدل ، ورئيسا لمجلس القضاء الأعلى.

- عام كم كان إنشاء هذا المجلس؟

عام ٩٥ ، على وقت الملك خالد ، بعد ذلك صدر المرسوم الملكي من الملك خالد بأن الهيئة القضائية العليا هذه تكون هي الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى ، وهم الشيخ محمد بن جبير الرئيس ، والشيخ صالح بن لحيدان ، والشيخ غنيم المبارك ، والشيخ عبد المجيد حسن الجبرتي ، وأنا معهم.

لكن فاتني أن أذكر قبل ذلك مجلس الأوقاف الأعلى ، من على حياة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، لما عُيِّن مجلس الأوقاف الأعلى وصار له أعضاء معيَّنون ، منهم مندوب عن القضاء والإفتاء ، يعيّنه الشيخ

محمد بن إبراهيم ، وكان رئيس مجلس الأوقاف الأعلى بالنيابة: الشيخ محمد عمر توفيق رحمه الله ، وكتب لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يطلب منه تعيين عضو من قبله ، فأجابه بخطاب برقم وتاريخ على أن مندوبنا هو عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، فتعينتُ عضواً في مجلس الأوقاف الأعلى ، منذ تعينت إلى أن أُحلت إلى التقاعد ، مقدار ١٦ سنة[١]، وذلك عام ٨٧ ، من ٨٧ إلى عام ١٤٠٥ ، وينعقد على حسب ما يتهيأ لهم من المواد ، تارة ينعقد في الرياض ، تارة ينعقد في جدة ، تارة ينعقد في الطائف ، تارة ينعقد في المدينة ، تارة في مكة ، ومن الأعضاء إذ ذاك: الشيخ عثمان الصالح ، والسيد حبيب محمود ، والسيد أمين عطاس، والشيخ صالح الحصين ، ثم بدله محمد الثميري ، وتولى على وزارة الحج والأوقاف عدة ، منهم محمد عمر توفيق ، ومنهم محمد كتبي ، ومنهم عبد الوهاب ، وغيرهم.

أعود إلى مجلس القضاء الأعلى: مجلس القضاء الأعلى له نظام مصدَّق من المقام السامي ، واستمر هذا ، وكنت عضواً فيه ، ثم بعد أن نُقل الشيخ محمد بن حركان من مجلس القضاء الأعلى ووزارة العدل إلى رابطة العالم الإسلامي ، وتعيَّن الشيخ عبد الله بن حميد في مجلس

---

(١) كذا.

القضاء الأعلى، وتعين الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم في وزارة العدل -كانت بالأول مضمومة للشيخ محمد بن حركان، وبعده فُصلت، جعلت وزارة العدل وحدهم، ومجلس القضاء الأعلى وحدهم- عملنا مع الشيخ عبد الله بن حميد، ثم صدر الأمر بأن أكون أنا رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى.

مجلس القضاء الأعلى له أعمال يومية، تتولاها الهيئة الدائمة التي أرأسها أنا، وله جلسات دورية يرأسها رئيس المجلس، وأعضاؤها أحد عشر عضواً، منهم الخمسة الموجودون الآن، ومنهم رئيس محكمة مكة، ورئيس محكمة المدينة، ورئيس محكمة جدة، ووكيل الوزارة، واثنان أيضاً معهم، فالمقصود أن مجموعهم أحد عشر عضواً، ينعقد دورياً، لتعيين القضاة، أو ترفيعهم، أو إحالة من يُحال منهم، أو أوامر سامية في قضايا مهمة يأمر ولي العهد لأجل أن ينظرها المجلس بهيئته العامة.

- يعني يأتي من ولي الأمر أن تُنظر؟

من ولي الأمر.. يعني قضايا تتعلق بإحدى القبائل أو بأحد الأشخاص أو بأحد.. القضايا المهمة يأمر ولي الأمر بأن ينظرها المجلس بهيئته العامة، وإلا الأصل أنه ينظرها المجلس بهيئته الدائمة.

- إذاً نستطيع أن نقول هذه هي أبرز اختصاصات مجلس القضاء الأعلى؟

نعم ، هذه صفة المجلس.

- استمريتم في مجلس القضاء الأعلى كم يا شيخ؟

استمرينا في مجلس القضاء الأعلى من التاريخ الذي ذكرت لكم في سنة ٩٥ إلى ١٤٠٥ حين بلغت السن النظامية ، سبعين سنة ، فصدر الأمر من ولي الأمر -أعزه الله- بالتمديد لنا ، مددوا لنا سنة ، ثم انتهى العمل.

ولكن بعد ذلك لما أن خادم الحرمين -وفقه الله- وافق على إنشاء بنك إسلامي يعمل بدون فوائد ربوية؛ وأذن لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار أن تتولى هذا ، وصار فيها مراجعات ومخابرات ، وتم هذا: قيل لا بد لهم من هيئة شرعية يصححون لهم معاملاتهم ، ويَرجعون إليها في ما يُشكل عليهم ، فعُيِّنت هيئة ، وعُيِّنتُ رئيساً لها ، ومن أعضائها الشيخ صالح الحصيّن ، وهو نائب الرئيس ، ومنه أعضائها الشيخ مصطفى الزرقا ، ومن أعضائها الشيخ عبد الله البسام ، ومن أعضاها الشيخ عبد الله بن منيع ، ومن أعضائها الشيخ الدكتور عبد الله بن زايد ، وأخذنا على هذا مدة ، حتى الآن وعمل الهيئة على هذه الصفة.

- وما زلتم عضواً معهم؟

ما زلت رئيساً للهيئة إلى الآن ، الهيئة الشرعية ، تسمى: الهيئة الشرعية في شركة الراجحي المصرفية.

ولما صار في سنة ١٤١٨ -العام الماضي- أثير موضوع تحديد حرم المدينة المنورة ، وكان قد صدر فيه على وقت الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قرار من لجنة مكونة من عدة أشخاص ، وانتدبني الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله إذ ذاك أكون مندوباً عنه أحضر معهم ، فحضرنا إذ ذاك ، ومشينا على الحدود ، وراجعنا كلام العلماء فيما ورد في حدود المدينة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بين لابَتَيها» ، وقال: «ما بين عَيْر إلى ثَور» ، وأُثير في هذه السنة ، وعُرض على هيئة كبار العلماء بأمر من المقام السامي ، فبحثتْ في ذلك هيئة كبار العلماء ووجدت القرار السابق ، فرأت الاكتفاء به ، لأنه مستوفى ، وقد وافق عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، وقيل: تطبقه لجنة ، منهم عبد الله بن عقيل؛ حيث كان معهم فيما سبق، وتعينت اللجنة من: عبد الله بن عقيل، وعبدالله البسام ، وعبد الله بن منيع ، والسيد حبيب محمود ، والشيخ عطية سالم ، والشيخ أبوبكر الجزائري ، ومعهم مهندسون وخبراء ، فاجتمعوا اللجنة في المدينة في شهر ذي القعدة سنة ١٤١٨ ومكثت في المدينة مدة

تتجول على الحدود والأماكن بمساعدة سمو أمير المدينة ، حيث كلهم بذلوا مع الهيئة كل ما يُستطاع ، جزاهم الله خيراً ، وأصدرت الهيئة قرارها، المؤرخ في ٢/٨/١٤١٨ ، ولما اجتمعت اللجنة هذه وأرادوا أن يبدؤوا بالعمل قالوا: لا بد لهم من رئيس ، فتداولوا الرأي فيما بينهم ، وقالوا: يكون رئيسهم عبد الله بن عقيل ، فبعد أن انتهى القرار أرجعتُه إلى الشيخ عبد العزيز بن باز لعرضه على هيئة كبار العلماء ، وعُرِض على هيئة كبار العلماء ووافقت عليه ، ورُفع إلى المقام السامي: خادم الحرمين الشريفين ليطلع عليه والأمر بتنفيذه ، ولا يزال عندهم إلى الآن.[1]

- وفيه تم تحديد معالم الحرم؟

تم تحديد حدود الحرم بالمدينة على أساس ما ورد في الأحاديث الصحيحة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المدينة حرام ما بين عَيْر إلى ثَور» ، وفي حديث آخر: «ما بين لابتيها» ، اللابتين: الحرَّتين ، الحرتين شرقاً وغرباً ، وما بين عير إلى ثور: جنوباً وشمالاً. فحَدَّدها ، وفي حديث آخر: «بَريد في بريد».

(١) هذا الكلام سنة ١٤١٩ ، ثم صدرت فيه الموافقة من المقام السامي ، ووُضعت الأنصاب والعلامات على حدود الحرم بصفة دائمة إن شاء الله. انظر: فتح الجليل (ص١٤١-١٤٢).

- لكن هذه المعالم واضحة ما زالت الآن؟

الآن هي معدّة لأجل الترسيم ووضع الأنصاب بانتظار رجوعها من المقام السامي بالموافقة، وواعدونا بأنهم إذا جاءت نعود مرة ثانية إلى المدينة لنطبقها على موجب التحديد الأول.

- شيء طيب، أحسنتم يا شيخ عبد الله، الحقيقة كل ما تفضلتم به كلام جميل ورائع، وبحاجة الناس للاطلاع على هذا التاريخ المهم جدا، سواء كان عن القضاء أو عن الأوقاف أو عن بعض الأمور الأخرى التي كُلِّفتم بالإشراف عليها، أو المشاركة فيها، لكنني أعود فضيلة الشيخ عبد الله كما يقولون: عوداً على بدء، فأكرر سؤالا سبق، وهو: أبرز المشايخ الذين استفدت منهم وتتلمذتم عليهم إجمالاً.

أبرز المشايخ الذين استفدنا منهم وتتلمذنا عليهم: شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، حيث أنا نشأت معه في مدينة عنيزة، وتتلمذت عليه من صغري، حتى عُيِّنت في الوظيفة، وأخذت عنه العلوم التي كان يدرّسها في الفقه، والتوحيد، والحديث، والعقيدة، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والنحو، وغير ذلك.

- أبرز الزملاء الذين كانوا معكم في حلقة الشيخ عبد الرحمن؟

كانوا معنا في ذلك الوقت، منهم: الشيخ محمد بن عبد العزيز

المطوَّع، تولى القضاء في عدة أماكن: في المجمعة ، وفي عنيزة ، وفي الخرج ، ومنهم الشيخ محمد المنصور الزامل ، كان من أكبر تلاميذ الشيخ ، وكان يُنيبه في الخطبة ، ومنهم عبد العزيز المحمد البسام ، ومنهم سليمان الإبراهيم البسام ، ومنهم عبد الله العبد الرحمن البسام ، ومنهم عبد الله السليمان القاضي ، أبو حمد القاضي الذي في المجلة ، وغيرهم كثير.. كثير ، أفواج كثيرة.

- إذاً الشيخ عبد الرحمن يُعتبر شيخكم الأول؟

هو شيخنا الأول. ثم شيخنا الثاني: محمد بن إبراهيم رحمه الله ، الذي مكثتُ معه ١٦ سنة في دار الإفتاء ، نستفيد من علومه ، وأخلاقه ، واتزانه، وكيف يخاطب الناس على اختلاف طبقاتهم ، وهو مرجعٌ للجميع ، نحن في دار الإفتاء يأتينا المراجعون من جميع الجهات ، منهم من يأتي ابتداء ، ومنهم من يأتي مبعوثاً من قبل الجهات المختصة ، كلٌّ يراجع في مسائل العلم ، ومسائل الدين ، ومسائل المشاكل التي تقع بين القبائل ، وغير ذلك ، فهو رحمه الله علّامة.. علامة ، استفدنا منه أخلاقاً ، وعلوماً ، وآداباً، واتزاناً ، ورجولة ، رحمه الله.

- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي لا شك - فضيلة الشيخ عبد الله - أنه مدرسة كاملة ، سواء في علمه أو في أخلاقه ، وفي منهجه في التدريس ،

وتعامله مع طلابه، وهذا شيء مشتهر عنه رحمه الله..

أبرز الصفات التي كان يحملها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، هل لكم أن تتفضلوا بشيء عنه؟

أول الصفات التي يحملها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي أنه ديدنه.. وأنه هجّيراه: نفع المسلمين، صلاح النية للمسلمين، لا يحقد على أحد، ولا يُضمر لأحد سوءاً ولو أساء إليه، ومع ذلك يبذل نصحه للناس، في خطبه، وفي مجالسه، وفي دروسه، حتى في المجالس الخاصة التي يتعامل الناس فيها، لأنه رحمه الله يجيب الدعوة إذا دعي في القهوة خاصة، كما تعلمون: عادة أهل نجد يدعو بعضهم بعضاً للجلوس يتناولون القهوة وما شاكلها، فهو من دعاه إلى قهوة أجابه، فإذا جلس مع المدعوين للقهوة؛ وجعلوا الحديث في شيء: إن كان هذا الحديث نافعاً استمر به، فإن كان أنه مما لا جدوى فيه: أشار إلى بعض تلاميذه أن يُلقي سؤالا أو يبحث بحثا أو يورد مسألة، ثم يتولى الشيخ رحمه الله الجواب عليها والتفريع، ويخاطب كل أناس بمقدار مفهومهم ومعلوماتهم.

فمثلا إذا اجتمع معه طلبة علم بحث معهم بحثا علمياً.

لو فرضنا مثلا هناك أناس آخرون من الجماميل وأهل البرّ والرحلات، فأدار البحث فيما يتعلق بشؤونهم، وكيف يصلون، وكيف يتيممون،

وكيف إذا دخل الوقت ، وكيف إذا خرج الوقت.

لو فرضنا مثلا أناس مجتمعين من أهل البيع والشراء والسماسرة ، بحث فيما يتعلق بأمور البيع والشراء، وقضايا المبيع، والمواضع الربوية ، وما إلى ذلك.

حتى للنساء ، له جلسة للنساء ، يبحث فيها ما يتعلق بأحكام النساء ، وأحكام الحيض ، وأحكام التيمم ، ونحو ذلك.

فهو رحمه الله يجزئ وقته على حسب ما يتيسر له.

- لكن يا شيخ عبد الله أعرف أيضا أنكم تفضلتم بتقديم تفسيره المعروف والمشهور ، الذي عرفه القاصي والداني ، والموسوم بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، وهو تفسير معروف للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، أبرز الخصائص التي حواها هذا التفسير، مما أوجد له هذا القبول الهائل والكبير بين أوساط طلبة العلم ، بل حتى والعلماء وممن يهتمون بتفسير القرآن الكريم.

هذا يعود الله أعلم لأمرين ، الأمر الأول: صلاح نية المؤلف ، وإخلاصها ، وأنه ينوي نفع المسلمين ، وتقريب فهم كتاب الله إلى أذهانهم ، والثاني: أنه رحمه الله فسّره بعبارة واضحة لا تنبو عنها أذهان

طلبة العلم الكبار ، ولا تصعب على أذهان المبتدئين ، وتَرَك تعقيدات – مثلاً – بعض المفسرين في العبارات النحوية ، أو مثلا العبارات التي تأتي في علوم البلاغة ، والمعاني ، والبديع ، والمنطق ، ونحو ذلك ، تركها ، والخوض أيضاً في الصفات ، فصار كلاماً واضحاً يأتي به لأجل يبيّن للقارئ معنى الآية المقصود بهذا التعبير ، ثم هو سليم ، يعني أكثر التفاسير.. المفسرون رحمهم الله كثير منهم لا بد يصير فيه شيء عليه الاعتراض ، إما من ناحية الصفات ، أو من ناحية بعض التفاسير ، وهذا عُرض على المشايخ ؛ لما أن الملك عبد العزيز دعا الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي في سنة ١٣٦٠ وقيل له: تأتي بتفسيرك ، فجاء بالتفسير قبل أن يُطبع ، في دفاتر مكتوبة مخطوطة ، فجاء ووزّعوه على المشايخ ، وتأملوه، ونظروا المواضع التي هي مظنة أن يكون فيها إما تأويل لبعض آيات الصفات ، أو بعض الأشياء التي اختلف فيها ، فاتفقوا كلهم على أنه ما فيه ولا كلمة ولا حرف ولا جملة ولا آية إلا موافقة لمنهج السلف ، فلهذه الصفات امتاز هذا التفسير ، مع أنه غير مطول ، ما أطال به رحمه الله.

– شيخ عبد الله ، من هذا الحديث الطيب الجميل يقودنا إلى مسألة أخرى ، وهي أنكم التحقتم بمدرستين من أعظم وأجلّ المدارس العلمية التي استقى منها العلماء في هذه البلاد ، وهما مدرسة سماحة الشيخ

محمد بن إبراهيم رحمه الله ، ومدرسة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله ، وهما أيضا من العلماء الذين بسط الله لهم قبولاً ، وقاموا بدورهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، والاختلاط بالناس والتنزل معهم ، وفتح قلوبهم وأبوابهم للمسلمين جميعاً ، هل لكم بوصية لطلبة العلم والعلماء خصوصاً بالسير على هذا المنهج الكريم الذي يوافق منهج سلف هذه الأمة في الارتباط مع الناس عموما ومع طلبة العلم ومع الشباب وتلقينهم وتدريسهم ، والتنزل معهم وتوجيههم إلى ما يحتاجون إليه؟

نعم ، وأزيد على هذا أن الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله ، فإنه رَأَس المجلس ، وزاملناه في المدة الماضية ، في سنة ٩٥ إلى أن توفي سنة ١٤٠٢ ، سبع سنوات ، وهو أيضا شيخنا وأستاذنا ، واستفدنا منه علوماً ، ومعارف ، وحكماً ، وتجارب ، رحمه الله ، لأنه معروف بالحذق ، والجودة ، والعلم الجيد ، والاحتراز من الناس ، ما شاء الله عليه ، فاستفدنا منه أيضا فوائد كثيرة رحمه الله ، وهو جزاه الله خيراً أيضاً يعطف علينا ويرى أننا من أخص تلاميذه.

وأما الوصية فأنت أشرت إليها ، وجزاك الله خيرا ، هذا طيب ، الوصية: وصية الله للأولين والآخرين: تقوى الله تبارك وتعالى ، وأن على طلبة

العلم خاصة ، وعلى بقية المسلمين عامة تقوى الله تبارك وتعالى ، وأعظم ما يصابر طلبة العلم: حفظ الوقت عن الضياع ، كما قال ابن هبيرة -رحمه الله- الوزير:

الوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه وأراه أسهلُ ما عليك يَضيعُ

وأيضا عليهم أن يبذلوا النصح للمسلمين فيما وُلُّوا عليه ، إن كان قاضياً ، إن كان إماماً ، إن كان مدرّساً ، إن كان دكتوراً ، أن يبذلوا جهدهم ووُسعهم في إيصال المعلومات إلى الطلاب والتلاميذ ، وأن يحرصوا على نفعهم ، وينبغي للأستاذ أن ينظر إلى مستوى طالب العلم ويخاطبه بكيفية ما يَعلم أنه على مستواه.

وكذلك أيضاً مسألة القضاء: ولله الحمد الحكومة أيدها الله جعلت للقضاة كوادر ، وجعلت لهم تعليمات ، وجعلت لهم حصانة ، وجعلت لهم رواتب مغرية ، ومكنتهم من أشياء ما كان الأولون يحلمون بها ولا يتمتعون بها ، ما كان الأولون.. الذي يتولى القضاء قبل هذا الوقت إلا.. لهم رواتب ، ولهم بَراوي سنوية ، إما مقدار من التمر وقت الزكاة ، أو مقدار من البُر الحب ، وإما خرج بسيط ، الآن رتبوا الرواتب ، وقرروا لهم المقررات ، فعليهم شكر الله في هذه النعمة ، وبذل المستطاع ، حتى

يؤدوا شكر ما أوجب الله عليهم، ويحللوا رواتبهم.

وأيضا ينبغي لكل قاض أنه مع عمله في القضاء لا يفوته موضوع التدريس، تدريس الإخوان في حلقات المساجد، فإنها هي التي تفيد العلم، وهي التي تفيد الطلاب، وحتى هو نفسُه القاضي أو العالم أو المدرس إذا جلس للناس استفاد مما يعلّم الناس، لأن العلم:

يَزيد بكثرة الإنفاق منه   ويَنقص إن به كفًّا شَددتا

* * *

لقاء قناة المجد الفضائية

ضمن برنامج « صفحات من حياتي »

(على حلقتين)

تقديم الأستاذ :

فهد بن عبد العزيز السنيدي

[بعد المقدمة والترحيب]

*** في عام ١٣٣٥ وُلد الشيخ عبد الله بن عقيل في عنيزة، حدثنا عن هذه الفترة أحسن الله إليك، عن الوضع العام في عنيزة بالذات، وعن القصيم بعامة، في منتصف الثلاثينيات.**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

حياكم الله يا أخ فهد ومن معك، وأعانني على جواب الذي كلفتموني به، فأقول مستعينا بالله:

إن ولادتي في سنة ١٣٣٥ في مدينة عنيزة، ونشأت في كنف والدي عبد العزيز العقيل رحمه الله، وكان يُعتبر من أعيان بلد عنيزة، ومن أدبائها، ومن شعرائها، ومن المفكرين فيها، له قيمته في المجتمع ولله الحمد، فلما أني أدركت ما زال والدي رحمه الله يلقنني العلم ومبادئ العلوم منذ بلغت التمييز، وكنت أصحبه أحيانا إلى حلقات المشايخ، الشيخ: صالح العثمان القاضي رحمه الله، قاضي عنيزة، الذي تولى القضاء فيها سبعا وثلاثين سنة، وكذلك حلقات شيخنا عبد الرحمن بن

ناصر السعدي رحمه الله.

ثم إني دخلت الكُتّاب ، أولا : كتّاب ضعيف الله ، وهو عبد العزيز بن محمد الدامغ ، وهو الذي علّمنا فك الحروف ، وكان آل دامغ هؤلاء عدة يتولون تدريس الصغار في الكتاتيب العادية ، في اللوح ، يُؤتَون باللوح يكتبون أوائل الحروف : ألف ، باء ، تاء ، ثاء ، إلى آخرها.

ثم دخلت مدرسة الشيخ ابن صالح ، مدرسة ابن صالح المعروفة ، صالح بن صالح وأخوه عبد المحسن ، في البرغوش ، في أول ما فُتحت سنة ٤٨ ، وتعلمت عندهم علوما جيدة ، وهو رحمه الله كان يلقّن الطلاب، ويُملي عليهم أشياء ، ونقرأ عليه القرآن.

*** لكنها فُتحت مجانا يا شيخ لكل أحد أم بمقابل؟**

الظاهر فيها مقابل في الشهر ريال أو ريالين في سنة ٤٨ .

ثم فُتحت مدرسة الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله ، المُصلح الجيد، كان سافر إلى الهند ، وتعلم علوما جديدة ، في مصطلح الحديث ، والنحو والصرف - وإن كان عندنا النحو - ، وأشياء أخرى ، فدخلناها ، وتعلمنا عليه ، وحفظنا عليه القرآن ، وبدأنا في الرحبية ، والألفية ، والآجرومية ، وأشياء من الحديث : الأربعين النووية ، وغير ذلك ،

فمكثنا على هذا مدة ، من سنة ٤٨ ، وفي سنة ٤٩ التحقت بحلقات شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

وفي أثناء ذلك أيضا جلست أطلب العلم على الشيخ عبد الله بن محمد المانع ، كان يصلي في مسجد المسوكف في وسط الديرة ، نقرأ عليه ، مع قراءتنا الجيدة على الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- قراءة تحصيل وفقه وتدقيق في المسائل ، ونحفظ المتون وندرسها.

*** ومتابعة والدكم لا زالت مستمرة في هذه الفترة؟**

متابعة والدنا رحمه الله لا زالت في البيت وفي المجالس الأخرى ، عند الدعوات ، هو يدعو بعض المشايخ إلى بيته ونحضرها ، ويُدعى ونحضرها أيضا.

ثم بعد ذلك استمرينا على هذا مدة خمس سنوات تقريبا ، الثمان ، والتسع ، والعشر ، واحد ، اثنين ، ثلاثة ، في هذه السنة ، سنة ٥٣ في آخرها ، جاء أوامر من الملك رحمه الله إلى شيخنا علامة القصيم الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله بأن ينتخب عددا من المطاوعة والمشايخ لأجل يُبتعثون إلى منطقة جيزان دعاة وقضاة ومرشدين ، بعد أن هدأت الحركات التي كانت في جازان بين المملكة والأدارسة ، أو

تعقبها ما كان بين المملكة ومملكة اليمن : الإمام يحيى رحم الله الجميع، فاختير من هؤلاء القوم جماعة ، منهم عمنا الشيخ عبد الرحمن بن عقيل، ومنهم عبد الرحمن الجِمْعي ، هؤلاء وأنا معهم ثالثة من عُنيزة ، ومنهم صالح البُرَيه من المِذْنَب ، ومحمد المنصور من الرَّسّ ، وصالح السلطان من البُكيرية ، والبقية من بُريدة ، الشيخ عبد الله بن عُودة ، أبو الشيخ محمد بن عودة ، والشيخ عثمان الحَمَد المُضَيّان ، وعبد الله بن عامر ، وصالح السليمان الحُمَيْد ، وعبد الرحمن بن طِرْباق ، فذهبنا في سيارات في آخر شهر ذي القعدة ، ووصلنا إلى مكة مع الشيخ عمر ، وأسكنونا في بيت كبير عند سبع أبيار قريب من الحرم أدوار كثيرة.

*** السيارة أيش كانت ، تذكرها يا شيخ؟**

السيارات الظاهر أنها اللواري الكبار تلك.

بعد ذلك حججنا مع الملك عبد العزيز رحمه الله ، وكنا نحضر مجالسه بعد صلاة العشاء في كل ليلة ، يقرأ القارئ ، ويحضر المشايخ أئمة الحرم ، الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله رئيس القضاة ، والشيخ محمد بن مانع ، وبعض علماء مكة ، مثل السيد عَلَوي ، وأمين كُتُبي ، وغيرهم.

* طيب يا شيخ أنا أريد أيضاً أن أؤخر هذه الرحلة قليلا لأعود معكم مرة أخرى إلى عنيزة قبل سفركم أحسن الله إليكم ، كانت هناك مطارحات علمية كثيرة بين عدد من العلماء الذين عاشوا في عنيزة ، وعنيزة كانت تعتبر حاضرة للعلم في تلك الفترة ، شيخكم الشيخ العلامة ابن سعدي رحمه الله عُرف بطريقة معينة في تدريس العلم ، حدِّثنا أولا كيف كنتم تتلقون العلم عنه رحمه الله ، كيف كانت طريقته للتدريس في المسجد ، لأن عندي بعض الأسئلة تتعلق به رحمه الله.

شيخنا عبد الرحمن بن سعدي مثل ما تفضلتم ، وعنيزة كذلك مثل ما تفضلتم حاضرة للعلماء ، أئمة المساجد معروفين ، منهم الدُّبيّان ، منهم آل مانع ، ومنهم الشيخ العُمَري ، وغيرهم.

وطريقة شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تخالف طرق المشايخ الذين قبله ، كان من قبله - رحم الله الجميع - كل طالب علم يقرأ في كتاب بمفرده ، الذي يختاره هو أو يختاره له شيخه ، أما شيخنا عبد الرحمن بن سعدي فاختار كتاباً واحداً يجتمعون عليه جميعاً ، إما في الفقه ، وإلا في النحو ، وإلا في العقيدة ، وإلا في التفسير ، وإلا في الحديث ، كتاب واحد يختاره الشيخ ، ويتفقون عليه ، ربما شاورهم عليه في أول الأمر ، فيُؤخذ منه قطعة ، مثلا صفحة ، أو صفحتين ، يغيّبها

الطالب حفظا ، ثم يقرؤها ، نتحلق على الشيخ رحمه الله نحو ثلاثين أو خمسة وعشرين أو نحو ذلك ، حلقة قدامه ، على الأرض ، جالسين على الأرض على البطحاء في المسجد ، لا كرسي ولا فِراش ولا شيء ، والقاعدة أن من أراد أن يتولى الدرس يصير على يمين الشيخ ، والذي ما حفظ وإلا ما يرغب وإلا عنده كسل ، يصير في مؤخر الحلقة من يسار ، فإذا جاء الشيخ محل المجتمعين سلّم ، وسلّمنا عليه كل في محله ، بس صبحك الله بخير يا شيخ ونحو ذلك ، ثم يبقى هنيهة ، إن كان أحد عنده سؤال مهم وإلا خبر مهم ، ثم يقول : سَمّ ، فيبدأ الأول ، يقرأ المتن هذا ، فإذا قرأه غيب حفظاً ، الثاني أيضا يعيدها ، والثالث ، ثلاثة يعدونها فقط ، فإذا انتهى الثلاثة من قراءتها شرع في تفسيرها وحل ألفاظها وإعراب كلماتها ، ويُدير نظره على الطلاب ، منهم من يكون حاضراً وعيونه محيطة بالشيخ ، ومنهم من هو ينعس ، ومنهم من هو غافل ، ثم بعد ذلك بعض الأحيان يتعمد أن يغلط ، نفس الشيخ لينظر هل الحاضرون لفتوا النظر أم لا ، فبمجرد ما يغلط ينظر ، الذي حاضر البديهة يستنكر ، هل أنا غلطان أو الشيخ غلطان ، والباقون ما عرفوا بذلك.

المهم ، عندنا دروس على الشيخ ابن سعدي : في الصباح بعد طلوع الشمس بساعة ، وجلسة ثانية قبل أذان الظهر في وقت الصيف الطويل ،

وبعد صلاة الظهر قبل العصر جلسة ، وبعد العصر جلسة خفيفة ، وبعد المغرب جلسة طويلة من بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء ، يجتمع طلبة كثيرون ، وغير الطلبة من الذين يرابطون في المسجد ، من الشيبان الذين جرت عادتهم أنهم ما يخرجون من المسجد بعد صلاة المغرب إلا بعد صلاة العشاء ، فيجتمع حلقة كبيرة ، في التفسير ، فيفسرها لهم تفسيراً علمياً ، ربما تبسط معهم في الكلام ببعض الكلمات التي يفهمونها ولو لم تكن عربية ، إلى أن يؤذن العشاء ، إذا أذن العشاء انصرف الناس من الحلقة إلى صفوف المسجد وصفوا للصلاة ، هناك درس آخر بعد صلاة العشاء إما من التبصرة ، وإلا في تفسير ابن كثير ، وبعد صلاة العشاء قد يكون هناك جلسة أخرى ختامية ، هذه جلسات شيخنا رحمه الله.

*** كان رحمه الله أيضا في ما يتعلق بالمحاورات ، في ما يتعلق بخلاف العلماء يكلّف فريقين للبحث في هذه المسألة ، ويجعل في الدرس مطارحة علمية ليستفيد الحضور ، كيف كان توجيهه لهذه المسائل؟**

كان رحمه الله من هدفه توجيه الطلاب إلى فهم النصوص ومعرفة الأقوال الصحيحة ، إذا كان المسألة فيها أقوال ، فإذا كان في المسألة مثلا قولان جعل فريقين ، فريق يؤيد القول الأول المبيح لهذه المسألة ، وفريق آخر بعكسه ، يمنعها ، ويستدل كل واحد منهم بما يستحضره من الأدلة ،

إن هناك آية من القرآن أو حديث نبوي ، أو كلام لبعض السلف ، فبهذا يحصل المحاورة ، وفهم النصوص ، واستخراج القول الصحيح في ذلك، وكان يؤيد رحمه الله هذه الطريقة.

وطريقة أخرى يكل أو يكلّف بعض الطلبة أن يعيد الدرس ، فنحن مثلا دَرَسْنا الآن درساً في باب الوضوء ، ذكرنا شروط الوضوء ، وفروض الوضوء ، ونواقض الوضوء ، وأعطيناكم إياها ، هل يستطيع أحد منكم أن يعيدها علينا بمثل ما ألقيناها عليهم أو قريبا منه؟ ينبري له بعض الإخوان، ويقول : أبدا ، أنا مستعد ، فيجلس ويتكلم من جنس ما تكلم به الشيخ أو قريب من ذلك ، الشيخ يمتزج بذلك أفهام الطلاب ، وإدراكهم ، وحفظهم ، واحترازاتهم ، ونحو ذلك.

ولهذا خرج على يده عدد كثير من العلماء وطلبة العلم ، الذين تولوا مناصب في القضاء وفي الإفتاء ، وفي مناصب الدولة ، وفي الكتّاب الآخرين ، رحمه الله.

*** كان رحمه الله أيضاً عُرفت بعض كتبه في أصقاع العالم الإسلامي وسارت بها الركبان ، من ذلك تفسيره المشهور رحمه الله ، هل لهذا التفسير قصة معينة في تأليفه يا شيخ؟**

الظاهر لي - والله أعلم- أن التفسير هذا أصله ونواته الجلسة التي أخبرتكم بها سابقا ، وهي ما بين المغرب والعشاء ، نقرأ عليه ثلاث آيات أو أربع آيات ، وقد يكون حضّر عليها أولاً ، ثم يتكلم في الحلقة بتفسيرها ، وقد يفتح الله عليه في تلك الحلقة بأشياء من معاني التفسير ، ولعله بعد صلاة العشاء يفرغ هذه المعلومات في أوراق ، وكانت هي نواة التفسير هذا.

*** وأنت عندك شيء من هذه الأوراق يا شيخ؟ حصلت على مخطوط هذه الأوراق؟**

لا ، قديمة.. عند أولاده هناك مخطوطات من ذلك ، ثم التفسير هذا لما أني بعد ذلك؛ لما سافرت إلى اليمن وإلى جيزان وإلى كذا ، وتوليت القضاء في عنيزة سنة ٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ هجرية اقترحنا عليه؛ أنا ممن اقترح عليه من طلابه ، والشيخ عبد الله العوهلي كان في مكة ، وابنه عبد الله بن عبد الرحمن السعدي ، وقلنا نبغي نطبع الكتاب ، قال : الكتاب هذا كثير وثقيل ، وأخاف لا يصير له قبول. لزّمنا عليه وأكّدنا عليه، قال : أجل اطبعوا مجلداً واحداً ، فطبعنا المجلد الخامس وحده ، طبعه في مصر ، وصار فيه عدة فوائد نقلها من كلام ابن القيم رحمه الله ، ولما أنه طُبع وانتشر صار يُوزَّع مجانا ، وتلقفه الناس واستفادوا منه ، بعد

ذلك عزم الشيخ رحمه الله على أننا نطبع الكتاب جميعا ، فطُبع الطبعة الأولى ، ثم بعد ذلك توالت الطبعات عليه ، والتفسير هذا يمتاز بأنه يحرص رحمه الله على تفسير القرآن بكلام واضح يفهمه العامي وطلبة العلم ، طالب العلم لا يمجه ، والعامي يستفيد منه ، سليم من تحريف آيات الصفات ، وسليم من التعقيدات النحوية ، والاعتراضات الأشعرية ونحو ذلك ، فجاء بهذه الصورة ، ثم إنه طُبع مرة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم طُبع في مجلد واحد ، تقريباً له ، المصحف في الوسط ، والشرح والتفسير في الهوامش ، ونفع الله به.

*** وقدمتم لهذه الطبعة أيضاً.**

وقدمنا له ، نعم ، قدمنا له.

*** شيخنا أيضا حفظكم الله : الوسائل المفيدة للحياة السعيدة كتاب ماتع للشيخ رحمه الله ذُكر أن له قصة.**

هذا كما تفضلتم ، لما أن الشيخ رحمه الله مرض ، وسافر للعلاج إلى لبنان ، ودخل في الجامعة الأمريكية هناك ، واعتنوا به حتى عالجوه ، يقول : لما رجع إلينا معه الكتاب هذا ، قال : هذا الجامعة الأمريكية كل مريض يُعطى نسخة من هذا يقرؤه.

*** أي كتاب؟**

كتاب : دع القلق وابدأ الحياة ، لديل كارنيجي ، هذا عالم عظيم في علم النفس ، وتدبير الأمور ، له معهد هناك في أمريكا ، فلما مدحه لي قلت له : أحب أن أراه ، فأعارني إياه ، وقرأته ، ثم طلبت نسخة من مكة ، شراها لي عبد الله البسام رحمه الله ، وقرأته مرات ، ووجدت فيه عجائب، أشياء عظيمة ، الشيخ رحمه الله تأثر فيه ، واستخرج منه وإلا استنسخ منه هذه الكلمات التي ألّفها في كتابه المختصر هذا : الوسائل المفيدة للحياة الحميدة ، أخذه منه ، وطعّمه من عنده بأشياء ، وأدلة من الكتاب والسنة ، لأن الذي فيه كله مأخوذ من شريعتنا ، والعجيب أن هذا الدكتور ديل كارنيجي مدير معهد في أمريكا يقال ويحكى عنه أنه في آخر حياته أصابه أزمات ومضائق حتى أنه انتحر! هكذا قالوا ، والله أعلم عن صحة هذا ، أنا أستبعد أن شخصاً يؤلف الكتاب هذا وكله دع القلق وابدأ الحياة ، كله قضايا واقعية فيها مسائل تفيد الإنسان في حياته ، وترشده إلى الخروج من أي مصيبة ومن أي مشكلة ومن أي مضيقة ، ويصير به إلى هذا! ولكن الله حكيم عليم.

*** الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله رأى زميله الشيخ الفقيه عثمان القاضي في المنام ، ودار بينهما حوار.**

هو قال لي عن هذا.. نحن نجلس عند الشيخ رحمه الله ، وبعدما توفي الشيخ عثمان الصالح بمدة ، يقول : إني رأيت عثمان الصالح حضر حلقتنا ، حضر درسنا ، وجلس حتى انتهى ، ثم إننا بعد المقابلة سألتُه عن أحسن الأشياء أو أفضل الأشياء التي يستفيد منها الإنسان في آخرته ، قال: أحسن شيء طلب العلم ، تعلماً وتعليماً . ثم إنه فارق الشيخ وذهب إلى المقبرة.

الشيخ عارف في حال الرؤيا بأن عثمان الصالح ميت ، وأنه قد واجه الحساب وعرف ما هناك.

هذا الذي أنا أعرف عن هذه الرؤيا إن كانت التي تشير إليها ، فإن كان غيرها الله أعلم.

* عُرف أيضا الشيخ رحمه الله بسلامة صدره ، هذا اشتُهر عنه واستُفيض بسلامة صدره على المسلمين.

هو رحمه الله لا يحمل لأحد حسداً ، ولا حقداً ، يقابل من قابله بالإحسان ، ويقابله بوجه بشوش ، ولو كان يعرف أن عنده أشياء ، فما يحاسب على النيات ، وأصحابه يعرفون ذلك ، حتى أعداؤه يعرفون ذلك ، فإذا قابلهم فيقابلهم بحسن خلق وبشاشة وجه ، ويعرض عليهم

مثلا القهوة والاستعداد للازم ونحو ذلك ، أو إذا سئل عن أسئلة ولو فيها نوع إحراج أو تحدي ما يبالي بذلك ، ولا يلتفت إلى هذه الناحية ، يجيب على الأسئلة بالأجوبة التي يفتح الله عليها ولا يلتفت إلى غير ذلك ، معروف.

*** نعود مرة أخرى إلى انتخابكم للدعوة والقضاء في جنوب المملكة وفي اليمن ، كان هذا عام كم؟**

هذا سنة ١٣٥٣ ، لما انتُدبنا مع الشيخ عمر بن سليم إلى مكة للحج ، وحججنا مع الملك رحمه الله ، وبعدما ما حجنا ودخلت سنة ٥٤ مشّونا في سيارات إلى جيزان عن طريق أبها ، وجدنا فيها تركي السديري أميراً ، وقابلنا مقابلة طيبة ، ونزّلنا منزلاً طيباً ، وهيؤوا لنا الطريق ، ننزل على تهامة إلى جيزان على العقبة ، عقبة ضِلَاع ، وهي عقبة كأداء لا يكاد الإنسان يمشي إلا بشق الأنفس ، السيارات ما تمشي معها.

*** نزلتم بالأقدام يا شيخ؟**

على الأقدام.

*** كم كان عددكم؟**

نحن اثنا عشر شخصاً.

*** أنت أصغرهم سنًّا؟**

الظاهر نعم ، أني أنا أصغرهم.

*** يعني لأنك لم تكمل العشرين تلك الفترة لما ذهبت يا شيخ.**

من خمسة وثلاثين : ١٨ سنة.

*** لا زلت في أوائل الثمانية عشر عاما.**

نعم.

*** في تلك الفترة مؤهل الشاب في الثامنة عشرة أن يكون داعية ، أن يكون قاضياً.**

كأنهم رأوا هذا ، عندما صدر علينا الأمر حاولنا نتعذر ، ورحنا للشيخ ، ورحنا للأمير ، وبذلنا ، وقالوا : هذا أمر الملك ما أحد يستطيع يصده ، استعينوا بالله.

ومشينا رغما عن أنفنا ، ما لنا بدّ ، ويسر الله وجلسنا هناك ثلاث سنين ، أنا جلست ثلاث سنين في جيزان.

*** ثلاث سنين منقطعة ، ما تجيء للقصيم أبدا.**

لا ، أبداً!

* ولا تعلم عن والدكم؟

ولا أخبار ولا شيء ، الكتب إذا جاءتنا من أهلنا وإذا قد تمزقت ، يجعلونها في خرقة ، الظروف تقطع هذه من يد واحد إلى يد واحد ، وما هنا بريد ، إذا صار إنسان سيسافر إلى جيزان من القصيم أو العكس روّحوا معه الأمانات لأهلهم وإلا خطوط أو نحو ذلك ، فيجيئنا الكتاب قد تمزق في ظرفه ، مجعول في خرقة ، رحمهم الله.

* بقيت ثلاث سنوات؟

ثلاث سنوات ثم إنني استرخصت ، وأُذن لي ، وجئت ، وجلست في عنيزة نحو سنة ، رجعنا سنة ٥٧ ، وبقيت عند شيخنا عبد الرحمن بن سعدي سنة السبع ، وسنة ثمان في رجب جاء أمر آخر ، جاء برقية من الملك عبد العزيز إلى أمير عنيزة عبد الله الخالد السليم ، نصها : من قِبَل الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل بدا لنا فيه لازم عَجِل ، بلّغوه يتوجه إلى بريدة ، بريدة هي العاصمة ، وفيها ابن فيصل ، وابن فيصل يمشّيه.

* إلى؟

ما نعلم إلى أين! حاولنا مع الأمير، وقال : أنا بلّغتكم وما أقدر أتأخر.

سافرنا إلى بريدة ، معنا الوالد رحمه الله ، وقابلنا ابن فيصل مقابلة طيبة

رحمه الله ، وهو موجود حي ، في الخرج الآن ، في الشيخوخة رحمه الله، فسألناه ، قال : ما عندي خبر إلا أنكم توجهون إلى الرياض ، ولا أعلم.

*** هكذا جاء الأمر من الملك ؟.**

أبد ، سافرنا.. ما هناك أيضا وسائل سفر ، إلا كان هناك هؤلاء المتسببة ، يحمّلون الأخشاب الأثل من القصيم إلى الرياض ، يعمرون فيها ، وتوجه اللوريات فيها الخشب ، يركبون الناس على الخشب هذا كلهم ، والطريق لا مسفلت ، ولا ممهد ، ولا شيء!

فالأمير من العناية قال لأخوياه : انظروا هذا الشيخ خلّوه يكون بجانب السواق بالغمارة ، هذا من باب الاعتناء ، والباقون يركبون على الخشب فوق.. إلى ما يصلون.

إلى الآن أنا لا أعلم أين أروح.

*** حدِّثنا عن هذه الرحلة!**

لما سافرنا في أثناء الطريق وجدنا شيخنا عمر بن سليم رحمه الله الذي كان انتخبنا في المرة الأولى إلى جيزان ، وجدناه قد رجع من الرياض إلى القصيم ، وقد تعطلت سيارته ، والسائقون الذين معه يحاولون إصلاح العطل هذا ، فوقفنا مع بعضنا ، وسلمنا على شيخنا ومن معه من

الطلاب الذين هم زملاؤنا عند الشيخ ، والسائقون قاموا يصلحون السيارات ، وسألت الشيخ عن الموضوع ، قال : لما كنا في الرياض جاءت برقية من عمك الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضي جيزان يتعذر ويطلب الاستقالة ، وأرسلها إلى الملك عبد العزيز مع أحد أخوياه ، وقال له : يطلع عليها الشيخ عمر ، ويكتب لنا اسم الشخص الذي يرى أنه يقوم مقامه. فكتب تحتها : فلان.. عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل! فجاء الأمر بهذه الصفة ، فقلت له : يا شيخ أحسن الله إليك ، أنا ما بلغت إلى هذه الدرجة ، والقضاء صعب علي ، لعلكم تنظرون في هذا. قال : الأمر ما عاد فيه شيء ، ما أستطيع. قلت له : إذاً ، إذا كان هذا ولا بد فقضاء جيزان -هو قضاء العموم العاصمة- يصعب علي ، ألا ترون أن يكون الشيخ محمد العبد الله التويجري قاضي أبو عريش ينتقل من أبو عريش إلى جيزان ، وأصير أنا في محله ، لأن أبو عريش مركز صغير ، فاستحسن هذه الفكرة ، وقال : لا بأس ، قل لهم. قلت : كيف أقول لهم! اكتبْ لهم! قال: أنا بالبر ما عندي شيء! قلت : أنا معي شنطة فيها.. فنزلت الشنطة من السيارة ، وأملى عليّ ، وكتبتها بقلمي ، على أن عبد الله بن عقيل قد تكلف قضاء جيزان ، والأولى أن يكون.. إلى آخره ، وهات الختم يا شيخ. قال: ما معي. قلت : أنا معي اصطمبة ، أخذت الختم وختمتها.

*** وجهها لمن؟**

للملك عبد العزيز ، أخذت الكتاب في شنطتي ، وودعنا الشيخ ، ومشينا ، وصلنا إلى الرياض ، أكرمونا.

*** كم مكثتم من بريدة؟**

الظاهر أنها أربعة أيام ، على السيارات اللواري على الخشب ، أنا عاد الشيخ قالوا : الشيخ بالغمارة.

*** لكن في أثناء الطريق تقفون؟**

بالليل يقفون ، وبالنهار كذلك ، ومعنا عدد من الناس يأكلون ويشربون، يرون أنهم بنعمة بالنسبة إلى غيرهم يمشون على البعارين وإلا على رجليهم.

*** أشهُر بالبعارين؟**

نعم ، بعضهم على البعارين ، وبعضهم على رجليه ، وهذه سيارة!

لما وصلنا إلى الرياض وبقينا مدة ما شعرت إلا مندوب الملك يحضّرني إلى الملك ، وجلسنا في المجلس ، وحينئذ جاء دور خطابي الذي معي ، سألتهم قالوا أنت معيّن في جيزان ، قلت : أجل هذا الكتاب. طلعته ، فقرؤوه ، وتعجبوا منه ، راح به إبراهيم بن عيدان ، دخل به إلى

الملك عبد العزيز ، أولاً الملك عبد العزيز دخلنا عليه سلّمنا عليه ، قابلناه، وفحصنا بعيونه ، يناظر ويتأمل ويشوف.

*** دار حوار بينكما؟**

دار حوار يتعلق ذاك الوقت في موضوع تأمين الأرزاق التي تجيء من الأحساء؛ التمور وما التمور ، في شيء من التموين ، وأن التجار عندهم جشع ، وأنهم كذا وأنهم كذا ، كان الله يرحمه يتكلم هذا بحماسة ، ويشير إليّ ، ويشير لهذا ، المهم ، لما أعطيناه الكتاب كأنهم استحسنوه. فكتبوا في الحال أربعة كتب ، أعطوني إياها مفتوحة ، كتاب للملك فيصل ، هذا نائبه ، وكتاب لأمير جيزان ، وكتاب لعبد الله بن حسن رئيس القضاة ، وكتاب لابن سليمان بأنه يقتضي نقل التويجري إلى جيزان ، وتعيين ابن عقيل في أبو عريش ، وسرعة سفر ابن عقيل إلى مقر عمله ، إلى آخره.

فأخذت الأوامر هذه ، وسافرنا ، ما هناك سفر إلا بالقوافل التي تأتي بالأرزاق من جدة إلى الرياض ، حملات تبع ابن سليمان ، وترجع فاضية، ركبنا فيها ، وذلك في أول ما قامت الحرب العالمية الثانية ، في سنة ١٣٥٨ في رجب.

سافرنا إلى الطائف أولاً ، ثم قابلنا الأمير فيصل ، وكذلك ابن سليمان،

وكذلك الشيخ عبد الله بن حسن ، وجهزونا ومشّونا حتى وصلنا إلى جيزان ، باشرت العمل في أبو عريش الظاهر أنه في أواخر شعبان أو في أوائل رمضان سنة ٥٨ .

*** يعني هذه الرحلة استمرت حوالي شهر معك؟**

من رجب وشعبان ، أكثر من شهر.

*** لكن كانت في سيارات الدولة؟**

لا ، الأولى في سيارات التجار التي تحمل الأخشاب.

*** هذه من بريدة إلى الرياض ، بعد ذلك تهيأ الأمر أفضل.**

الله الله ، سيارات الحكومة هذه التي تحمل الأرزاق يرسلها ابن سليمان من جدة إلى الرياض ، بعد ذلك سلمك الله بقيت هناك ما شاء الله.

*** طبيعة القضاء في أبو عريش في تلك الفترة ، كيف كانت طبيعة القضاء في ذلك العهد ، هل كان صعوبة الناس وتعاملها مثل الآن؟**

لا ، أهل جيزان أهل أدب ، ويحترمون القضاء ، ويحترمون أوامر الحكومة ، وعندهم أدب ، وعندهم حسن سلوك ، بقينا عندهم مدة طويلة ما رأينا منهم إلا الطيب ، لأنهم ما يظهرون مظهر الأقوى ، يظهرون

مظهر الضعف واللين، بقينا مدة.

*** سافرت بمفردك، لم تتأهل بعد؟**

لا، أول ما تأهلت بعد ما رجعت سنة ٥٧ إلى ٥٨ تأهلت في عنيزة، وبقيت زوجتي في عنيزة عند بيت أبي وأمي.

*** في أثناء بقائكم في أبو عريش الفترة الأولى هل اكتفيتم بالقضاء أم كانت لكم دروس؟**

لا، الرحلة الأولى لم أكن قاضيا، وإنما كنت مع المرشدين والدعاة والموجهين والخطباء والأئمة.

*** أقصد عندما كنت قاضياً.**

ما توليت القضاء إلا في أبو عريش سنة ٥٨، وكنت في ذلك الوقت، حتى كاتب ما عندي كاتب، أنا القاضي، وأنا الهيئة، وأنا الإمام، والخطيب، والذي يعقد الأنكحة، ويوثق الطلاق، ويفتي، كل شيء، ومع ذلك نرى أنه شيء عادي، ما نتبرم من ذلك، ولا عندنا وقت دوام، بعد العشاء، بعد المغرب، بعد صلاة الفجر.

*** لكن كان للقضاء مبنى معروف الناس يأتون إليه؟**

لا، مستأجر لنا عشّة بخمسة ريالات، مسأجرينها، ويصرفها مدير

المالية ، وحاول أنه يقطعها! خمسة ريالات أجرة المحكمة ، المحكمة عشّة ، فيها قعّادة؛ يسمونها قعّادة ، على الأرض يجلس فوقها القاضي ، فقط ، ما عندنا! هذه هي!

أخذت إجازة ورجعت إلى عنيزة ، ولا وصلت عنيزة إلا بعد أكثر من الشهر ، من جيزان إلى أبها ، ومن أبها ركبونا في البريد إلى الطائف ، ثم إلى مكة ، ثم إلى الرياض بسيارة حكومة ، ومن الرياض إلى عنيزة على حسابنا سيارات أجرة ، وصلنا عنيزة ، وبقينا فيها مدة في إجازة ، إجازة مفتوحة ، ما حددت بأشهر ، وجلست فيها سلمك الله إلى قريب سنة.

*** أول راتب تقاضيته يا شيخ كم ، تذكره؟**

نعم ، أربعون ريالا فضة ، تارة يعطوننا إياها ريال فضة ، وتارة يعطوننا إياه أرباع ، ربع ريال فضة ، نصف ريال فضة ، يعطوننا إياها من هذا النوع.

*** والتعامل بها في كل المملكة مقبول؟**

نعم ، ما فيه شك ، الورق ما يعرفونها ، والعملات الأخرى ما يعرفونها.

بعد ذلك جاءت معاملة من أمير أبو عريش إلى أمير جيزان ، ومن أمير جيزان إلى وزير الداخلية ، ومن وزير الداخلية إلى المقام السامي ، أو إلى

أمير بريدة، ومن أمير بريدة إلى أمير عنيزة، ملف! على أن ابن عقيل تأخر عن عمله، ثم يدعوني أمير عنيزة، ويقول: هذه المعاملة؟ فآخذها وأكتب عليها: أنا إن شاء الله كذا وكذا، فقط أيام قليلة، أُنهي أعمالي. وتروح المعاملة، إذا أنها أخذت شهرا، شهرين، ثلاثة: جاءت معاملة ثانية.

*** أن ابن عقيل ما جاء!**

أنه ما جاء، والمعاملة تدور، وأكتب ثانية، بعد ذلك جاءت برقية من الملك: حالاً توجّه. حينئذ لا بد منه، استعنا بالله ومشينا، ومشينا عن طريق الرياض.

*** وقد تزوجت طبعاً؟**

قد تزوجت نعم، بعد ذلك متع الله بك وصلنا الرياض، وسلمنا على المشايخ، وأنسنا بهم، كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله يعتبر هو رئيس المشايخ والقضاة وكذا، قد عهد له الملك عبد العزيز رحمه الله بتصحيح كتب مخطوطة من كتب التراث: الإنصاف، والمُبْدِع، والمُطْلِع، وغيرها، كتب مخطوطة موجودة، يقول الملك عبد العزيز: نريد نطبعها ونعمم بها. ولكن نحب أن الشيخ محمد بن إبراهيم يُلقي عليها نظرة يصححها، فجمعوا الكتب هذه في بيت الشيخ.

* في أوائل الستينات؟

لا ، في سنة ٦٥ ، في رجب وشعبان[1] ، فكان عبد الرحمن بن قاسم - وهو رجل عالم وفاضل ويعتمد عليه الشيخ- يتوخى من طلبة العلم كل واحد يمسك نسخة للتصحيح ، يقابلون النسخ ، وقال لي ، وحضرت معهم عند الشيخ محمد بن إبراهيم جلسات طويلة ، وعرفني الشيخ من البحث ومن كذا ، لم أشعر يوم من الأيام إلا قد جاءني مندوب الشايقي ، وكان الشايقي إذ ذاك هو الواسطة بين الملك عبد العزيز وبين المشايخ والقضاة ، فذهبت للشايقي في القصر ، وقال : ترى بكرة الساعة أظن الثالثة غروبي لزوم تجيئنا. جئت عنده ، دخل على الملك عبد العزيز ، أنا ما أدري ، ما أعلم عن شيء ، دخل الملك عبد العزيز ، وسلّم الملك عبدالعزيز، وناظر ، وشاف ، قال : نريدك إن شاء الله قاضيا عند قصري في السَّيْح. قلت له: طوّل الله عمرك أنا ما بعد بلغت إلى مبلغ القضاء ، خلّنا

---

(١) قلت : هذا التاريخ هو الصواب ، فيصحح ما ذكرتُه في فتح الجليل (ص٧١) من أن قصة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم كانت سنة ١٣٥٨ ، فقد كان اشتبه عليّ وقتُ القصة بين رجوع شيخنا من الجنوب للمرة الأولى ذاك الوقت ، وبين رجوعه الأخير منها ، وقد جاء تعيين شيخنا في قضاء الدلم بعد تلك الحادثة بأيام سنة ٦٥.

ندرس عند الشيخ محمد بن إبراهيم وإذا كنت بعد هذا فأنا مستعد. التفت لي مرة ثانية، وقال: محمد بن إبراهيم؟ هذا تاره ولد لي وأخ لي، ولا تخرج عن رأيه، واستعن بالله، تعال يا إبراهيم الشايقي، مشّوا الشيخ. ثم قال لي هو: شف، لا يهمّونك -ويدق صدره- عليك بتقوى الله، واقرأ كتاب.. كتاب.. قلت له: الآداب الشرعية. هو للتو طبعه، قال: الآداب الشرعية. فقمت مع الشايقي، وقلت له مثل ما قلت للملك، أني ما أستطيع القضاء وأحب أني أدرس عند الشيخ محمد بن إبراهيم. فقال: الشيخ محمد بن إبراهيم هو الذي رشحك للمنصب هذا. قلت: عجيب! أنا عنده أمس وقبل أمس ولا قال لي ولا شيء!

رحت، بلّغت الشيخ محمد بن إبراهيم الكلام هذا، قال: أيش يقول الملك، أيش يقول؟ قلت: يقول إن محمد بن إبراهيم ولد لي وأخ لي، ولا تخرج عن رأيه. قال: هو صادق، استعن بالله. قلت له: ما أستطيع يا شيخ، ما أقدر. قلت: أجل بشرط، أن تكون أنت مرجعي، وما أشكل عليّ أراجعك فيه. قال: خير إن شاء الله، طيب. ومشينا إلى الخرج.

*** وافق الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن ترجع إليه في كل صغيرة وكبيرة.**

لما التزم لي بهذا، وكان رحمه الله عند كلامه، رجل جد، ورجل

صدق ، ذهبت إلى الخرج ، وجلست فيه ما شاء الله ، قليل ، خمسة أشهر أو ستة أشهر ، بعد ذلك أخذت إذناً لأرجع إلى أبو عريش ، هناك كتبي وأثاثي ، وقد تزوجت هناك أيضا زوجة ، فأذن لي ولي العهد ، وأعطاني سيارة ، وكتب إلى ابن سليمان يجهزونني ويمدّونني إلى جيزان ذهابا وإيابا ، ويعجلون في سفري ، ونحو ذلك ، وسافرت.

أنهيت أعمالي في أبو عريش ، والكتب بعضها وزعتها وبعضها جئت بها معي ، وأشياء خلصتها.

لما جئت وجدت وكيلي الشيخ عبد العزيز الشعيبي لما طالت المدة أصّلوه في محلّي ، وبقيت أياما قليلة أربعة أو خمسة أو أسبوع ، ناداني الشايقي ، وقال لي : طويل العمر يقول عيّنوك في نجران.

اعتذرت ، ودخلت على الشيخ وقلت له ، تأثر الشيخ ، وقال : هذا ليس بعلمي وليس مني أو ما فهمت. قلت : إلا والله أن فهمت إن شاء الله. كرر عليّ ؛ وأبيت مرة واحدة ، بعد ذلك كتب الشيخ محمد كتابة ، ولم يُشعرني بها ، ولم أعلم بها إلا بعد وفاته رحمه الله ، أخذت صورتها عندي : من محمد بن إبراهيم إلى ولي العهد -ذاك اليوم- الأمير سعود حفظه الله ، وبعد ، سلمكم الله ذكرتم أنكم مرشحون ابن عقيل لنجران ،

وهذا الرجل فيه بركة ، أو قال فيه نفع ، يؤمل منه نفع أبلغ من نجران ، ونجران يكفي فيه ناصر بن جَعوان ، مفصول من الظهران[1] ، ولا بين نجران والظهران إلا ثلاثة أيام ، أو عبد الله بن عَبْدان في القصيم ، وعلى كل حال الرجل فيه بركة ، والسلام عليكم.

هذا عندي الآن بختم الشيخ رحمه الله ، وأنا ما أعلم عن هذا شيئا ، بعد أيام قليلة ، أربعة أو خمسة ، ناداني الشايقي مرة ثانية ، وقال لي إنهم عينوك قاضيا في الرياض. قلت : خير إن شاء الله.

انتظرت يوما أو يومين ، قالوا : اتصل بالمحكمة ، اتصلنا بالمحكمة ، ودار الأمر بين هل أكون تبع الموجودين في المحكمة ، والمحكمة إذ ذاك فيها اثنان : الشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد من أهل حُريملاء قاضٍ للحاضرة ، والشيخ سعود بن رُشود من أهل الأفلاج قاضٍ للبادية ، هل أكون مع هؤلاء ، أو يُجعل لي مكتب خاص يصير قاضي المستعجَلة ، فدار بين الجماعة هؤلاء ، فقالوا : المستعجلة تريد لها من يستأجر لها بيت وإلا أثاث ، ويوضع لها كتّاب ، دخلوه مع الكتاب هؤلاء وخلّوهم يروحون ، دخلت معهم ، وصرت أنا والشيخ إبراهيم بن سليمان قضاة

---

(١) المقصود : ظهران الجنوب.

للحاضرة، وسعود بن رشود قاض للبادية، وجلسنا بهذا مدة، أشهر أو سنة، بعد ذلك أُحيل الشيخ إبراهيم بن سليمان أُعفي من القضاء، فرجّعوا الشيخ سعود بن رشود معي في الحاضرة، وجاؤوا بالشيخ محمد بن مُهيزع من ضرماء جعلوه للبادية، ومكثنا على هذا خمس سنين.

بعد ذلك أُقيل قاضي عنيزة الشيخ عبد الرحمن بن عَوْدان رحمه الله، أُقيل من عنيزة، وكان أهل عنيزة لهم مقام عند الملك عبد العزيز لأنهم قد رافقوه في الكويت، وخرجوا معه من الكويت إلى نجد، ومَشى معهم حتى وصّلهم إلى ديرتهم عنيزة، فصار بينه وبينهم، فقال لهم الملك عبدالعزيز: تخيّروا بين ثلاثة.. لما أنهم اشتكوا من ابن عودان، قال: ابن عودان أعفيتُه، وأنتم تخيروا بين ثلاثة، إما عبد الرحمن بن سعدي، وإلا سليمان بن عُبيد، وإلا عبد الله بن عقيل. اجتمع الأمير مع الجماعة، وتشاوروا، قالوا أما طلب الشيخ ابن سعدي: هو أكبر من هذا، ما نحب نكلفه بالقضاء، وأما يدور الأمر بين ابن عبيد وبين ابن عقيل... المهم قالوا: ابن عقيل.

صدر الأمر عليّ بأني أتوجه إلى عنيزة، فتأثرت جدا، وكرهت ذلك، وتوسطت بالأمير سعود، رحت إليه وجلست عنده، والشيخ محمد بن إبراهيم.

*** كرهت هذا لأنها بلدك؟**

أي والله، وأنا مرتاح بالرياض، المهم: ما أراد الله، قالوا كلهم، الكلام واحد: هذا أمر صدر من الملك بينه وبين آل سليم ما نستطيع نقول شيئا. رحت إجبارا إلى عنيزة، وجلست فيها خمس سنين.

فلما فُتحت دار الإفتاء برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان يلتمس لها أعضاء يكفون، رشّحني.

*** شيخنا، بالنسبة للإفتاء أنا أريد أن أؤخرها لأن عندي مجموعة من الوقفات حول عملكم في الإفتاء أود أن أقف معها وقفة أكثر.. في الخمس سنوات التي مكثتموها في القضاء في عنيزة، هل استمرت علاقتكم بشيخكم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي؟**

نعم، كنت أحضر درسه في الصباح قبل أن أفتح الباب، المحكمة هي الدار، دار القاضي هي المحكمة، وأنا القاضي، والكاتب -لعل هناك كاتب- وأنا مدير الأوقاف، وأنا المسؤول عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل شيء، أبداً على العادة ما هنا ترتيب.

جاءني كتاب من الشيخ محمد بن إبراهيم قبل أمر الملك سعود بثلاثة أيام: إلى عبد الله بن عقيل، وبعد: نحن طلبنا من الملك سعود أن تكون

عندنا عضوا في دار الإفتاء ، وقد أجابنا إلى ذلك ، فأحببنا إشعارك حتى يكون لك خبر ، فاستعد لذلك.

بعد ثلاثة أيام جاءت برقية : عيّنّاكم عضواً في دار الإفتاء ، فأنتم أنهوا أعمالكم في عنيزة وتوجهوا للرياض.

بعد ثلاثة أيام أو أربعة جاءت برقية ثانية : تصلكم الطائرة ، توجهوا فيها من عنيزة إلى الرياض أنتم وعوائلكم. فركبنا في الطائرة وجئنا أول يوم من رمضان سنة ٧٥.

*** كانت الطائرات تنزل في عنيزة في تلك الفترة ، بدأ المطار يعمل؟**

نعم ، المطار في عنيزة وبريدة.

*** لكن أثناء بقائكم في عنيزة هذه الفترة - خمس سنوات في القضاء- حضرتم أيضا خطب لشيخكم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، كل هذه الفترة كان هو خطيب الجامع؟**

..إلا! كيف ، الجامع العادة أن القاضي هو الخطيب ، منذ أُسس الجامع ، حتى جاء الشيخ ابن عَوْدان رحمه الله ، وكان يحب ويلتمس التقرب إلى الجميع ، ويعرف منزلة الشيخ ابن سعدي من الجميع ، فلما جاء قبل أذان العصر وجلس في الصف الأول ، وأذّن المؤذن ، وتكاملوا

الناس : أقام الصلاة ، الناس ينتظرون أن الشيخ عبد الرحمن بن عودان يقوم يتقدم ، ما تقدم ، قال : أين الشيخ عبد الرحمن بن سعدي؟ قالوا : حاضر. قال : صلِّ. فوقعت هذه المسألة من الناس موقعا جيد جدا ، وعرفوا أنه هذا من حذقه ، ومعرفته ، وتصفية القلوب ، فاستمر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي إماماً إلى أن توفي.

أنا جئت قاضيا بعده ، طبعا أنا من تلاميذه ، وهو شيخنا ، نحضر درسه ونصلي عنده الجمعة ، إلا أنه لما سافر إلى بيروت أنابني في الخطبة حتى رجع.

*** لكن خطبه رحمه الله أيضا كانت تتميز بأنها توافق العصر.**

الأولون كلهم ما يعرفون إلا خطب ابن نَباتة ، وإلا خطب مخطوطة مثلها ، أما هو رحمه الله كان يشوف الحالات الحاضرة التي يعالجها ، إما أخبار من الخارج ، وإلا حوادث ، أمطار ، أو سيول ، أو جراد إن جاء جراد ، وجاء الدَّبَاء ، يعاصر وقته ويخطب في المشكلات التي تتعلق في الوقت الحاضر.

[(١)] على كل حال السيارات إذا قامت تجيء ، والبريد لما أنه انتظَم ،

---

(١) في اللقاء قام المقدم هنا بالسؤال عن المجلات ، وتابع الشيخ الكلام عن =

والبرقية موجودة، فلذلك صار يعني.

والشيخ عبد الرحمن له مؤلفات في الخطب، عدد من الموضوعات.

*** وصول المجلات والكتب إليكم في عنيزة في الفترة التي نتحدث عنها كان سهلا، كانت تصلهم مجلة المنار أيضا؟**

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي من قبل، لكن ما تجيء مثل.. تجيئهم مجلة الفتح، ومجلة المنار كانت، تجيئهم أعداد لها أربعة أشهر، خمسة أشهر، إنما يقرؤون فيها، ويستفيدون منها، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي كان يكاتب محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، بينهما مكاتبات عدة، عندنا صور منها رحمه الله.

[وهنا خاتمة أسئلة وأجوبة الحلقة الأولى، ثم ختم المقدم بشكر الشيخ والمشاهدين والوعد بالحلقة الثانية]

= حوادث الخطب، ثم سأله المقدم عن مجلة المنار فأجاب بالجواب الآتي، فنقلت تتمة الجواب لموضعه، ودمجت السؤالين.

الحلقة الثانية

[بعد الترحيب والمقدمة]

*** أنتم حصلتم على إجازة عالية الإسناد، لعلكم تحدثونا عن ذلك، ما يعني حصولكم على مثل هذه الإجازة؟**

نعم سلمك الله، الإجازة معلوم من السنة على أنها من أرقى ما يتحصل عليه طالب العلم، نسبتُه إلى النبي ﷺ، يتلقى العلم عنه من سند صحيح متصل، وكان شيخنا عبد الله المطرودي رحمه الله -وهو كفيف البصر- قد اعتنى بعلم الحديث وحفظ البخاري كاملاً سنداً ومتناً، وقال لأبي، وكان صديقاً له في وقت الصغر: أريد أن تبعث لي عبد الله إلى بيتي أقابل عليه محفوظاتي من صحيح البخاري. وأنا إذ ذاك صغير السن، لكني أحسن أفك الحرف، وأعرف هذه المواضع، فقرأت عليه، فكان يحفظ البخاري وكنت أراجع له في ذلك ما شاء الله.

إنما أشار علينا أن نأخذ السند المتصل إلى النبي ﷺ من شيخه الشيخ علي بن ناصر أبو وادي، وهذا الشيخ نجدي من أهل نجد، ولكنه سافر إلى الهند ليطلب العلم على صدّيق حسن خان، و نذير حسين، وغيرهما من علماء الهند، فسافر الظاهر أنه في سنة ألف ومائتين وتسعة وتسعين.

*** كان معمّراً رحمه الله؟**

نعم، أو ما يقاربها فسافر هناك، ومكث مدة، وجاء بالأسانيد العالية، وما أبطأ، قال أما صديق حسن خان وجدته مشغول بتصريف أمور الدولة، لأنه تزوج على الملكة بيغم، وشرط عليها شروطاً بأنها ما تبرز للناس، وتولى هو الأعمال نيابة عنها.

أما نذير حسين هو جاب لنا سنده متصلاً للنبي ﷺ، ورويناه عنه، عن البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، ومشكاة المصابيح، هذه الثمانية أخذناها عنه بالسند المتصل رحمه الله، وكان معي إذ ذاك الشيخ علي بن حمد الصالحي، من طلاب الشيخ عبد الرحمن بن السعدي، وزميل لي، أنا وإياه يعني جميعاً، ما شاء الله هو ذكي وجيد، فتلقينا السند هذا، وأخذناه منه رحمه الله، وكان قد أخذه قبلنا الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سنة أربعين، تلقى هذه الإسناد من الشيخ أبو وادي، تلقاه الظاهر أنهم ثمانية من علماء عنيزة، منهم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي سنة أربعين، ونحن سنة سبعة وخمسين، بيننا سبع عشرة سنة.

*** الإجازة التي تمُنح لكم تكون كتابة؟**

لا ، هو أولاً قرأنا عليه أوائل الكتب ، البخاري قرأنا عليه جملة من أوله ، ثم صحيح مسلم من أوله ، ثم بقية الكتب ، ثم ناولَنا إياها ، وأجازنا فيما قرأناه وفي بقية الكتاب إجازة مطلقة ، فهذا من أعلى أسانيدنا ، هذا ما يتعلق بالشيخ علي بن ناصر أبو وادي.

*** لكن الشيخ أيضاً أبو وادي رحمه الله عُرف أنه سافر إلى السودان في قصة مشهورة؟**

هذا سلمك الله موضوع السودان : ظهر في ذلك الوقت شخص يقال له محمد المهدي ، وكان ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ قال : **«لا تقوم الساعة حتى يتولى رجل من أمتي أسمه كاسمي يملأ الدنيا عدلاً»** ، اسمه محمد بن عبدالله المهدي ، فأظهر شيئا من الإصلاحات والتوجهات الدينية ، وإقامة الصلوات ، والنهي عن المنكرات ، وظهر له سمعة في ذلك الوقت طيبة ، فاتفق جماعتنا أهل عنيزة أن يجمعوا للشيخ علي أبو وادي -لأنه فقير ما عنده شيء كان أول- أن يجمعوا له ما شاء الله، ويسافر إلى السودان : يعجم عود ذاك الرجل ، وما يدعوا إليه ، ونتائج الدعوة هذه ، وما يترتب على ذلك.

سافر وبقي ما شاء الله ، ثم رجع ، وقال لهم.. يعني عرف أنه ليس هو المذكور في الحديث.

*** كيف عرف ، يعني سأله قال له؟**

ما طُبِّقت أحكام الشريعة هناك ، يعني اقتنع بأقل من ذلك.

***ثم رجع الشيخ؟**

ثم رجع الشيخ بهذه الأخبار الذي.. يعني أقنعهم بأنه ليس هو المقصود.

*** شيخنا حفظكم الله : لاشك أن كل إنسان يتأثر بشخصية معينة في حياته ، الشيخ عبد الله بن عقيل حفظكم الله : كان هناك أثر لبعض علماء الإسلام ، تأثير كبير في شخصيتكم ، إلى من تُرجعون الأثر في شخصيتكم ، لمن من علماء الإسلام؟**

العلماء كلهم استفدنا منهم ، أول ما يكون استفدت من حياة والدي رحمه الله ، والدي كان طالب علم ، وكان شاعرا ، وأديبا ، وحاضر البديهة ، وصاحب نكتة ، استفدنا منه في زمن الصغر.

ثم أعظم مشايخنا الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، والشيخ محمد بن إبراهيم ، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي مكثنا معه مدة ، والشيخ محمد بن إبراهيم مكثت معه في دار الإفتاء خمس عشرة سنة ، وأنا أجلس كرسيي إلى كرسيه ، أتلقى منه التعليمات والتوجيهات ، استفدنا منه

علوم، وآداب ، وأخلاق ، وعلو ، وهمة ، ورجولة ، وصدق في القول ، وفي الفعل ، ورحمة بالناس.

*** الشيخ محمد إبراهيم سنخصص الحديث عنه بإذن الله بعد قليل ، أيضاً شيخنا كان الكتاب الفقهي الذي انتفعتم به في حياتكم وما زال؟**

كتاب الفقه : كتب الفقه هذه كان فيما سبق طلبة العلم في القصيم أول ما يبدأ طالب العلم يقول له المشايخ : ابدأ بدليل الطالب. كتاب دليل الطالب كتاب فقه مبسط للشيخ مَرْعي وواضح العبارات ، وفيه التقاسيم ، وفيه ذكر الأنواع والشروط ، يجمعها في موضوع واحد.

ثم إنه بعد ذلك هناك كتاب آخر يضاهي دليل الطالب وهو زاد المستقنع في مختصر المقنع ، للشيخ موسى الحجاوي ، هذا يقولون إنه أجمع مسائل وأكثر ، لكنه اختصره اختصارا عقّد بعض مسائله ، حتى قال بعضهم : بالغ في الإيجاز حتى كأنه من الألغاز. وهو ليس إلى هذا الحد، ولكنه بالنسبة إلى متن الدليل : الدليل أوضح بكثير ، وصاحب الدليل تعمد هذا ، قال : بالغت في إيضاحه رجاء الغفران. فاستفدنا منه ، كنت أولاً بدأت أغيّب متن الدليل ، فلما التحقت بحلقات شيخنا عبد الرحمن السعدي وجدتهم يقرؤون في زاد المستقنع ، فدخلت معهم وغيبنا زاد

المستقنع ، وهو كتاب عظيم ، موسوعة علمية ، يعني من حفظ زاد المستقنع يعتبر فقيها ، وإن كان ما استوعب غايات الكتب كلها لكنه مفتاح لبقية الكتب الأخرى : الإقناع ، والمنتهى ، والمغني ، والشرح الكبير ، والإنصاف.

*** الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في شروحاته لهذه الكتب الفقهية ، هل حُفظ منها شيء ، هل هناك شيء منها محفوظ مخطوط يا شيخ تعلمون عنه؟**

فيها مخطوطات ، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي ليس كغيره من العلماء ، فالشيخ عبد الرحمن بن سعدي إذا مسك الكتاب وقرأ فيه ، له اختيارات غير ما يختار المؤلف ، يرى أنها أصح دليلاً وأقرب تعليلاً ، فيعلق عليها في الحال ، عنده سرعة خط وبديهة ، فيعلق عليه ، كل ما مر مسألة الخلاف فيها ضعيف : ذكر قول الصحيح ، استدل به من الأحاديث من الآيات ، ولهذا صار له اجتهاد في ذلك ، كتب علقها على كتب المذهب.

طُلب منه أيضاً ، قيل له : ما دام أن لك اختياراتك ليش ما تؤلف كتابا مستقلا؟ قال : هذا ما له داعي ، الفقهاء رحمهم الله وضّحوا هذا في كتبهم غاية ما يكون ، وهنا مسائل يظهر فيها قوة الدليل قد وضعناها ،

وضعها في كتاب اسمه : المختارات الجلية ، تتبع هذا : زاد المستقنع ، وشرحه الروض المربع ، وعلّق عليه ، مع ما في فتاويه ومراسلاته إلى الناس ، أنا لما أني سافرت إلى أبو عريش وصار عندي مسائل ، وهناك ما في طلبة علم ، كنت أكتب له أستفتيه عن بعض المسائل ، وأخبره بعض الأخبار ، وكان رحمه الله يجيب لي أجوبة وافية كافية ، منها المسائل العلمية، ومنها يخبرني عن أخبار الوطن، وعن أخبار الإخوان والمشايخ، حتى بلغت الرسائل التي بيني وبينه قريب خمسين رسالة ، واحتفظنا بها، حتى.. منذ كم سنة أخرجناها للإخوان مخطوطة بخطه ، وجاء شيخ وفقه الله ، اسمه الشيخ : هيثم بن جواد الحداد ، هذا الآن في لندن ، في مكتب المنتدى الإسلامي الذي يرأسه عادل السليم ، قام وجمع الرسائل هذه وعلق عليها ، وطبعها طبعة طيبة مجلدة من أحسن ما يكون.

إذا كان ما عندك منها شيء أمنحك منها نسخة إن شاء الله.

***شيخنا قبل أن نرجع إلى الرياض لنتحدث عن فترة عملكم في الإفتاء : بودي أن أنهي فترة لقائكم بالشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : ألف كتاب حول يأجوج ومأجوج ، كان له رأي في هذه القضية ، ربما واجه هذا الرأي شيئاً من الاستغراب عند الناس ، حدثنا عن هذا الموضوع يا شيخ.**

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله ذهنه متحرر ، ينفتح له أبواب، وقد يكون يسبق وقتها ، ولهذا أفتى في بعض المسائل ، مثل ترقيع القرنية ، ونقب بعض الأجزاء ، أفتى بها بينما كان معظم الناس يمنعون من ذلك ، فهو لما رأى.. وكان يطلع على التاريخ ، وعلى جغرافية الأرض ، وعلى نحو ذلك ، فلما فكّر وجد أن الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج أنهم أكثر من الموجودين على وجه الأرض بأضعاف مضاعفة ، ولهذا النبي ﷺ لما قال : «**إن الله تبارك وتعالى أمر آدم أن يبعث من ذريته بعث النار. فقال : كم؟ قال : من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون ، كلهم في النار**». فضج الصحابة وقالوا له : كيف هذا؟ قال : «**يأجوج ومأجوج**». ورد في الأحاديث بأنه مع كثرة الناس أكثر من الموجودين ، فهو يقول : أنا فكرت أنه ما داموا أكثر من الموجودين بأضعاف مضاعفة؛ لو كانوا إنهم موجودين كان رأيناهم أو علمنا بهم ، لأنهم ما هم جن ، من ذرية آدم ، ومن ذرية نوح ، وهم الترك ، سمي الترك، لأنه تُرِك ووضع سد يأجوج ومأجوج بينهم وبين الترك.

المهم ألّف رسالة وقال إن الموجودين في شرق الكرة الأرضية هذه اليابان والروس وما إلى ذلك : إنهم هم يأجوج ومأجوج ، ألّفها ، ثم إن بعض الناس استنكرها ، ورآها وصمة من الشيخ ، فكُتب عن ذلك من

الملك عبد العزيز رحمه الله ، فاستنكروها ، وقالوا أيضاً : ترى له تفسير ، والتفسير لابد أن يكون فيه شيء. فأبرق الملك برقية إلى أمير عنيزة أنكم تبلغون الشيخ عبد الرحمن بن سعدي يتصل بنا بالرياض ، ويجيب معه كتاب التفسير.

وكان التفسير إذ ذاك دفاتر بخط يد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله.

فانزعج الناس لذلك ، وخشوا أن يكون له مغبة سيئة ، حاولوا أنهم مثلاً يتدخلون في شيء ، وإلا كذا وإلا كذا. قال لهم الشيخ : أبداً ، هذا مُنيتي أني أروح للمشايخ هناك ، وأبحث معهم ، وأستفيد من علومهم ، وإذا كان عندي أخطاء ينبهوني عليها جزاهم الله خيراً.

المهم سافر الشيخ عبد الرحمن ، وما كان هناك سيارات ، سيارة الأمير عبد الله الخالد السليم ، ووصل إلى هناك ، ونزلوه في منزلته الطيبة ، وقابله المشايخ مقابلة طيبة ، وجلس مع الملك جلسات طيبة.

أنا إذ ذاك كنت في منطقة جيزان ، وكان الإخوان -رحمهم الله ، وجزاهم الله خيرا- يعرفون علاقتي بالشيخ ، وكتبوا لي كتابات ، حتى الشيخ عبد الرحمن نفسه كتب لي كتاباً ، وقال : إنه جاءنا أمر ، وإننا جئنا

للرياض ، وعملنا كذا ، يعني لم تكن بتفصيل ، ولكن لطيف طيب.

وكذلك عبد الله العوهلي من أكبر طلابه وتلاميذه ، كتب لي كتاباً ووضّح فيه ، وفصّل فيه كل شيء.

والرسالة هذه لما قال الملك له ، قال : هؤلاء يوم الذين اجتمعوا يوم الخميس ، على العادة الملك عبد العزيز رحمه الله له مجلس في يوم الخميس خاص للمشايخ ، حتى كتاب الدواوين عندهم خبر ، إذا كان جاء في هذا الأسبوع برقيات أو مسائل أو مشاكل تتعلق بالمشايخ يستعرضها عليه ، ويحضرون المشايخ يوم الخميس.

فلما اجتمعوا قال الملك للشيخ عبد الرحمن : هؤلاء إخوانك ، ما فيهم واحد منهم قال ولا كلمة فيك ، وكلكم إخوان ، ولا انتقدوكم بشيء، إلا مسألة واحدة وهي يأجوج ومأجوج ، ما نحب أنها تنتشر ، نخاف يحصل فيها مفسدة أو شيء. قال الشيخ عبد الرحمن بموجب خطاب لي : لا بأس أما مسألة يأجوج ومأجوج لا هي من جذور العقيدة ، ما دام ترون أنه ما نتكلم فيها : لك عليّ أني ما أعيد الكلام فيها ولا أكررها بعد هذا. قال له : أجل نحن نبغي نمشي للقصيم ، خليك معنا ، وأمره بسيارة ، يكون بسيارة. بس هذه هي.

عاد هي لها رسائل ، قام واحد العام من تلاميذ تلاميذ الشيخ ، اسمه أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن صالح القاضي ، جدُّه الشيخ صالح ، قام وحققها ونقحها وذكر الأدلة على كذا ، وخرجها في كتيب شيق.

*** صاحب الكتاب تقريب الأديان ، الرسالة العلمية : الشيخ أحمد القاضي؟**

أي نعم ، جيد لا بأس به. والآن هي موجودة في الأسواق للذي يريد يطلع عليها.

*** أيضاً من كان يخلف الشيخ رحمه الله في خطبة الجمعة إذا غاب؟**

يخطبه عدة أشخاص منهم : عبد العزيز المحمد البسام ، ومنهم محمد المنصور الزامل رحمه الله ، يقال إنه - أنا ما حضرت- قالوا : خطب مرة من المرات وعليه عقال، فاستنكر الإخوان، لا سيما بعض البدو وغيرهم: كيف يصير خطيب يلبس العقال! هو ما فيه شيء الحمد الله!

*** وخطب بالعقال ، ومرّت ولا استنكر عليه أحد!**

ما أحد قال له شيء ، بس أنهم إنما استغربوا ، وإلا ما أنكروا عليه فعلاً، لا.

*** شيخنا حفظك الله خمسة عشر عاماً هي فترة بقائكم ومزاملتكم**

للشيخ محمد ابن إبراهيم ، فترة خصبة جداً ، ومرت بكم فيها عدد كبير من الأحداث والقصص ، منها أنكم عرفتم الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن كثب ، طويل الصمت ، قليل الكلام ، صاحب حكمة وتروي وبعد نظر رحمه الله ، حدثنا أولاً عن شخصية الشيخ محمد ابن إبراهيم كيف وجدتها ، لنتحدث بعد ذلك أيضاً عن ملازمتكم له.

وجدته رحمه الله الإنسان الذي يخاف من الله تبارك وتعالى ، وفيه شفقة وعطف على جميع المسلمين ، لا سيما على من في بيته ومن يتصل به من الزوار ، لطيف المعشر ، حبيب ، على أنه مهيب ، وكلامه -مثل ما تفضلت- قليل الكلام ، ويمزح أحياناً ، وتعجبه النكتة ، وتعجبه الطرفة رحمه الله ، وهو على جانب من تقوى الله ، وعلى جانب من التمسك بمذهبه وقوله وفعله ، على مبدأ رحمه الله ، وكان هو محل ثقة الحكومة من الملك عبد العزيز فمن دونه ، يعني في أكثر الأمور التي تتعلق بالمشايخ والقضاة والمحاكم والمشاكل تؤخذ من رأيه رحمه الله ، ومع ذلك : تواضع ، ومع ذلك : نكران النفس ، ما يرى له زيادة وعلو قدر ولا شيء ، ولا هو يتحدث يقول : قلت للملك ، وقال لي الملك ، وجلست مع الملك ، ما يحب يتكلم عن هذا أبداً ، حافظٌ لوقته : دروس في

الصباح ، يجلس في الصباح بعد صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس ، يدرّس في سبعة دروس ، تأتي حلقة فيها ثلاثين أربعين شخص ، في الألفية ، وفي بلوغ المرام ، وفي متن الزاد ، وفي الرحبية ، وفي أصول الفقه ، إلى آخره ، وهو مجزئ وقته كله ما بين رئاسة القضاة ، وما بين دار الإفتاء ، وما بين مجلسه في بيته بعد المغرب؛ جلسة عامة ، لمن يريد أن يسلّم ، والذي يسأل ، والذي يريد يستشكي ، ونحو ذلك.

*** كنت تحضرونها يا شيخ؟**

نحضرها غالباً ، فجلسة بعد المغرب أحضرها ، حتى أحضرها لما كنت في محكمة الرياض قبل أن نروح إلى عنيزة ، نلازم هذه الجلسة.

*** ماذا كان فيها يا شيخ؟**

جلسة في بيته خاصة ، ويصبوا قهوة وشاهي ، وأخبار ، والذين يجيئون يسلمون ، وإن كان حوادث أو مشاكل أو أشياء ، ويعطي كل ذي فضل فضله ، يتكلم مع الكبير ومع الصغير ومع المتوسط ، يعطي كل إنسان مقداره رحمه الله.

*** صدر قرار بتعينكم في الإفتاء ، كيف كان هذا القرار؟ ما مسمى وظيفتكم البدائية ، وحدثنا أيضاً عن فترة بقائكم.**

بالنسبة إلي كان غاية ما يكون من سرور ، بالنسبة أنني أعفيت من القضاء ، ومشاكل القضاء ، ووصلت إلى جانب شيخنا ، نستفيد من علومه ، وأخلاقه ، ومخاطبته للناس ، والاستفتاءات التي تجيء من داخل المملكة وخارجها ، بعضها له رأساً ، وبعضها للحكومة ، يجيء من وزراء الخارجية إلى وزراء الخارجية السعودية ، يسألون عن علماء الحرمين؛ عن المسائل ، فتحال إلى الشيخ محمد بن إبراهيم ، ويتولى الإجابة عليها ، فإن أجاب عليها.. نعم ، يعهد إلى أحد من الأعضاء أن يعد كذا ، يرشده يقول أنظر هذا الكتاب الفلاني فيه كذا ، والبحث الفلاني فيه كذا ، يرشدنا وينورنا ، نحضّر على موجب ما يقول.

*** كان أنشئ رئاسة للإفتاء بهذا المسمى؟**

أي نعم ، هي دار الإفتاء.

*** ويرأسها الشيخ محمد رحمه الله؟**

نعم.

*** وكم عدد الأعضاء؟**

ولها أعضاء ، أول ما عُين فيها انتداب من أستاذة المعاهد والكليات ، لأن الشيخ محمد رحمه الله كان هو رئيس المعاهد والكليات والإفتاء ،

فلما فُتحت عَهِدَ إلى الشيخ عبد العزيز بن رشيد، والشيخ عثمان الحقيل: يدرّسون في الصباح في المعاهد، وفي المساء بعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء يأتون لدار الإفتاء، ويرتبون بعض الأوراق، ويعرضون على الشيخ بعض الأشياء.

ثم جئت أنا أول عضو عُين فيها رسميٌّ، ثم بعد ذلك جاء الشيخ زيد ابن فياض رحمه الله، وكذلك الشيخ عبد الملك بن عمر آل الشيخ، واستمرت على هذا الشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ عبد الله بن غديان بعد ذلك، كلهم بعد ذلك.

*** لم يكن الشيخ ابن باز رحمه جاء إذ ذاك من الخرج؟**

الشيخ عبد العزيز بن باز إذ ذاك في الخرج، ثم إنه لما فتحت المعاهد والكليات نُقل من الخارج إلى التدريس في الكلية، ثم بعد ذلك عُيّن في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

*** استمر هذا الأمر خمسة عشر عاماً، والخمسة عشر عاماً التي مكثتَها في الرياض كانت مليئة كثيراً باللقاءات.**

كانت مليئة، أولاً: مصاحبتنا للشيخ محمد بن إبراهيم. ثانياً: الوفود الذين يأتون إلى الشيخ من رؤساء وعلماء وسفراء قابلناهم وأخذنا منهم

واستفدنا منهم من مخاطبة الشيخ معهم ونحو ذلك.

منهم الشيخ مثلاً الشنقيطي، أو الشيخ مثلاً العفيفي، والشيخ عبد الله ابن صالح الخليفي، وغيرهم من كبار العلماء، كلهم استفدنا منهم.

مرة من المرات كتب لنا الشيخ رحمه الله: لي أنا، والشيخ محمد بن جبير، والشيخ راشد بن خنين، يقول -كتاب عندي صورته أو عندي أصله- على أنه نظراً لكثرة التهجمات على القضاة، وعدم احترامهم، نرغب منكم حسب خبرتكم أن تضعون لنا مواد نظام في تأديب من يتعدى على المحاكم وينتهكهم، واجتمعنا وقررنا بعض الأشياء.

ومرة من المرات كتب لي رحمه الله على أننا بصدد النظر في برامج ودروس المعارف-لأنه نُقل أن فيها شيئاً- فلهذا عمّدناك أنت والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ أخي عبد اللطيف بن إبراهيم، يجتمعون عند الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم كل ليلة بعد صلاة العشاء، ويتدارسون المسائل هذه وترفعون بالنتيجة.

مرة من المرات جاء أمر على أنه الأئمة والمؤذنين يتذمرون؛ ما لهم رواتب ولا مقررات، فأمر الملك فيصل بأن تشكل لجنة تحت رئاسة عبد الله بن عقيل، ينظرون يرتبون ترتيب ما يستحق كل إمام، وما ينبغي

عمله ، والشروط التي تتوفر في كل إمام.

ومرة ثانية بعدما تعيّن الشيخ ابن حركان عهدوا إلينا أننا نضع برنامج كُتّاب العدل في ما يستحقون من المراتب ، الذي يستحقها كل واحد منهم حسب أقدميته في السلّم ، وحسب معلوماته وشهاداته ، وكل هذه الحمد لله مشت على ما يرام.

*** سافرتم معه إلى أماكن معينة يا شيخ.. صحبتموه في السفر : الشيخ محمد رحمه الله؟**

صحبناه في السفر للحج ، وفي الصيفية أيام الطائف ، مائة وعشرين يوماً.. ما هي بهذا الحد ، الصيفية ما كانت بهاك الصفة ، لكن أيام معدودة، يعني يطلب أحدنا ، يناديه لما عنده من المعاملات ، عنده معاملات : ستين معاملة ، خمسين معاملة ، أربعين معاملة ، عشرين معاملة ، على حسب كثرتها ، يذهب العضو منا إلى الطائف ، ويعرضها على الشيخ صباحاً ومساءً ، نخرج نحن وإياه إلى الرُّدَّف ، صخرة هناك كبيرة فيها ظلال ، وأرضها متساوية ، ويظهر معنا بِفراش وماء للشرب وقهوة وشاهي وأشياء ، ونجلس بعد العصر إلى أن نصلي المغرب ، نعرض عليه المعاملات هذه.

*** أيضاً كانت مهمتكم بالنسبة لعملكم هو تحرير الفتاوى ، هل تخرج هذه الفتاوى بتوقيع جماعي أم كان لكل عضو..**

لا ، باسمه هو فقط ، نحن إذا أحيلت إلينا حضَّرنا عليها وراجعنا فيها وعرضناها عليه ، إما استحسنها ، وإلا قال يحذف كذا وكذا ، وإلا قال : يزاد ، شوف الكتاب الفلاني فيه كذا ، والكتاب الفلاني فيه كذا. ثم إذا نقّحناها تُبيّض : من محمد بن إبراهيم إلى الجهة هذه.. تارة إلى الملك ، تارة لولي العهد ، تارة لأحد الوزراء ، تارة لأحد السفراء ، تارة لأحد أفراد الناس ، وطبعت هذه في ثلاثة عشر مجلدا ، موجودة.

*** أحسن الله إليكم.. أين كان العمل مقرّه ؛ دار الإفتاء السابق؟**

كان العمل في دخنة ، أولاً في بُويت بعيد شوي ، يعني ما هو إلى هذا ، ثم أخذ بيت شلهوب على شارع دخنة الكبير ، وعُمّر تعميراً على الطراز الحديث ، واستأجروه للشيخ داراً للإفتاء ، أخذ مدة وهو على هذا.

*** بقيت هذه الخمسة عشر عاما في الرياض وانقطع عهدك بالقصيم؟**

لا ما أنقطع عهدي بالقصيم ، هنا عُطَل ، وهنا مناسبات ، إما زواج وإلا شيء ، نستأذن من شيخنا كريم السجايا جزاه الله خيراً يأذن ويسمح ويصفح ، ويعطيك الخميس والجمعة ، ما غِبنا عن القصيم.

*** والدك رحمه الله متى كانت وفاته؟**

والدي رحمه الله توفي في سنة ألف وثلاثمائة واثنين وثمانين ، في آخر ذي الحجة.

*** يعني أثناء بقائكم في الرياض؟**

لا ، والدي ما انتقل من عنيزة للرياض.

*** لكن أنت كنت في الرياض؟**

أنا كنت في الرياض ، لكن هو مَرِض ، ونقلناه من القصيم إلى الرياض، ثم راح يزور في الشرقية أولاداً له ، وتأثر هناك ، ودخّلناه هناك مستشفى أرامكو ، ثم عولج علاجاً بسيطاً ، ورجعنا به الرياض ، وهو مريض ، ما أبطأ توفي رحمه الله .

*** شيخكم الشيخ عبد الرحمن السعدي أيضاً توفي نتيجة مرض رحمه الله ، كان بُعث له طائرة لنقله ولكن لم تستطع الهبوط بسبب الأمطار.**

نعم ، شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن السعدي من الأصل يخفف الأكل جداً ، نجلس معه على موائد الطعام عندنا وإلا عند غيرنا قليل الأكل ، معود نفسه على قلة الأكل ، في آخر عمره أصابه شيء الله أعلم أنه من

الضغط ، وراح المرة الأولى لما كنت قاضيا في عنيزة ، ولما ذكرنا قصته لما جاءه كتاب دع القلق وابدأ في الحياة ، وعولج ، وطاب وبرئ ، ورجع : يعني ثلاث وسبعين إلى أربعة وسبعين إلى خمسة وسبعين إلى ست وسبعين ، ست سبعين عادت عليه تلك الحالة ، وصارت في حالة شديدة ، وحرص الملك سعود رحمه الله ، أرسل الطائرات ، والبرقيات والكتابات تتوالى عليهم ، ولكن صادف أن الجو فيه سحب ورعد وبرق، ما مكّنهم ، ولا هناك مطار رسمي ، فما تمكنوا من هذا ، وسبق الأجل ، وتوفي رحمه الله ، وإلا كانوا يبغون ينقلونه إلى بيروت مرة ثانية.(١)

---

(١) بعد هذا جاء فاصل بعده تقرير ، قال فيه المقدم الأستاذ فهد السنيدي وفقه الله :

«عندما تأتي إلى الشيخ في منزله فإنك تجد العالم المتواضع الذي أزال عن عاتقه تبعات عناء الاستعلاء ، ولبس عباءة التواضع ، يستقبل طلابه وأحبابه ، وفي مكتبته العامرة يطلعك على أوراق نادرة ، فهنا فهرس لأسماء المشايخ الفضلاء الذين استجازوا من الشيخ حفظه الله ، تم ترتيبه أبجدياً ، والشيخ مرتب بطبعه ، إذ يحتفظ في ملفات كثيرة بخطابات نادرة ، ومكاتبات خاصة ، تمت بينه وبين عدد من الأعلام والقضاة منذ أكثر من ستين عاماً وتزيد ، فضلاً عن المخاطبات الخاصة بتعيينه وما يتعلق بتنقله الوظيفي ، حيث كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله يهتم به كثيراً ، ويكتب للمسؤولين بشأنه ، ويكتب

* بعد أن توفي شيخكم الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أين توجهتم؟

قبل وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم شغرت محكمة الظهران ، وهي محكمة كبرى ، إلى أن جاءني كتاب من الشيخ محمد بن إبراهيم على أن الملك أمر بأن تنتقل إلى رئيس محكمة الظهران ، فأستعن بالله ، وامتثل ، والملك يؤكد سرعة سفركم ، لأن الظهران له مدة ما فيها قاضي. فلما جاءني هذا كبر علي ، ولم أستحب أن أنتقل إلى قضاء الظهران ، وإن كان قد يقال إنه أكبر ويغبط على هذا ، ولكن أنا عدلت عنها ، وسعيت مع الشيخ محمد بن إبراهيم ، وكتبت له كتابا ، ووسّطت له من وسطت له ، على أنهم يعدلون عني. فعدلوا عني ، وعينوا زميلنا الشيخ عثمان بن إبراهيم الحقيل ، وراح هناك رحمه الله.

أما بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم فبقينا في الإفتاء تحت رئاسة ابنه الشيخ إبراهيم بن محمد ، بعد ذلك احتاجوا إلى قضاة تمييز ، فكتب

له بخاصة ، وهذه الخطابات تشكل كنزاً ثميناً يحتفظ به الشيخ ، وتراثاً يشهد بجيل مبارك ، بقيت آثاره محفوظة ، وقد صدرت فتاوى الشيخ التي خرجت منه مكتوبة في عدد من المناسبات ، وقام أحد طلبته بجمعها في مجلدين ، تحت اسم : فتاوى الشيخ عبد الله بن عقيل».

الشيخ الحركان -لما كان هو رئيس القضاة- كتب إلى الملك فيصل كتابة، يعني أقنعه بذلك ، فكتب الملك فيصل كتاباً على أن عبد الله بن عقيل - أول ما يكون قال : هذا سري - أن عبد الله بن عقيل يُنقل إلى التمييز بمرتبته ، تنزع المرتبة -المراتب هناك قليلة- تنزع المرتبة من دار الإفتاء وتحوّر إلى وزارة العدل ، ويكون ابن عقيل عضواً في هيئة التمييز، فكانت هيئة التمييز ما فيها إلا الشيخ ابن رشيد وآخر معه ، وعندهم معاملات متكدسة ، وتضايق منها ابن حركان ، وكان الخطاب هذا صدر إلى وزير المالية الأمير مساعد بن عبد الرحمن «سريّ» ، فلا استطاعوا يفتحونه ، والأمير مساعد مسافر إلى الخارج ، فتضايق ابن حركان ، وحاول مع كل جهة ، حتى أنهم اتصلوا بالأمير في المحل الذي هو فيه ، وقال : افتحوا الكتاب. فتحوه وجدوه «سري» بهذه الصفة ، فأحيلت الأوراق إلى ديوان الخدمة من أجل نزع المرتبة ، وباشرنا في التمييز نحو سنة في الرياض. ثم أُحدثت وظائف جديدة اسمها الهيئة القضائية العليا ، أحدثها الشيخ ابن حركان ، وعيّن لها رئيساً الشيخ محمد بن جبير ، وعينوني نقلوني من التمييز إلى الهيئة القضائية العليا.

*** وكانت مهمتها؟**

مهمتها النظر في المعاملات التي إما تُشكل على القاضي ، وإلا تشكل

على التمييز ، وإلا يصير بين التمييز وبين حاكم القضية خلاف فيها ، القاضي حَكَم والتمييز لاحظ ، والقاضي لم يقتنع.

*** فتفصل الهيئة؟**

فالهيئة تقضي عليه ، كذلك يأتي من قبل الملك ، ومن ولي العهد قضايا تتعلق ببعض القبائل ، وإلا ببعض الشخصيات ، وإلا ببعض القتلى، فهذه مهمة الهيئة القضائية العليا.

مكثنا فيها نحن والشيخ محمد بن جبير رحمه الله نحو سنة أو أقل أو سنتين ، ثم أُحدث مجلس القضاء الأعلى ، وكنا في الهيئة القضائية خمسة ، الشيخ محمد بن جبير ، والشيخ غنيم المبارك ، والشيخ عبدالمجيد حسن ، والشيخ صالح بن لحيدان ، وأنا ، فلما شُكّل مجلس القضاء الأعلى قيل هؤلاء الخمسة ينتقلون إلى مجلس القضاء الأعلى ويكوّنون الهيئة الدائمة.

ولمجلس القضاء الأعلى -كما لا يخفى على شريف علمكم- هيئتين: هيئة عامة تجتمع في السنة مرة أو مرتين للنظر في شؤون القضاة ، والإحالة للتقاعد ، والتأديب ، وما إلى ذلك ، ما تنظر في القضايا ، تنظر في الأشخاص ، وأما الهيئة الدائمة فتجلس في القضايا ، في بقية الدوام ،

وإذا اجتمع المجلس بعمومه ، شاركت في العامة.

*** كان يرأسها الشيخ الحركان؟**

الذي أسسها الشيخ ابن حركان ، نعم ، ثم بعد ذلك بعد ما مكث ابن حركان ما شاء الله عُيّن في الرابطة ، وحلّ محلّه شيخنا الشيخ عبد الله بن حميد ، وكنا -جزاه الله خيرا- عنده بمنزلة طيبة ، وهو بمنزلة والدنا ، وكون بيننا وبينه معرفة قديمة ، ولا سيما لما كنت أنا في عنيزة وهو في بريدة ، مدة طويلة ، نتزاور ونتعازم ، ونستفتيه ، ويرشدنا ، وهو رجل فيه خير ، ما شاء الله ، الله يغفر لنا وله ، بقي فيها حتى توفي ، الله المستعان ، فلما توفي تولى بعد ذلك الشيخ إبراهيم بن محمد ، الله المستعان ، انتهى، هذا فيما يتعلق بمجلس القضاء الأعلى

*** لكن أنت كنت في الهيئة الدائمة رئيساً لها؟**

كان أولاً يرأسها الشيخ ابن حميد ، فلما أنه نظر ورأى الأعمال شاقة قال : النظام أنك أنت ما تشترك معهم في تلك القضايا ، أنت نظرك في العامة ، فعينوني أنا.

كتب هو إلى الملك على كذا وكذا وكذا -الملك فهد ، بعد وفاة الملك خالد- فصدر أمر من الملك ، وقرار من وزير العدل : أن أكون أنا

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى ، ومكثنا فيها حتى بلغت سن التقاعد في سنة ألف وأربعمائة وخمسة ، بعد ذلك مددوا لنا سنة ثم أعفونا ، وجزاهم الله خيراً.

*** شيخنا أيضاً يؤم بيتكم العامر ودروسكم عدد من طلبة العلم ، وهناك عدد من تلاميذكم الذين تسلموا مراكز عديدة ، من هم أشهر تلاميذكم الآن يا شيخ؟**

ما شاء الله ، من أشهرهم وأفضلهم الدكتور عبد المحسن العسكر ، رجل فاضل وعالم ، ما شاء الله و محيط علم ، بأي فن تسأله عنه – ما شاء الله– عنده معرفة ، وعنده حذق وحفظ.

*** أستاذ اللغة العربية؟**

لا سيما باللغة العربية ما شاء الله ، ودرس علينا جزاه الله خيراً ، ويأتي يدرس علينا : باسم أنه يدرس علينا ، ونحن نستفيد منه مثل ما يستفيد منا أو أكثر!

*** هذا من تواضعكم حفظكم الله ، وهناك عدد من الطلبة أيضاً؟**

الشيخ صالح بن عبد العزيز يعني رئيس الدعوة منهم ، منهم الشيخ سعود بن شريم إمام الحرم ، وكثيرون ما نحصيهم.

*** ما شاء الله أيضاً لا زالت هناك عدد من الدروس لكم تقام حتى الآن.**

الآن نجلس لهم بعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء كل يوم ، وبعد صلاة الفجر وبعد صلاة الظهر غالباً.

*** هذا أين يا شيخ في البيت؟**

في بيتي ، في المجلس هذا.

*** ليس لكم دروس في المسجد ؟**

مسجدنا ما له جماعة يحضرون الدروس ويستفيدون ، غاية ما يكون أنا والطلبة.

*** لك منهج معين مع هؤلاء الطلبة تدرّسه يا شيخ؟**

التدريس يأتي الطالب معه الكتاب أو يشاورني على كتاب ، نتفق على كتاب ، فيأتي.. تارة يأتون جماعة : ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، عشرة ، وبعضهم أزيد من ذلك ، بعضهم ثمانية عشر ، يجيئون من الدوادمي يدرسون ويروحون ، فيقرأ الإنسان الكتاب ، ثم نتكلم عليه على حسب ما يفتح الله تبارك وتعالى ، وإذا كان فيه إشكال راجعنا الكتب الموجودة ، وإذا كان عند أحد سؤال أجبنا عليه ، وإذا مثلاً صار غفلة من عندي نبهنا عليها الطلاب ، قلنا : جزاكم الله خيراً ، طيب ، هذا من أحسن ما يكون.

وتمشي الأمور هكذا ولله الحمد.

*** في مكتبة الشيخ عبد الله يعني حفظه الله تراث كبير من المراسلات، سواء بينه وبين طلبة العلم، بينه وبين مشايخه، أيضاً هناك بعض الفتاوى التي لا زالت موجودة مخطوطة عند الشيخ، ما هي الأفكار التي ينوي أو الإنجازات التي ينوي الشيخ عبد الله حفظه الله أن يخرجها في ما يتعلق بالتآليف والكتب والرسائل؟**

الفتاوى عهد إلي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عندما أُسست جريدة الدعوة، الدعوة الآن مجلة، أول ما أسست جريدة، وقالوا لي تأخذ صفحة منها تكون للفتاوى أسبوعية، وعَهد إلي، ومشّيتها مدة طويلة.

*** ما شاء الله أنت الذي تفتي في المجلة في أوائلها؟**

نعم، من أول يوم، فجمعنا منها فتاوى، بعضها من عندي، وبعضها من فتاوى الشيخ، وبعضها من بعض الكتب، وجمعنا فيها عدداً، وطبعناها، وهي في مجلدين الآن، مجلدين مطبوعة، ومكتوب عليها فتاوى ابن عقيل، إذا كان ما هي عندك نعطيك مستعدين.

*** نأخذها ونطلع المشاهد عليها إن شاء الله، جزاك الله خيراً شيخنا،**

أيضاً قبل أن أختم هذا اللقاء أود أن أسألكم على حياتكم الخاصة ، لكم عدد من الأبناء ، كم عددهم يا شيخ؟

عدد الأبناء أصلحهم الله خمسة عشر ، توفي منهم واحد رحمه الله ، محمد ، بعد أدائه مناسك الحج سنة أربعمائة ، والباقي منهم الآن أربعة عشر ، كلهم متزوجون ولله الحمد ، وكلهم عندهم ذرية ، والبنات الموجود منهن الآن أحد عشر ، وكلهن متزوجات ، وعند أولادهن وأزواجهن ولله الحمد.

*** الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل وهو على أعتاب التسعين ونسأل الله تعالى أن يختم له بخير خاتمة ، ماذا يتمنى الشيخ عبد الله؟ ما هي الأمور التي كان يود أن يحققها ولا زال يسعى فيها؟ ما هي رسالة الشيخ عبد الله؟**

أهم شيء عندنا حسن الخاتمة ، أن الله تبارك وتعالى يحُسن الخاتمة ، والدعاء : اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي. والحمد لله : متَّعنا الله تبارك وتعالى بهذا العمر ، وأمدنا بهؤلاء الأولاد ، وأعطانا من الأموال ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ ، نحمد الله ونشكره ، ونسأله تبارك وتعالى أن يحُسن

الختام ، وأن يوزعنا شكر هذه النعمة ، لأن النعم تحتاج إلى شكر ، لأن الله يقول ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾.

*** على كل حال نحن أيضاً نشكرك فضيلة الشيخ ، ونسأل الله تعالى أن يبارك في جهدك وفي عمرك ، وأن يختم لك بخير خاتمة ، وأن يجزيك عنا خير الجزاء على صبرك وتحملك من خلال هاتين الحلقتين ، وشكراً لكم فضيلة الشيخ.**

وأنت أيضاً نشكرك ، ونشكر الإذاعة التي أتاحت لنا هذه الفرصة ، حتى أن الإنسان يتحدث بما تيسر ، وإن كان في البال وفي الأمل أن يكون اللقاء أكثر ، وأن نتحدث أكثر ، لأن الفوائد كثيرة ، والدعوة إلى الله تبارك وتعالى.. إن من أهم وسائل إبلاغ الدعوة اللقاءات هذه ، وبارك الله فيكم، وجزاكم الله عنا وعن المسلمين والمستمعين والمشاهدين خير الجزاء.

[ثم ختم المقدم الحلقة بالشكر للشيخ والمستمعين]

الحج في ذاكرة عالم

حوار مع فضيلة الشيخ

عبدالله بن عبدالعزيز العقيل

حوار أجرته مجلة التوعية الإسلامية

أجرى الحوار : طلال السيف

ها نحن في هذا العدد نقف على ظلال وارفة من نفحات عالم كبير ، ونسبح معه في ذكريات عاطرة في الحج ، يحدِّثنا فيها عن ذكرياته من أول حجة حجها ، وما جرى في هذا التاريخ المتطاول من أحداث سطرت في شذرات لها قيمتها وعمقها وحكمتها .

إنه حوار مع ذاكرة عالم جليل خدم العلم وتخرج من بين يديه مئات من العلماء وطلبة العلم ، إنه فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل.

*** فضيلة الشيخ : نود الحديث مع فضيلتكم عن الحج من خلال ذاكرتكم عن أول حجة كانت لكم .**

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانك اللهم لا علم إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، وبعد :

سألتم عن أول حجة حججناها ، فأقول :

أول حجة حججناها كانت مع شيخنا عمر بن محمد بن سليم – رحمه الله – في سنة ١٣٥٣هـ ، كان قد كلفه الملك عبدالعزيز – رحمه الله – بأن يختار جماعة من طلبة العلم بقصد بعثهم إلى منطقة جيزان ليكونوا هناك، ويكونوا محفظين ومعلمي قراءات ، وأئمة وخطباء ، وشيوخ ، فاختار

الشيخ عمر بن سليم رحمه الله مجموعة من شباب طلبة العلم منهم : محمد بن عبدالرحمن بن عقيل ، وأنا معه (ابن أخيه) ، وابنه الشيخ عبدالله بن عقيل ، والد الشيخ محمد بن عبدالله بن عقيل رئيس بعثة الحج سابقاً. حججنا مع الشيخ بسيارات ، ولم تكن متوفرة وقتئذ إلا لدى الحكومة ، وبعض أفراد الناس فقط ، وكان الناس يحجون على الإبل وقتئذ ، حججنا في تلك السنة نحن والشيخ مع الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وكانت وقتذاك منى خالية حيث كان الحجاج قليلين .

وفي تلك السنة حصل الاعتداء على الملك عبدالعزيز رحمه الله يوم العاشر من ذي الحجة يوم العيد ، بعدما قضى الناس مناسكهم وانصرفوا من عرفات ثم من مزدلفة ثم إلى منى وذهبوا لرمي الجمار ، وتحللوا التحلل الأول ثم نزلوا إلى مكة ، ولم يبق من مناسك الحج إلا الطواف – طواف الإفاضة – ، وكان الملك عبدالعزيز هو وموكبه قبلنا بدقائق فقط، ثم دخل المطاف ومعه ابنه الملك سعود – ولي العهد – وأخوياهم، وأخلوا المطاف نسبياً ، ولم يبق إلا رجلان يقرآن القرآن في الحِجر ، فلما طاف الملك عبدالعزيز الشوط الأول وبدأ بالشوط الثاني وهو مواجه الحجر طلع عليه واحد من هؤلاء معه سكين شاهرها وهو يلوح بها بيده، فصدّه الحرس وأطلقوا عليه النار ، وسقط في المطاف وخرت الدماء ،

وانزعج الناس ، وتوقف الناس عن المطاف ، ولم يتمكن الملك من إكمال الطواف ، وكان هناك غرفة تبع الأغوات ، فاستراح فيها نسبياً حتى رجع وأكمل الطواف ثم رجع إلى (منى) . ونحن دخلنا بعدما انفض هذا، وهناك من ينظف ويغسل الدماء ، ولم نعلم بشيء من ذلك حتى أكملنا طوافنا .

وقد انزعج الناس حقيقة من هؤلاء المعتدين ، وقيل إنهم كانوا ثلاثة ، قتل واحد ، وقيل فر واحد منهم باتجاه باب الصفا ، والثالث اندس في الطواف . وقضينا حجنا وانتهينا والملك ما أصابه شيء والحمد لله ، ربنا ولك الحمد .

بعد ذلك : لما انتهت مناسك الحج كنا نحضر عند الملك عبدالعزيز في قصر (الصفا) بعد صلاة العشاء ، يحضر جلسة رسمية يحضرها المشايخ ، الشيخ عبدالله بن حسن رئيس القضاة ، وأئمة الحرم ، والشيخ محمد بن مانع ، وبعض المشايخ من الحجاج ورؤسائهم يقرأ القارئ فصلين :

أحدهما : من كتاب تاريخ ابن كثير « البداية والنهاية » .

والثاني : في التفسير .

كانت كل ليلة تأتينا السيارات عند باب الحرم نركب فيها ونذهب ، بقينا بقية ذي الحجة وبداية المحرم ، فالملك ما رجع إلى دياره إلا في آخر المحرم ، هذه أول حجة حججناها ، كانت الإمكانيات قليلة ، والناس يحجون على الإبل ، والنساء يركبن على الشداد (المحمل) .

كان الناس من أراد منهم الحج إذا انتهى رمضان ودخل شوال قاموا يستعدون للحج وتجهيز الخيام والجمال ، ويسافرون من بلادهم إلى مكة ، منهم من يقطع سفره في خمسة عشر يوماً ، ومنهم في ثلاثة أيام ، ومنهم في أقل أو أكثر .

والماء وقتئذ كان فيه شح ، ليس هناك ماء إلا (عين زبيدة) يرتوون منها تارة ومن آبار أخرى تارة . وكانوا يسمونه يوم (التروية) يعني أنهم يروون القِرَب ما يكفيهم أيام الحج ، وهي سبعة أيام : اليوم الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر ، واليوم السابع يسمونه « يوم الزينة » يسوي الناس فيه رواحلهم وهوادجهم استعداداً للحركة ، واليوم الثامن يسمونه « يوم التروية » ، واليوم التاسع يسمونه « يوم عرفة » ، واليوم العاشر يسمونه « يوم النحر » ، واليوم الحادي عشر له اسمان : منهم من يسميه «يوم القر» يستقر فيه الناس في منى. ومنهم من يسميه « يوم الرؤوس » يتفرغ فيه الناس لذبح الضحايا

وهو يوم عيد ، الناس فيهم منشغلون : منهم المشغول بالطواف ، ومنهم المشغول بالحلق ، ومنهم المشغول بالنحر .

اليوم الثاني عشر يسمونه « يوم النفر الأول » .

اليوم الثالث عشر : يسمونه « يوم النفر الثاني » .

هذا ما أتذكره من ذلك الوقت من الحج ، وكان الملك عبدالعزيز يجلس مع الناس في مجالس بسيطة لا يمنع أحداً عن مجلسه ، وكان يلتقي بالصغير والكبير والبدوي والحضري والعجمي من الحجاج في استقبالات واحتفالات من الملك عبدالعزيز يدعو فيها رؤساء وفود الحجاج في يوم العيد ، ويوم ثان لأناس آخرين .

*** هل كان معروفاً عدد الحجاج في ذلك الوقت ؟**

طبعاً ، جريدة أم القرى تنشر عددهم لكن أنا ما أتذكر عددهم في عام ١٣٥٣هـ ، جريدة أم القرى موجودة مجلدة ، ومصححة وعند الحكومة، وعند المعتني بها من الأدباء والكتاب ورؤساء دور النشر ، وبها الأخبار والإحصاءات ، لكنني لا أتذكر العدد بالضبط .

*** شيخنا : كيف كان وضع المشاعر المقدسة في ذلك الوقت؟**

من ناحية الترتيب : كان أولاد الملك عبدالعزيز رحمه الله هم الذين

يخدمون الحجاج ويصرّفونهم ، ورأيت واحداً منهم واقفاً ماسكاً بعصى كبيرة يحرك السيارات وينظمها .

كان الملك فيصل والملك خالد والملك فهد – رحمهم الله – وكل أولاد الملك عبدالعزيز كانوا وهم محرمون كانوا يصرّفون الناس ويرشدونهم .

*** هل كانت المقامات المذهبية موجودة في ذلك الوقت ؟**

نعم . حججنا وما يزال مقام الحنفي ، ومقام الشافعي ، ومقام المالكي، ومقام الحنبلي موجوداً .

وكام مقام الحنفي : يقع شمال الكعبة الآن ، فيه بناية عليه ، هدموه ثم أعادوه مرة ثانية ، ومقام الشافعي : كان فوق زمزم قريب من الكعبة ما بينه وبينها إلا عشرة أمتار .

ومقام الحنبلي : الظاهر أنه كان يقع جنوباً ، ومقام المالكي : كان يقع غرباً ، وكام مقام إبراهيم شرق الكعبة كان مهيئاً له محلاً معروفاً عنده وما يصلى فيها، وكان كل مذهب يصلي وحده ، وذلك قبل وجود الحكومة .

أول من يصلي الشافعي ، ثم بعده الحنبلي ، ثم المالكي ، وآخرهم الحنفي ، ما كان الحنفية يصلون إلا قبل طلوع الشمس بقليل . وجاء

الملك عبدالعزيز وأبطل هذه العادة وقال : يصلون خلف إمام واحد ، وبقيت هذه المقامات مدة طويلة ، الله أعلم متى ؟ يمكن بعده بعشرين سنة جاءت توسعة الحرم وهدموها .

*** هل كانت أرض الحرم (مبلطة) أم كانت من التراب ؟**

كانت أرض الحرم مفروشة بالحصباء إلا مشّايات الأبواب الرئيسية ، باب السلام له مشاية تصل إلى الكعبة ، وباب العمرة ، وباب إبراهيم ، وباب الصفا ، كان لها مشايات بدل الحصباء التي تجرح القدم إذا مشى الناس فيها ، بعد ذلك تغيرت الأحوال وبلطوها كلها .

*** نرجو أن تحدثنا عن مشاعرك : أول ما رأيت البيت الحرام وأنت مقبل على ركن عظيم من أركان الإسلام ؟**

على كل حال ، كل إنسان يصل إلى هذا المحل يشعر بمشاعر الخشوع والخوف من الله تعالى ، هذا المحل العظيم الذي جعله الله تبارك وتعالى محلاً ليحج إليه الناس منذ إبراهيم ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ﴾ [الأنعام : ٢٧-٢٨] ودعوة إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿رَّبَّنَا إِنِّي

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] قال بعض المفسرين : إن إبراهيم عليه السلام قال : فاجعل أفئدة من الناس ، ومن هنا للتبعيض ، لو قال : فاجعل أفئدة الناس لأتى الناس جميعاً إلى البيت ولم يسعهم .

*** شيخنا : من كان إمام الحرم في ذلك الوقت ؟ هل كانوا عدة أئمة ، أم كان إماماً واحداً ؟**

كان الإمام الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح ، وكان رجلاً عالماً وعاقلاً وفصيح اللسان ، من علماء الأزهر ، ولما تولى الملك عبدالعزيز رحمه الله الحرمين طلب إماماً من الأزهر ، وكان بينه وبين الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » صلة ومكاتبة ، وكان ينشر أخبار السعودية في مجلة المنار ، فطلب منه أن يختار له اثنين أحدهما : صاحب عقيدة سلفية ، والآخر صاحب علم – ولا سيما علم التجويد والقراءات – فبعث له برجلين ، أحدهما : عبدالظاهر أبوالسمح . والثاني : محمد عبدالرزاق حمزة . جاءا وتوليا الصلاة في الحرمين ، أبوالسمح صار في مكة ، ومحمد عبدالرزاق حمزة صار في المدينة المنورة ، ولكنه لم يطل

مقامه هناك وصارت أشياء يبدو أنه لم يتفق معهم على بعض الأشياء .

ورأى الملك عبدالعزيز أنه يأتي إلى مكة لينضم إلى أبو السمح ليتناوب معه في إمامة الصلاة والخطبة ، ما كان فيه ميكروفونات ، كان يقرأ قراءة طيبة ، تسمع قراءته في صلاة الفجر إذا قرأ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ ويرتلها ترتيلاً نسمعه ونحن في أطراف الحرم .

*** من كان يخطب خطبة عرفة ؟**

الظاهر أن الخطيب هو الشيخ عبدالله بن حسن ، بل يقيناً إنه الخطيب لكن لا أعرف هل استمر أم لا ؟

*** هل كانت لك رفقة خاصة ، أقصد إخوة من المشايخ والعلماء؟**

كنت أنا وزملائي الذين حكيت عنهم ، منهم : عمي الشيخ عبدالرحمن بن عقيل ، ومنهم الشيخ عبدالله بن عودة السعوي ، ومنهم الشيخ عثمان بن محمد المضيان ، ومنهم الشيخ صالح بن سليمان بن حميد ، ومنهم علي الغضيه ، ومنهم صالح البريه من أهل المذنب ، ومنهم محمد بن منصور من أهل الرس ، وحججنا مع الشيخ عمر بن سليم في ثلاث سيارات (لواري) وهو ونخبة معه ، كان معهم سيارة صغيرة، وسافرنا في يومين ، أو ثلاثة بين عنيزة ومكة ، والآخرون على الإبل لا

يصلون مكة إلا بعد أسبوعين (خمسة عشر يوماً) .

*** هل كان الطريق سالكاً وممهداً ؟**

لا ، لم يكن فيه تمهيد ولا سفلتة ولا شيء ، حجارة من هنا ومن هنا.

*** وهل واجهتكم صعوبات في الطريق إلى مكة من وعورة الطريق وصعوبته ؟**

كان السواق مصرياً ، وكان معه معاون ، كان إذا مشينا كل فترة يقف ويطمئن على الكفرات والسيارات ، ثم مشينا مرة ثانية ، والظاهر أنه كان معنا من البدو الذين يقولون عنهم إنهم يعرفون الطرق السهلة بعيدة عن الجبال .

*** كما نسمع كان موسم الحج مجمعاً كبيراً لكثير من العلماء من أقطار العالم الإسلامي ، لو تذكر لنا بعض اللقاءات والاجتماعات التي شاهدتها ؟**

الله – تبارك وتعالى – قال : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ [الحج :٢٨] وهذا موسم عظيم ، الله تبارك وتعالى شرع لعباده فيه الاجتماعات : منها اجتماع الصلوات الخمس في كل يوم يجتمعون خمس مرات ، أهل كل حارة يصلون في مسجد واحد يرى بعضهم بعضاً،

ويتعرف بعضهم على بعض ، ثم اجتماع آخر أعلى من ذلك ، وهو يوم الجمعة يجتمعون في الأسبوع مرة ، يجتمعون ويتعارفون ويتأسى بعضهم ببعض ، التأسي بالقول ، والتأسي بالفعل ، ثم اجتماع آخر وهو مرتين في السنة وهو اجتماع الأعياد ؛ عيد الأضحى ، وعيد الفطر ، ثم الاجتماع العظيم ويكون في السنة مرة واحدة ويأتي إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض : هو يوم عرفة ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ وهذا من أعظم الاجتماعات ، والملك عبدالعزيز رحمه الله عرف هذا وجعل فيه اجتماعات ينظمها كل ليلة ويأتي إليها العلماء ومشايخ الحجاج من أهل مصر ومن أهل السعودية ، وأهل المغرب وأهل الهند .. وغيرهم ، وكانوا متأهبين لهذا وكان عندهم جداول أعمال للمشاكل التي تقع بين الناس وبين الدول وغير ذلك ، وكان الملك عبدالعزيز يحضرها ، وإذا ما حضر أناب عنه علماء المملكة يحضرون ، علماء الرياض الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله ، والشيخ عمر بن سليم ، والعنقري ، والشيخ محمد بن عبداللطيف ، وعلماء من كل بلد يجتمعون ويتباحثون في مشاكلهم وما بين الدول من مشاكل الحدود وغير ذلك .

*** هل كنتم تلمسون في ذلك الوقت شهرة وقبولاً لعلماء المملكة ؟**

على كل حال إذا حضروا يبينون ما بينهم من التآلف ، وكل واحد يقابل الآخر بأحسن ما عنده من بشاشة وتقدير الآخر على نفسه حتى إذا انصرفوا كل له طريقته ، وبينهم أيضاً في أثناء السنة - أفراد منهم - من علماء الأزهر ، مثل الشيخ محمد رشيد رضا من مجلة المنار ؛ يكتب عن مشاكل الأمم ومشاكل المستشرقين والرد عليهم ، والفتاوى العامة التي تهم الناس.

*** الآن وأنت تنظر إلى هذه النقلة في المشاعر ووسائل النقل ، ما مشاعرك حين تنظر إلى هذه النقلة الكبيرة وتتذكر تلك الحجة ؟**

ما في شك أن الفرق كبير ، فالله سبحانه وتعالى مَنَّ على الناس أولاً بالصحة والعافية والأمن ، وثانياً بالعلم الذي انتشر ، ووسائل الإعلام ، كان فيما مضى المكاتبات بينهم ، ثم ظهرت التليفونات ، ثم ظهرت الوسائل الأخرى مثل التيلفزيون والإنترنت وغير ذلك ، فالآن استوى العلم بين الجميع وكل من العلماء الآن له أشغال مع إخوانه من مؤلفات، ثم مَنَّ الله تبارك وتعالى علينا بالمال عندما اكتشف البترول للناس: مُهِّدت الطرق ، وجاءت السيارات والطائرات والمطارات ، وفتح التعليم للناس بعد ما لم يكن هناك إلا الكتّاب ، الآن أصبح هناك المدارس

بأنواعها والكليات والشهادات من ثانويات وجامعات ودكتوراه .

*** نرغب أن تحدثنا عن جهودك في الحج سواء مع التوعية الإسلامية، أو من خلال جهودك الخاصة ، وإذا كان هناك مواقف تبين استفادة الحجاج سواء المحليين أم القادمين من خارج المملكة .**

كانت الحكومة تبذل ما تستطيع للحج والحجاج ، من أول ما كانت الأمور ضعيفة إلى الآن ؛ لما تطورت الأحوال إلى هذا الحال ، وكان شيخنا محمد بن إبراهيم رحمه الله - ونحن معه أعضاء في دار الإفتاء - ينتدب بعض الأعضاء على بعض المواقيت ليعدلوا شؤون الناس ، فيبعث وفداً إلى ميقات المدينة ذي الحليفة ووفداً إلى السيل ، ووفداً إلى السعدية ميقات أهل اليمن ، ووفداً آخر إلى حدود الحرم ، ليرشدوا الحجاج ، وينصحوهم ويقدموا لهم المواعظ ، ويساعدوهم على أمور دينهم ودنياهم. وكنت أنا والشيخ عبدالله بن سليم في المدينة في مخيم ذي الحليفة من أواخر ذي القعدة إلى أول ذي الحجة ، ويأتي الحجاج أفواجاً ، ونحن نقوم بالتوجيه والخطب والإرشادات ، وكذلك الإفتاء لمن يستفتي منهم ، ونبقى هناك إلى اليوم الثامن، حينئذ يتوقف الوافدون، وننصرف نحن إلى مكة لنحج مع الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، ونتولى الإرشادات في المشاعر في منى وعرفات ومزدلفة ، ونعد لوحات

وإرشادات في مخيمنا ، هكذا استمر الشيخ [محمد] إلى أن توفي .

*** في أي عام كانت هذه المجهودات فضيلة الشيخ ؟**

كان ذلك من سنة ١٣٧٥هـ - حيث تأسست دار الإفتاء عام ١٣٧٤هـ - وظللنا كذلك إلى عام ١٣٩٠هـ ، كل سنة على هذه الحال وهي مدة طويلة.

*** قد ذكرتم مواقف لكم مع الشيخ عمر بن سليم رحمه الله ، فهل لكم مواقف مع سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ؟**

عبدالعزيز بن باز كان أول أمره في الدلم في الخرج ، وكان رجلاً فاضلاً وكريماً وبشوشاً ويعطي الناس حقوقهم ، ومحبوباً عند الناس كلهم ، فلما فتحت الجامعة الإسلامية اختير ليكون رئيساً لها ، فنقل من الدلم إلى الجامعة الإسلامية ، وبقي فيها مدة طويلة ، وله مواقف جيدة ، وكنا نذهب إليه إذا ذهبنا للمدينة في ذلك الوقت ثم بعد ذلك بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله انتقل لدار الإفتاء، وله مواقف عظيمة، كذلك الشيخ عبدالله بن حميد ، كان أولاً في القصيم ، ثم عين في الحرمين الشريفين ، ثم نقل إلى مجلس القضاء الأعلى ، فانضممنا معه في مجلس القضاء الأعلى ، وبقي إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٤٠٢هـ ،

وكنا مع هؤلاء المشايخ في مجالس يومية أو ليلية وعند كل مناسبة وعند كل حفل ، وكان لكل مقام مقال على حسب ما تيسر .

*** هل كانت لكم لقاءات مع كبار العلماء الذين يأتون من خارج مكة كالشيخ عبدالرحمن بن سعدي ؟**

لقد اشتركت مع الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في بعض المجالس في مكة وبحثنا معه في موضوع توسعة الحرم ، ونقل مقام إبراهيم ، وهو الآن في وسط المطاف ، وكان سابقاً له هيكل وله أربعة أعمدة ، وكان يصد الطائفين عن المزار ، ورأى الملك عبدالعزيز رحمه الله والمشايخ حينذاك : الشيخ عبدالله بن حسن ، والشيخ عبدالله العنقري ، والشيخ محمد بن إبراهيم : أن المقام ينقل من محله إلى محل آخر ، ولكن هذا الرأي لم يؤيد بإجماع العلماء وقتذاك ، لكنهم خففوا الأعمدة والحواجز وظل على ما هو عليه الآن .

*** يا شيخنا الآن في السنوات الأخيرة تسابق الناس والحجاج على الحملات التي تقدم أكثر التسهيلات ووسائل الراحة والترف في المشاعر المقدسة ، هل ترون توسع الناس في تلك الأمور مناسباً أم أن هذه الأمور تفقد روحانية الحج ؟**

الحملات سهلت ووفرت للناس وسائل الراحة ، ومهدت الحكومة

لهم الطرق ، كذلك جعلت النظام للحجاج من خيام في منى بعدما كان هناك مشقة ومتاعب فيما سبق من حرائق وغير ذلك ، فقد نظموها وطوّروها ، فجزاهم الله خيراً .

*** هل تحدثنا عن بعض المواقف التي حدثت لكم في الحج تكون فيها العبرة والدروس لإخواننا ؟**

مواقف الحج لا تُعد ولا تُحصى ، والحج كل سنة ما يخصها ، بدأ الحجاج يأتون من كل فج عميق ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ منهم من كان يأتي على رجليه في البداية من قريب أو من بعيد كانوا يمشون على أقدامهم ، ثم بعد ذلك على الإبل ، ثم بعد الإبل السيارات ، وانظر كيف تقطع السيارات المسافات في مدة قليلة ، وكان الناس لا يتوقعون أن يأتي شيء أسرع ، وربما يأتي بعدها شيء أحسن منها، وكذلك الطرق كانت غير مسفلتة ثم يسر الله سبحانه وتعالى ، وجاء بعد ذلك الطائرات ، والله أعلم ماذا سيأتي بعد ذلك ؟! وهذا من تيسير الله سبحانه وتعالى لحجاج بيته ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

بعض المشايخ جزاهم الله خيراً في اجتهادهم يقولون : إن الحج على السيارات السريعة فيه من الترف ما لا يحصل فيه الأجر الكامل ، حيث لا

يحصل الأجر التام الكامل إلا ما فيه مشقة ، وهذا اجتهاد منهم رحمهم الله، لكن إن شاء الله تبارك وتعالى الأجر موجود .

*** هل من وصية تقدمونها للحجاج خاصة الدعاة والمرشدين منهم فضيلة الشيخ ؟**

التوصيات أهمها : أني أوصيكم بتقوى الله ، فهي وصية الله للأولين والآخرين من الأنبياء والمرسلين : اتقوا الله . نوح عليه السلام وإبراهيم قال : اتقوا الله ، و محمد ﷺ قال : اتقوا الله .

وينبغي لمن أراد الحج أن يخلص النية لله ، ما يصح أن يحج ليحصّل لقب أنه حج أو أنه يتفرج على المشاعر ، ولكنه لابد أن يقصد بذلك وجه الله ، « **فمن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » ، وفي الحديث معانٍ كثيرة ، والفتن الآن كثيرة ، والمشاكل كثيرة ، والحكومة – أيدها الله – تعاني من ذلك وتستعد استعداداً تاماً ، وتهيئ تهيئة عظيمة بكل إمكاناتها ورجالها لإكمال استعداداتها ، ومع ذلك المشاعر تضيق بأهلها ، ولهذا الحجاج يحدث لهم تعب ومشقة ، ويتزاحمون ، ويضيق بعضهم ببعض والحكومة قد هيأت موضع رمي الجمرات ، وكانت فيما مضى رمي الجمار موضعاً واحداً ، لكنهم قد

وسعوها للناس والحجاج ، كل ذلك تيسير للحجاج ، والحمد لله ، ربنا ولك الحمد .

*** شيخنا : الدعاة والمرشدون يواجهون كثيراً من الناس ممن يستفتونهم أو ممن يحتاجون النصيحة والإرشاد والدعوة ، ممن تكون لديهم أخطاء في العقيدة ، فما نظرتكم للحج كموسم يستغل في هذه القضية في تصحيح عقائد بعض الناس ؟**

ما ينبغي أن يكون موسم الحج مسرحاً لهذه الأمور فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ينبغي أن تجند الحكومة آلاف من دار الإفتاء والتوعية الإسلامية ، والقوات ، والإخصائيين ، آلاف الدعاة في المشاعر على مداخل الحرم وكلهم توصيهم أن يتعاملوا بالرفق وباللين والتوضيح والإفتاء والبيان ، وعدم إثارة الجدل والمشاكل التي تولد الشقاق ، وفي هذا كفاية لمن أراد أداء مناسك صحيحة ، كان يأتي قبل ذلك - الآن انقطعت والحمد لله - بعض الفئات التي كانت لهم طقوس خاصة ويزعمون بأنه ما يتم حجهم حتى يأتوا بها ، ويترتب عليها بعض المفاسد، لكن الحكومة - أيّدها الله - قد منعت ذلك الآن ، وأمرتهم أن يجردوا حجهم لله تبارك وتعالى ، حسب ما ثبت عن النبي ﷺ حين حج بهم : **«خذوا عني مناسككم»** ، ثم قال : **« إياكم والغلو »** ؛ حين أراد أن يرمي

الجمار ، وسألوه عن الحصا فقال : « **بمثل هذه فارموا ، ولا تغلوا ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو** » .

*** كيف يرى فضيلتكم المنهج الصحيح في إفتاء الحج ؟ مع اختلاف الأقوال في كثير من مناسك الحج ؟ وتنوع مذاهب الحجاج ؟**

الحج واحد ، والعلم واحد ، ومنهج النبي ﷺ واحد ، والشريعة واحدة، وإن كان هناك مذاهب فكل من علماء هذه المذاهب يفتي بما يظهر له ، والإنسان العامي إذا أخذ بفتوى عالم قدير قد برأت ذمته ، ولا يجب على العوام أن يبحثوا في نقاط الخلاف ، فإذا أفتي الإنسان يأخذ بالفتوى ، والله أعلم .

*** جزاكم الله خيراً فضيلة الشيخ على تفضلكم بقبول دعوتنا لهذا الحوار ، وحللتم ضيفاً كريماً على مجلة « التوعية الإسلامية » ، نسأل الله أن يتقبل ذلك منكم ويجعله في ميزان حسناتكم ، وأن يطيل عمركم وينفع بكم الإسلام والمسلمين ، وإن كان من كلمة أخيرة لفضليتكم .**

أوصيكم بتقوى الله تبارك وتعالى للجميع ، وحسن الخلق ، كما وصى بذلك الرسول ﷺ : « **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » في معاملتك مع الله ، ومعاملتك مع نفسك ،

واتقوا الله حيثما كنتم في ليلٍ ونهار ، ومع الناس : خالق الناس بخلق حسن ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، والله أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

شيخ الحنابلة العلامة ابن عقيل

بقلم

محمد ناصر العجمي

---

* نشر في مجلة « أمتي » الكويتية ، في غرة رجب ١٤٢٥هـ .

شيخ الحنابلة العلامة ابن عقيل

تشرّفت منذ سنين عديدة بمعرفة العلامة الجليل، والشيخ الأصيل عبدالله بن عقيل، الذي يمثّل أدب علمائنا الأوائل من الأئمة الأماثل، فهو أخلاق تسمو إلى المُثل العليا، وسماحة تعلو إلى الثريا، فأنت أمام عالم زان علمَه بالعمل والعبادة، ولين الجانب وجميل الصفات، فحينما تبدأ بالتعرف عليه فإنه يبادرك بالترحيب والسؤال عنك سؤال المتشوق إلى معرفتك مهما كانت منزلتك ومكانتك الاجتماعية والعلمية.

يأخذ عنه جليسه الأدب وحُسن السمت؛ حاله في ذلك حال إخوانه من العلماء.

* ذكر ابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص٢٧١) عن الحسن بن إسماعيل، عن أبيه، قال: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت.

وقال النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله. (غذاء الألباب للسفاريني ١/ ٢٥).

* وشيخنا العقيل ممن جمع الله له بين العلم والأدب الجم ، فقلّما لقيت أحداً ممن أخذ عنه أو جلس إليه إلا وذكر أدبه الوافر وفضله السافر، وقد كان حدثني أخي الشيخ عمر السبيل – رحمه الله – كثيراً عن أدبه وخُلُقه ، وقال : منه يُتعلَّم الأدب والأخلاق .

وسمعته حفظه الله ورعاه يقول لأحد تلاميذه الأجلاء : كنتَ تتعلم منا المسألة ، ونحن نتعلمُ منك المسألتين والثلاثة .

* يقول فضيلة الدكتور سعود الشريم إمام وخطيب المسجد الحرام واصفاً الشيخ العقيل : إن شيخنا الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ... ممن كان له فضل علينا ويد طولى في تفقيهنا وتعليمنا ، ولقد رأيته حسنة المَجالس وأُنس المُجالِس ، كما خبرته ريحانة اللقاءات وعطر المحاورات ، لا يُملُّ مجلسه ولا يخبو في الإفادة قبسه ، ولقد شهدتني وزملائي نغدو إليه بالوَلَه خماصاً ونروح بطاناً ، ترى فيه العلم الوافر والخلق الزاهر ، يعطيك من الأدب الجليل واللفظ النبيل ما ترجع بسببه متفكراً ومن عجبه متحيراً ، كيف قلب الحق لنا عليه بعد أن كان له الحق علينا ، يسبغ علينا من ألفاظ المودة والتبجيل ما تظن معه أنك الشيخ وهو التلميذ ، ما رأيت أزهد في نفسه من نفسه ، أشهد الله أنني ما ندمت على جلسة من جلساته ، ولا سئمت لفظاً من ألفاظه ، بل الحيرة كامنة في

النفس حينما ينثر فوائده موجهاً وينشر أوابده مفقهاً ، فتحار في أيهنّ ترتبط ، ويتكاثر النثار على المستمع ، فلا يدري المستمع ما يلتقط ، ما تفرقنا من مجلس قط إلا وكان التشوق إلى اللقاء أشد ، والرغبة في الإفادة أحدّ .

فلله دره من شيخ جمع من العلم فأوعى ، وحاز جل الفضائل جنساً ونوعا ، زبدة القول في شيخنا أوجزها في بيتين من الشعر فأقول :

رأيتُ مقام الشيخ في العلم أبحُرا ... فقيهاً على أمواجه جرت الفُلْكُ

وناظر مدرسة العلوم وفقهها ... فمدرسة الشيخ الجليل هي المُلْكُ

* ويقول فضيلة الشيخ الدكتور العالم أحمد بن عبدالله بن حميد الأستاذ في جامعة القرى : شيخنا أبوعبدالرحمن عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل البحر العلامة السلفي ، شيخ الحنابلة في هذا الوقت ، أحاط بأصول العلم وفروعه ، وتغذى به من معينه وينبوعه ، نهج في طلب العلم نهج العلماء الراسخين ، قضى في طلب العلم سنين عديدة ما بين ملازمة الشيوخ – وناهيك بها من ملازمة – وحفظ المتون ومذاكرةٍ ومدارسةٍ وتعلّمٍ وتعليمٍ حتى بلغ فيه أطوَريه ، فلم ينل العلم قفزاً .

جمع الله له بين غزاة العلم واستحضار النصوص والغَوص على دقيق

المعاني ، مع بشاشة الوجه وطلاقة المحيا ، فهو - إن شاء الله - من الموطئين أكنافاً الذين يَألفون ويُؤلفون ، راجح العقل ، بصير بمواضع الكلام ، يختار في حديثه أعذب الألفاظ وأرقها ، لا تلامس الأسماع منه كلمة نابية ولا عبارة جارحة ، « وكلما اختبرت احتبرت » ، يأنس بطلاب العلم ويفرح بهم مستصحباً فيهم « العلم رحمٌ بين أهله » ، له محبة وقبول مع إجلال في نفوس الناس ، العامة والخاصة ، فما أن يرد اسمه في مجلس إلا وتتسابق الألسنة بالثناء عليه ، وذكر شيء من شمائله وفضائله.

يقرُّ له بالفضل من لا يوده ويقضي له بالسعد من لا ينجمّ

وأما صبره على العلم والعطاء فحدِّث عن البحر ولا حرج .

* أخبرني أخي الشيخ وليد المنيس أنه قرأ عليه كتاب « زاد المستقنع » للحجاوي في ثلاثة أيام ، من الصباح إلى الظهر ، ومن العصر إلى العشاء حتى أنهاه قراءةً وتعليقاً لإيضاح مشكله وما يتعلق بذلك ، وهذا هو الجدول اليومي له حفظه المولى ، فهو من بعد صلاة الفجر إلى الظهر ، وأحياناً يجلس بعده ، ثم بعد العصر والمغرب بل والعشاء يستمر في درسه ، بدءاً بالمختصرات وإنهاء بالمطولات ، من فقه وعقيدة وأصول ونحو وعلوم لغة .

* وخلاصة الكلام على طريقة المترجمين الأوائل أقول : هو العلامة ،

العالم، الفقيه، الأديب، القاضي، العدل، الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، عالم جليل في ذاته، خيِّرٌ في صفاته، متينُ الديانة، حسن الصيانة، أديب مبارك، معروفٌ بالعلم والصلاح، ضليع في الفقه، عارفٌ لعبارات المذاهب ومكنوناته، عليه هيبةٌ ووقار، ليِّن العريكة، كل هذا مع حظ وافر من التألُّه والتعبُّد والقيام والصيام، مع الحرص على متابعة الحج والعمرة.

ولما تولى القضاء جمع بين النزاهة والصرامة، مرجحاً الصلح، محمود الطريقة، مشكور السيرة والسريرة، وقد وهبه المولى الخصال الحميدة، والشمائل الكريمة، مع ما هو عليه من كثرة التودُّد لتلاميذه ومن يكون في مجلسه، والوفاء لأصحابه وأصدقائه، وزيارة المرضى، وإعانة المعوزين والمحتاجين، طويل الروح على الدرس والأشغال، لا يرد طالباً ولا مستفيداً، أنيس المنادمة، كثير الإيراد للطائف والفرائد والألغاز الفهية والأدبية، ممتع المذاكرة، يستحضر لك حكايات العلماء والصالحين، لا يملُّ منه جليسه، مع حسن هيئة، وجميل بزة، فهو حفظه الله زينة الكبار، ومفخرة الشيوخ الأخيار، وتاج النبل والوقار.

ومن محاسن الموافقات أنني وقفت على ترجمة لأحد العلماء يطابق اسمه ومنزلته مكانة شيخنا العقيل، حيث ترجم المؤرخ مصطفى بن

فتح الله الحموي لعبدالله بن عقيل المتوفى سنة (١٠٤٥) فقال: «صحب الأكابر، وسلك طريقة سلفه من المواظبة على السنن الشرعية، والآداب النبوية، والأخلاق الرضية، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء الأنام، جواداً سخياً، حسن العشرة متواضعاً، وصحبه جماعة»[(١)].

وهكذا حال شيخنا أطال الله بقاءه في خير وعافية ونفع دائم.

مدحتُك جهدي بالذي أنت أهلُه فقصَّر عما فيك من صالحٍ جهدي

فما كل ما فيك من الخير قلتُه ولا كلُّ ما فيك يقولُ الذي بعدي

* * *

(١) فوائد الارتحال ونتائج السفر ٣/ ٢١/ ب، دار الكتب المصرية (١٠٩٣).

* أفرد الأخ الشيخ محمد زياد التكلة شيخنا العقيل بمؤلف مستقل وعنوانه «فتح الجليل في ثبت ومرويات شيخ الحنابلة عبدالله العقيل» وقد صدر حديثاً. انظر: ص٢٥٤ منه وما بعدها.

ملف زيارة
الشيخ العلامة ابن عقيل للكويت

---

* نشر في مجلة « أمتي » ، العدد ١٠ ، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ



ملف زيارة الشيخ العلامة ابن عقيل للكويت

إذا كانت برقة النصر لمعت من معول رسول الله ﷺ وهو يضرب صخرة غلظت على سلمان في الخندق ، فقد لمعت برقة من بوارق النصر من مسجد البسام في مدينة الجهراء ، إذ أمَّه المئات من طلبة العلم الشرعي و محبيه احتفاء بالعلامة شيخ الحنابلة في عصرنا عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ، فجثوا الركب بين يديه ، ليتلقوا أربعين حديثاً نبوياً في فضل المساجد وعمارتها بأسانيدها الصحيحة المتصلة برسول الله ﷺ مما رواه الشيخ العقيل بأسانيده عن شيوخه ، وبذلك أحيا الشيخ بوابل غيثه الأرض الظمأى ، وأخرج الزرع شطأه ، وعسى أن يستوي على سوقه، ليعجب الزراع ، ويغيظ بهم الذين كفروا ! لقد أحيا الشيخ سنة أهل العلم قديماً ، بتلقي الميراث النبوي مشافهة عن العدول الثقات بالأسانيد المتصلة – مفخرة المسلمين ومزيتهم – ويذكّر المشهد في مجلس الإقراء الذي عقد في مسجد البسام بمجالس العلم والإقراء في الزمان الأول ، بعد أن ظن الناس كل الظن أنها صور من الماضي ومجرد أحاديث ، ولكن التاريخ يعيد نفسه في مدينة الجهراء الزاهرة الزاخرة بالعلم وأهله ، فلله الحمد والمنة .

هذا وقد حلَّ الشيخ العقيل ضيفاً في « أمتي » التي رصدت الحديث ، ورأت فيه برقة نصر تبدد ظلمات اليأس التي تلف الأمة في هذه الظروف العصيبة ، ونقدم للقارئ الكريم في هذا الملف :

* تقريراً موجزاً عن زيارة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله أعده د. وليد محمد العلي .

* افتتاحية مجلس الإقراء في مسجد البسام عن « فضل الإسناد في الدين » لفضيلة الدكتور وليد محمد العلي .

* ترجمة وافية لشيخ الحنابلة العلامة ابن عقيل أعدها الدكتور وليد المنيس .

و « أمتي » إذ تقدم هذا الجهد ، تقديراً للعلم وتوقيراً لأهله ، واعترافاً بفضل الشيخ العقيل وجهوده ، جزاه الله عن الأمة خيراً وحفظه الله آمين.

تقرير موجز عن زيارة
فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله تعالى

بقلم : الدكتور وليد العلي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن من المسؤوليات الهامة ، والوظائف العامة ، الملقاة على عاتق قطاع المساجد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : العناية بفئة الشباب ، وحثهم على الالتفاف حول علماء الأمة الربانيين ، والارتباط بالأئمة المصلحين والاستفادة من الدعاة والمربين .

لذا فقد استضاف قطاع المساجد بالتعاون مع مساجد محافظة الجهراء: العلامة الكبير والشيخ القدير عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله تعالى، رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية سابقاً ، والذي يبلغ من العمر تسعين عاماً ، وهو من كبار تلامذة العلامة المحقق والفهامة المدقق عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى.

حيث التقى فضيلته حفظه الله تعالى مع الجمهور الكريم في لقاء مفتوح في مسجد الدولة الكبير بعد صلاة المغرب من يوم السبت

٣٠/ ٢/ ١٤٢٥هـ الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٠٥م .

وبين يدي اللقاء المفتوح : تفضل الأستاذ الدكتور وليد عبدالله المنيس بكلمة ترحيبية بفضيلة الشيخ تضمنت ذكر آثاره ومآثره (وهذه الافتتاحية ملحقة بهذا التقرير) .

ثم خلفه الدكتور وليد محمد العلي إمام وخطيب المسجد الكبير ليعرض على فضيلة الشيخ والجمهور الكريم المحاور التي سيعرض لها فضيلة الشيخ في حديثه (وهذه المحاور ملحقة بهذا التقرير) .

ثم تفضل فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى بمحاضرة الجمهور الغفير ، ومحادثة الحضور الكبير في بعض الركائز الشرعية والآداب المرعية ، التي ينبغي على المجتمع بوجه عام والشباب بوجه خاص العناية بها ، فمن ذلك :

لزوم الوسطية في الدين والابتعاد عن التطرف والغلو ؛ لأن التوسط في الأمور هو العدل والخير المرغوب ، وإن التطرف شذوذ وانحراف عن المطلوب ، فما ندم من توسط ففي أموره ولا خاب ، ولا سلم من شذ وتطرف فغلا أو قصر من سوء المآب .

كما تطرق فضيلته حفظه الله تعالى في لقائه المفتوح إلى ضرورة

الرجوع إلى العلماء في النوازل والدهماء ، وذلك في كل أمر من الأمور التي ينبغي أن يُولَّى من هو أهل لذلك ، ويجعل على أهله ، فلا يتقدم بين أيديهم ، فإنه أقرب إلى الصواب ، وأحرى للسلامة من الخطأ . مع بيان النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها ، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه ، هل هو مصلحة فيُقدم عليه الإنسان أم لا فيحجمُ عنه ؟

كما تطرق فضيلته حفظه الله تعالى في لقائه المفتوح إلى أهمية الدعوة إلى الله تعالى ، وبيان علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك ، مع ضرورة التأمل في أهل الباطل كيف يجتهدون ويألمون في نصر باطلهم ، وهم لا غاية لهم شريفة يطلبونها ، وأهل الحق مخلدون إلى الكسل عن نصر الحق الذي يترتب على نصره من الخيرات العاجلة والآجلة ما لا يمكن التعبير عنه ، كل ذلك خوفاً من المشقة ، وزهداً في إعانة إخوانهم المسلمين في مالهم أو بدنهم وقولهم وفعلهم ، بل زهداً في مصالح النفس الحقيقية .

كما تطرق فضيلته حفظه الله تعالى في لقائه المفتوح إلى آداب المعلمين والمتعلمين وحسن الخلق ، من النصح ، وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان .

كما تطرق فضيلته حفظه الله تعالى في لقائه المفتوح إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف ، وبيان أنه يتعين على المسلمين أن لا يجعلوا الاختلاف في المذاهب أو الأنساب أو الأوطان ، داعياً إلى التفرق والاختلاف ، فالرب واحد ، والدين واحد ، والطريق لإصلاح الدين وصلاح جميع طبقات المسلمين واحد ، والرسول المرشد للعباد واحد ، فلهذا يتعين أن تكون الغاية المقصودة واحدة .

وأن الواجب على جميع المسلمين السعي التام لتحقيق الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية ، فمتى علموا وتحققوا ذلك ، وسعى كل منهم بحسب مقدوره ، واستعانوا بالله وتوكلوا عليه ، وسلكوا طرق المنافع وأبوابها ، ولم يخلدوا إلى الكسل والخور واليأس : نجحوا وأفلحوا .

كما تطرق فضيلته حفظه الله في لقائه المفتوح إلى معنى العلم الصحيح الذي ينبغي ويتعين طلبه والسعي إليه وهو كل علم نافع يوصل إلى المطالب العالية ، ويثمر الأمور النافعة ، لا فرق بين ما تعلق بالدنيا أو الآخرة ، فكل ما هدى إلى السبيل ورقى العقائد والأخلاق والأعمال فهو من العلم النافع .

* كما التقى فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله تعالى مع الجمهور الكريم في مجلس علمي في مسجد البسام بمحافظة الجهراء

بعد صلاة مغرب يوم الأحد ١/ ٣/ ١٤٢٥هـ الموافق ١٠/ ٤/ ٢٠٠٥م ، وتناول حديثه ذكر الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في فضل المساجد وعمارتها ، والتي رواها بإسناده المتصل إلى الرسول ﷺ .

وبين يدي اللقاء المفتوح تفضل الدكتور وليد محمد العلي بافتتاحية تضمنت ذكر ما خصَّ الله تعالى به هذه الأمة من فضل الإسناد في الدين (وهذه الافتتاحية ملحقة بهذا التقرير) .

ثم خَلَفَه فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي ليعرض على فضيلة الشيخ والجمهور الكريم الأحاديث التي اجتهد في جمعها في كتاب ؛ تشرفت بطباعته إدارة مساجد محافظة الجهراء ، وهو : (الأربعون في فضل المساجد وعمارتها مما رواه شيخ الحنابلة عبدالله بن عقيل بأسانيده عن شيوخه) .

وقد اختتم فضيلة الشيخ العقيل حفظه الله تعالى قراءة آخر حديث في هذا الكتاب ، ثم أجاز الحضور الغفير والجمهور الغفير بهذا الكتاب (ونص الإجازة المقروءة ملحقة بهذا التقرير) .

وقد تضمنت زيارة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله تعالى عدة زيارات ، حيث التقى مع كبار المسؤولين في وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية وعلى رأسهم معالي الوزير الدكتور عبدالله معتوق المعتوق .

كما زار بعض المرافق العامة في البلاد والجهات الخيرية ، والتقى مع بعض شخصيات البلاد العلمية والدعوية والاجتماعية .

كما التقى فضيلته حفظه الله تعالى مع أبنائه الطلاب في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، حيث عقدت له محاضرة عامة في مسجد الكلية بعد صلاة ظهر يوم الاثنين ٢/ ٣/ ١٤٢٥هـ الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٥م .

وقد حضر هذه المحاضرة للنهل من علم الشيخ حفظه الله تعالى والاستفادة من علمه : أساتذة الكلية والعاملون في شؤونها الإدارية ، بالإضافة إلى طلابها ، فحدثهم فضيلته حفظه الله تعالى على ضرورة التحلي بالحلم والعلم والرفق ، والتخلي عن التطرف والغلو والتشدد .

* * *

الافتتاحية التي ألقاها الدكتور وليد محمد العلي على فضيلة الشيخ ، والجمهور الكريم في « فضل الإسناد في الدين »

الحمد لله المتفرد بربوبيته والمتوحد بألوهيته على جميع العباد ، المسبغ عليهم نعماً ظاهرة وباطنة تفوق الإحصاء والتعداد ، أحمد ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على ما أكرم به هذه الأمة من بين الأمم واختصَّها بشرف الإسناد ، ونضَّر وجوه المحدِّثين والرواة الذين سلكوا سبيل الهدى والرشاد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتنزه عن الشركاء والنظراء والأنداد ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله خير شافع ومشفَّع يوم المعاد ، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه الأمجاد ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد :

فإن رب العالمين قد تكفل بحفظ الذكر المبين ، الذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذكر يتناول كلَّ ما أوحاه الله تعالى إلى نبيه ﷺ من أمور الدين .

ولما كان كلام رسول الله ﷺ وحياً يُوحى كما يُوحى إليه القرآن : قيَّض الله تعالى له رجالاً يدفعون عنه كلَّ من يحُرِّفه بزيادة أو نقصان ، فعرفوا رجاله كما يعرفون أبناءهم، وعنوا بأسانيده أيَّما عناية كما ستسمع أنباءهم .

وإليك وبين يديك : جملةٌ من أقوال علماء الأمة الربانيين ، في منزلة الإسناد في الدين ، فمن ذلك : قول عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى : «الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » .

وقال محمد بن حاتم رحمه الله تعالى : « إن الله قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد » .

وقال أبوبكر الأصبهاني رحمه الله تعالى : « بلغني أن الله خصَّ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها مَن قبلها مِن الأمم : الإسناد ، والأنساب، والإعراب » .

وقال السمعاني رحمه الله تعالى : « وألفاظ رسول الله ﷺ لابد لها من النقل ، ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح ، والصحة في الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة ، والعدل عن العدل » .

وقال ابن الصلاح رحمه الله تعالى : « الإسناد خِصِّيصة فاضلة من

خصائص هذه الأمة ، وسنة بالغة ، وطلب العلو فيه سنة ، ولذلك استحبت الرحلة فيه ، وعلو الإسناد قرب من الرسول ﷺ ، ويزداد علواً برواية الثقات عن الثقات » .

ولا زال العلماء قديماً وحديثاً يسيرون في جمع أحاديث النبي ﷺ سيراً حثيثاً ، واعتنى طائفة منهم بجمع أربعين حديثاً ؛ في باب من أبواب الدين ، رجاء حشرهم يوم القيامة في زمرة علماء الأمة الربانيين .

وأول من صنف في هذا الباب من علماء الأمة الأنجاب : عبدالله بن المبارك ، ثم تبعه أبوبكر الآجري ، وأبوالحسن الدارقطني ، وأبوعبدالله الحاكم ، وأبوبكر البيهقي ، وأبوزكريا النووي ، وأبوالعباس ابن تيمية الحراني ، وغيرهم من علماء المسلمين الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الآخرين .

وإن من علماء الأمة الربانيين الذين عُنوا بشرف الإسناد في أبواب الدين ، فاتصلت أسانيده إلى خاتم الأنبياء والمرسلين : شيخ الحنابلة المبجَّل والمدخل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل سماحة شيخنا الجليل عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله ورعاه ، وبارك في جهده ومسعاه.

وبين أيدينا كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة والعلم ، جمع بين دفتيه

أربعين حديثاً من أحاديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، في فضل المساجد ، وفضل من عمرها من راكع وساجد ، مما رواه شيخنا الجليل عبدالله بن عقيل بأسانيده عن كل شيخ نبيل .

وقد تشرَّف بتخريجها خاصة تلامذته الأوفياء ، وأقدم مَنْ لازمه في بلادنا من النجباء، وهو فضيلة شيخنا الأريب، وأستاذنا الأديب محمد بن ناصر العجمي حفظه الله من كلِّ مكروه ، وآتاه من حسنات الدنيا والآخرة فوق ما يؤمله ويرجوه .

وقد تشرَّفتْ بطباعة هذه الأربعين: الإدارة السباقة في كل الميادين ، إدارة مساجد محافظة الجهراء ، ذاتُ الأيادي العلمية البيضاء ، وعلى رأسها تلميذ شيخنا الجليل عبدالله بن عقيل ، وهو الخال النبيل ، ذو الفضل الجلي ، والقدر العلي ، أبو الحارث فيصل بن يوسف العلي ، حفظه الله وسدده ، وألهمه الخير وأرشده .

وكأني بالأعناق قد اشرأبت لسماع قراءة هذه الأربعين النواضر ، التي يطمئن بها القلب ويطيب بها الخاطر ، بقراءة جامعها وشيخنا أبي ناصر ، فكلنا آذان صاغية وقلوب واعية . اهـ .

ثم قرأ الشيخ محمد بن ناصر العجمي الأحاديث الأربعين بأسانيدها

على الشيخ ابن عقيل وأجاز من حضر مجلس الإقراء ، فهنيئاً لمن حظي بهذا الشرف العلمي ، وهذا نص إجازة الشيخ ابن عقيل :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، أما بعد : فقد أجزت الحضور بما سمعوا من هذه الأربعين بأسانيدي إلى شيوخي إجازة عامة ، لمن كان أهلاً لذلك ، وبالله التوفيق .

* * *

ترجمة شيخ الحنابلة العلامة ابن عقيل

الدكتور وليد المنيس

الحمد لله الذي أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، وجعل العلماء قدوة ومناراً للسالكين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين ، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين .

فبدعوة كريمة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الموقرة ، وبمتابعة من وكيل الوزارة المساعد لشؤون المساجد المهندس عبدالله شهاب ، وبمتابعة شخصية من مدير إدارة المساجد في محافظة الجهراء الشيخ فيصل يوسف العلي تتشرف دولة الكويت ، ومسجد الدولة بزيارة فضيلة العلامة القاضي الشيخ عبدالله العقيل حفظه الله ورعاها ، فأهلاً وسهلاً به بين أهله و محبيه ، وبعد :

فأقول مستعيناً بالله ، إن من أكبر نعم الله تعالى علينا أن حفظ هذا الدين برجاله المخلصين ، وهم العلماء العاملون ، جعلهم الله تعالى أعلاماً يهتدى ويقتدى بهم ، فإن في وجودهم حفظاً للدين وصوناً لكرامة

المسلمين ، فهم السياج المتين الذي يحول بين الدين وأعدائه ، وهم النور المبين الذي يستنار به عند اشتباه الحق وخفائه ، وهم ورثة الأنبياء في أممهم ، وأمناؤهم على دينهم ، وأن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به ، أخذ بحظ وافر ، كما جاء في الحديث ، وهم شهداء في الأرض بالحق ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران :١٨] .

ويعلمون أحكام الله ، ويعظون عباد الله ، ويوجهون الأمة لما فيه الخير والصلاح ، ولهذا تكاثرت النصوص في ذكرهم والثناء عليهم ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وإن فقيهاً واحداً أشد على الشيطان من ألف عابد ، كما جاء في الأثر .

ومن أين أبدأ لأتحدث عن شيخنا العلامة ابن عقيل ؟ وأنا أعلم أنه يبغض الإطراء ويحب خمول الذكر والتواضع ، فأقول باختصار :

هو فضيلة العلامة العامل الفقيه القاضي الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ولد في عنيزة عام ١٣٣٥هـ ، نشأ في بيئة علم وفضل ، طلب العلم مبكراً ، فكانت البداية في كنف والده الوجيه الشيخ عبدالعزيز العقيل ،

فهو معلمه الأول ، وكان من كبار رجالات عنيزة ، ثم إنه انتفع بأخيه الأكبر الشيخ عقيل بن عبدالعزيز العقيل وكان قاضياً في جيزان ، ثم بعمه الشيخ عبدالرحمن بن عقيل وكان قاضياً أيضاً ، درس العلوم الأولية في مدرسة الشيخ صالح بن صالح ، ثم في مدرسة الداعية المصلح الشيخ عبدالله القرعاوي ، واستفاد من العلامة عبدالله بن مانع ، والشيخ عبدالله المطرودي ، وغيرهم .

حفظ القرآن وعدداً من المتون العلمية مثل عمدة الحديث ومتن الزاد وألفية ابن مالك ، وغير ذلك من المتون ، التحق بحلقات شيخه ومعلمه الأول العلامة ابن سعدي ولازمة ملازمة طويلة ونهل منه في التفسير والتوحيد والفقه والحديث ، كما استفاد من الشيخ المعمَّر علي بن ناصر أبووداي فقرأ عليه في الحديث كالصحيحين والسنن .

تقلد مناصب عديدة في سلك القضاء تدل على علو همته ، فعمل قاضياً في مدينة الرياض ، فاستفاد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ولازمه (١٥) عاماً في دار الإفتاء ، فانتفع بعلمه واستفاد منه ، كما استفاد من العلماء الأجلاء الذين وفدوا على مدينة الرياض مثل العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب « أضواء البيان » وغيره .

كما تولى القضاء في عنيزة برغبة سامية ، عمل عضواً في هيئة التمييز بأمر من الملك ، بمعية الشيخ محمد بن جبير وغيره برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد عام ١٣٩١هـ ، وفي عام ١٣٩٢ أنشئت الهيئة القضائية برئاسة الشيخ عبدالله الحركان ، وصار فيها الشيخ ابن عقيل عضواً ، إضافة إلى عضويته في الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى .

وفي عام ١٣٩٢هـ أيضاً عين رئيساً للهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى ، كما ترأس المجلس الأعلى للقضاء بعد وفاة الشيخ عبدالله بن حميد إلى حين تعيين رئيس جديد .

*** عمله بعد التقاعد :**

استمر في أعماله الجليلة إلى عام ١٤٠٥هـ ، وبعد تقاعده لم ينقطع عن أعمال الخير فهو يترأس الهيئة الشرعية للنظر في معاملات شركة الراجحي المصرفية للاستثمار المعروفة ، واستمر في مدارسة العلم وإفتاء الناس وتعليم طلبة العلم نفع الله تعالى بعلمه وبارك في فوائده وعوائده العلمية والخلقية .

ويطيب لي أيها القارئ الكريم أن أذكر لك طرفاً من مناقب الشيخ منه العذر والإذن ، فأقول مناقب شيخنا كثيرة ؛ اخترت عشرة منها :

الأول : حسن الخلق ، فلا تراه إلا بشوشاً مبتسماً متلطفاً سهلاً سمحاً لكل من يفد إليه أو يكلمه .

الثاني : إكرامه للضيف ، وإنزاله للناس منازلهم مع حسن السؤال عنهم .

الثالث : تشجيعه لطالب العلم ، فلا تسمع منه إلا ما يشجع طلاب العلم على الطلب ، وربما استشار طلبته – وهو ليس محتاجاً لذلك – لكن ليزرع الثقة في نفوسهم .

الرابع : التزامه بالوقت والمواعيد ، فهو دقيق في ذلك ، يشاهد ذلك في حسن تقسيمه ليومه وليلته وشهره وسنته لأعماله واستعداده لذلك لدنياه وآخرته .

الخامس : الوقار التام في مجلسه العلمي ، فمجلسه حفظه الله مجلس علم وأدب فلا تسمع فيه استخفافاً أو غيبة ، بل مجلس جد واجتهاد وإقراء .

السادس : حسن شرحه وتعليقه على العبارات التي تقرأ بين يديه من كتب العلم بطريقة موجزة واضحة تفك المستغلقات وتدفع الغموض .

السابع : استمرار الدروس بين يديه من غير انقطاع من الصباح إلى

المساء لا يقطعها إلا صلاة أو قيلولة أو موعد سابق ، مع تعدد الفنون التي تقرأ عليه ، ووجود المتون بقربه معدة لذلك .

الثامن : صبره وسعة صدره على ما يُطرح بين يديه من أسئلة من طلاب العلم أو المستفتين مع حسن إجابة وقوة ذاكرة ووضوح رد .

التاسع : وفاؤه لمشايخه ، فتجده يحسن ذكرهم ، ويثني عليهم ، ويستشهد بأقوالهم ، ويقرأ طرفاً من تعليقاتهم ، ويترحم عليهم .

العاشر : استعماله لشيء من اللطائف كالألغاز الفقهية واللطائف الأدبية التي تجدد وتحفز الأنفس وتمنع السآمة أو الكسل .

وأحيلك أيها القارئ الكريم على ما يُعرِّف بالشيخ من كتب :

الأول : فتاوى الشيخ له حفظه الله ، مطبوع .

الثاني : فتح الجليل وهو ترجمة وثبت أعده تلميذه الأخ الشيخ محمد زياد التكلة الدمشقي .

* * *

ترجمة موجزة لسماحة الشيخ
عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

نشرة خاصة من مجلة الدرعية

بمناسبة تكريمه في أحدية

الشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

الرياض : الأحد ٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ [١]

---

(١) طبعت نسخ محدودة من هذه النشرة الخاصة ، ووزعت في مجلس التكريم المذكور، ونظراً لظروف الشيخ فقد تأجل ليلة عن موعده المقرر ، وأقيم ليلة الثلاثاء ١١ جمادى الآخرة .

كلمة الأحدية ومجلة الدرعية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فيسرنا ويشرفنا الاحتفاء بسماحة والدنا الكريم شيخنا الجليل العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل بن عبدالله بن عبدالكريم آل عقيل المولود سنة ١٣٣٥هـ بمدينة عنيزة ، متعه الله بالصحة والعافية .. وقد جاءت فكرة تكريم شيخنا عرفاناً بفضله وعلمه ؛ فهو بحق كما وصفه معاصروه شيخ الحنابلة ، وعميد القضاة في بلادنا المملكة العربية السعودية .. تقلَّد وظائفه القضائية والعلمية منذ سنة ١٣٥٣هـ حتى بلغ السن النظامية للتقاعد سنة ١٤٠٥هـ ، ثم فرَّغ الشيخ عبدالله بن عقيل نفسه بعد ذلك للعلم وأهله وطلبته في الرياض ، وفي مكة المكرمة ، وفي كل مكان حلَّ فيه ، أو ارتحل منه ؛ فلا تكاد تجده حفظه الله إلا مشغولاً بالعلم تعلماً وتعليماً .. مع عنايته الكبيرة بأسرته وأبنائه وحفدته وأقاربه وجماعته ، ومسارعته في سبل الخير والإصلاح ومساعدة المحتاجين .

وشيخنا الجليل صاحب فنون علمية كثيرة متنوعة ؛ فهو أديب وشاعر يحفظ كثيراً من النصوص في الأدب والشعر ، وله عناية بكتب العربية

والنحو ، ولديه ذكريات ومجالسات مع العلماء والقضاة والأدباء .. نفع الله بعلمه وبارك في جهوده ، وأصلح عقبه ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

أبوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

أ. د. عبداللطيف بن محمد الحميد

ترجمة سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

بقلم / عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل (١)

هو : الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالكريم آل عقيل .

مولده :

ولد الشيخ عبدالله في مدينة عنيزة عام ١٣٣٥هـ .

تعلمه وشيوخه :

نشأ في كنف والده عبدالعزيز العقيل ، الذي يعتبر من رجالات عنيزة

(١) الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل من مواليد عنيزة ١٣٦٥هـ، تخرج في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود ، عمل في دار الإفتاء ، وإدارة البحوث العلمية التابعة لهيئة كبار العلماء ، و في إدارة الدعوة بالولايات المتحدة الأمريكية ، وعمل مديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية في الحرم النبوي الشريف ، ومستشاراً ثم أميناً عاماً مساعداً لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ثم أميناً للهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار ، وعضواً ومقرراً للهيئة الشرعية لشركة المستثمر الدولي في الكويت ، وعضواً في الهيئة الشرعية لبنك الخليج الإسلامي ، و في العديد من المؤسسات والشركات والهيئات الإسلامية والإغاثية ، وأسس دار التأصيل للبحث والترجمة والنشر والتوزيع في القاهرة .

المشهورين ، ومن أدبائها وشعرائها ، فكان والده هو معلمه الأول .

وقد هيأ الله عز وجل للشيخ عبدالله بن عقيل بيت علم ، فإلى جانب والده الشيخ عبدالعزيز فإن أخاه الأكبر هو الشيخ عقيل بن عبدالعزيز وهو من حملة العلم ، وكان قاضياً لمدينة العارضة في منطقة جيزان جنوب المملكة ، كما أن عمه هو الشيخ عبدالرحمن بن عقيل الذي عين قاضياً لمدينة جازان .

درس الشيخ عبدالله العلوم الأولية في مدرسة الأستاذ ابن صالح ، ثم في مدرسة الداعية المصلح الشيخ عبدالله القرعاوي .

حفظ الشيخ عبدالله بن عقيل القرآن الكريم ، وعدداً من المتون التي كان طلبة العلم يحفظونها في ذلك الوقت ويتدارسونها ، مثل : عمدة الحديث ، ومتن زاد المستقنع ، وألفية ابن مالك في النحو .. وغيرها.

وبعد اجتيازه لهذه المرحلة – بتفوق – التحق بحلقات شيخ عنيزة وعلامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ، وقد لازمه ملازمة تامة ؛ فتعلم عليه القرآن الكريم ، و التفسير ، والتوحيد ، والفقه ، واللغة .. وغيرها .

كما استفاد الشيخ عبدالله من مشايخ عنيزة الموجودين في ذلك الوقت

مثل الشيخ المحدث المعمر علي بن ناصر أبو وادي ؛ فقرأ عليه الصحيحين ، والسنن ، ومسند أحمد ، ومشكاة المصابيح ، وأخذ عنه الإجازة بها بسنده العالي عن شيخه محدِّث الهند نذير حسين (ت ١٢٩٩هـ) * .

وفي الوقت الذي عمل فيه الشيخ عبدالله قاضياً في مدينة الرياض لم يألُ جهداً في الاستفادة من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، فلازمه واستفاد منه علمياً ، حيث انضم إلى حلقاته التي كان يعقدها في فنون العلم المتعددة .

كما استفاد الشيخ عبدالله من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم في العمل معه عضواً في دار الإفتاء لمدة خمسة عشر عاماً ؛ فاستفاد من أخلاقه ، وحسن تدبيره ، وسياسته مع الناس .

واستفاد الشيخ عبدالله أيضاً من العلماء الأجلاء الوافدين لمدينة الرياض للتدريس في كلية الشريعة ، أمثال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان (ت ١٣٩٣هـ) ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي (ت : ١٤١٥هـ) وغيرهما .

---

* قال محمد زياد: أخذ الشيخ أبووادي الإجازة سنة ١٢٩٩، وتوفي شيخه سنة ١٣٢٠ .

* وظائفه العملية :

اختير الشيخ عبدالله وهو في مطلع شبابه في عام ١٣٥٣هـ مع المشايخ الذين أمر الملك عبدالعزيز بابتعاثهم قضاة ومرشدين في منطقة جيزان ، فكان نصيب الشيخ عبدالله مع عمه الشيخ عبدالرحمن بن عقيل قاضي جيزان أن عمل ملازماً وكاتباً ، مع ما كان يقوم به من الإمامة والخطابة والحسبة والوعظ والتدريس .

وفي تلك الفترة وفي أثناء مكوثه في جازان خرج مع الهيئة التي قامت بتحديد الحدود بين المملكة واليمن ، حيث ظلت تتجول بين الحدود والقبائل الحدودية بضعة أشهر من سنة ١٣٥٥هـ .

وفي عام ١٣٥٧هـ رجع الشيخ عبدالله إلى مدينته عنيزة ، ولازم شيخه ابن سعدي مرة أخرى بحضور دروسه ومحاضراته حتى عام ١٣٥٨هـ حيث جاءت برقية من الملك عبدالعزيز لأمير عنيزة بتعيين الشيخ لرئاسة محكمة جازان خلفاً لعمه عبدالرحمن ، فاعتذر الشيخ عن ذلك ، فلم يقبل عذره ، فاقترح على الشيخ عمر بن سليم التوسط بنقل الشيخ محمد ابن عبدالله التويجري من أبوعريش إلى جازان ، ويكون هو في أبوعريش، فهي أصغر حجماً وأخف عملاً ، فراقت هذه الفكرة للشيخ عمر بن سليم ؛ فكتب للملك عبدالعزيز الذي أصدر أوامره بذلك ، ومن

ثم سافر الشيخ عبدالله إلى أبوعريش مباشراً عمله الجديد في محكمتها مع القيام بالتدريس والوعظ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان ذلك في رمضان من سنة ١٣٥٨هـ .

وفي سنة ١٣٥٩هـ نقل الشيخ عبدالله إلى محكمة فرسان ، لكنه لم يدم هناك طويلاً ، فما لبث أن أعيد إلى محكمة أبوعريش مرة أخرى ليمكث فيها قاضياً مدة خمس سنوات متتاليات .

وفي رمضان سنة ١٣٦٥هـ نقل الشيخ بأمر من الملك عبدالعزيز إلى محكمة الخرج ، وذلك باقتراح من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ولم يدم مكوث الشيخ عبدالله في محكمة الخرج إلا قرابة السنة ، حيث تم نقله إلى المحكمة الكبرى في الرياض ، وقد كان ذلك في شوال سنة ١٣٦٦هـ .

ظل الشيخ عبدالله بن عقيل قاضياً في الرياض حتى سنة ١٣٧٠هـ ، إلى أن أمر الملك عبدالعزيز بنقله قاضياً لعنيزة مسقط رأسه ، ومقر شيخه عبدالرحمن بن سعدي ، حيث لم يمنعه موقعه – وهو قاضي عنيزة – من متابعة دروسه العلمية والاستفادة منه طيلة المدة التي مكث فيها بعنيزة ، وقد أشرف خلال هذه الفترة على إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مدينة عنيزة .

وقد ظل الشيخ قاضياً لعنيزة حتى سنة ١٣٧٥هـ ، وفي تلك الأثناء افتتح دار الإفتاء في الرياض برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وعين الشيخ عبدالله بن عقيل عضواً فيها بأمر الملك سعود وباشر عمله في رمضان ١٣٧٥هـ .

وكان تعيين الشيخ في دار الإفتاء فرصة عظيمة له لملازمة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، والاستمرار في الاستفادة منه ، وفي أثناء عمل الشيخ عبدالله في دار الإفتاء أصدر مجموعة من العلماء برئاسة سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم صحيفة إسلامية سميت بـ« الدعوة » ، وكان فيها صفحة للفتاوى ، تولّى الإجابة عليها أول أمرها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، ثم وكل للشيخ عبدالله بن عقيل تحريرها ، والإجابة على الفتاوى التي تَرد من القراء ، وقد كان من نتاجها هذه الفتاوى التي تطبع لأول مرة .

وبعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رئيس القضاة أمر الملك فيصل بتشكيل لجنة للنظر في المعاملات الموجودة في مكتبه كرئيس للقضاة ، فترأس الشيخ تلك اللجنة ، التي سميت اللجنة العلمية ، وقد ضمت في عضويتها كلاً من الشيخ محمدبن عودة ، والشيخ راشد ابن خنين ، والشيخ عبدالله بن منيع ، والشيخ عمر المترك .

وما إن أنهت اللجنة العلمية أعمالها حتى انتقل الشيخ عبدالله بن عقيل في عام ١٣٩١هـ بأمر من الملك فيصل إلى عضوية هيئة التمييز، بمعية كل من الشيخ محمد بن جبير، والشيخ محمد البواردي، والشيخ صالح ابن غصون، والشيخ محمد بن سليم، ورئيسهم الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد.

وفي عام ١٣٩٢هـ تشكلت الهيئة القضائية العليا برئاسة الشيخ محمد ابن جبير، وعضوية الشيخ عبدالله بن عقيل، والشيخ عبدالمجيد بن حسن، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ غنيم المبارك.

ومن الهيئة القضائية العليا انتقل عمل الشيخ إلى مجلس القضاء الأعلى الذي تشكل برئاسة وزير العدل في ذلك الوقت الشيخ محمد الحركان، حيث تعين فيه الشيخ عبدالله عضواً؛ إضافة إلى عضويته في الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى، وذلك في أواخر عام ١٣٩٢هـ.

ثم عين الشيخ رئيساً للهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى إثر انتقال الشيخ محمد الحركان إلى رابطة العالم الإسلامي، وتعيين الشيخ عبدالله بن حميد خلفاً له في رئاسة المجلس، كما كان الشيخ ابن عقيل يترأس المجلس الأعلى للقضاء نيابة عن الشيخ عبدالله بن حميد أيام انتدابه، وأيام سفره للعلاج.

وقد اختير الشيخ عبدالله بن عقيل لعضوية مجلس الأوقاف الأعلى إبَّان إنشائه في سنة ١٣٨٧هـ، واستمر في عضويته إلى جانب أعماله التي تقلدها، حتى بلغ السن النظامية للتقاعد في سنة ١٤٠٥هـ.

ولم يكن التقاعد عن العمل الوظيفي تقاعداً عن الأعمال عند الشيخ عبدالله، فها هو ذا يترأس الهيئة الشرعية التي أنشئت للنظر في معاملات شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، ومن ثم تصحيح معاملاتها بما يوافق الشريعة، وكانت اللجنة تضم في عضويتها كلاً من الشيخ صالح الحصين نائباً للرئيس، والشيخ مصطفى الزرقاء، والشيخ عبدالله بن بسام، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ يوسف القرضاوي، وقد تولى أمانة هذه اللجنة الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ عبدالله بن عقيل.

ولما عرض على هيئة كبار العلماء بالمملكة موضوع تحديد حرم المدينة النبوية، رأي المجلس الاكتفاء بقرار اللجنة العلمية الأسبق المؤيد من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، والتي كان الشيخ عبدالله بن عقيل مندوباً عنه فيها، وقد رأى مجلس كبار العلماء تشكيل لجنة جديدة لتعيين الحدود على الطبيعة تضم بالإضافة إلى الشيخ عبدالله بن عقيل كلاً من الشيخ عبدالله البسام، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ عطية محمد سالم، والشيخ أبوبكر الجزائري، والسيد حبيب محمود أحمد،

وقد تولى الشيخ عبدالله رئاسة هذه اللجنة ، كما تولى سكرتارية اللجنة الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله بن عقيل .

وقد فرَّغ الشيخ عبدالله نفسه منذ أن تقاعد عن العمل الرسمي للعلم وأهله وطلبته ، فلا تكاد تجده إلا مشغولاً بالعلم تعلماً وتعليماً ، بالإضافة إلى إجابة المستفتين حضورياً وعلى الهاتف ، حفظه الله وأثابه ومتع به على طاعته ، وأحسن خاتمته [١] .

* * *

(١) فتاوى ابن عقيل لصاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز ابن عقيل ص٧-١٤ .

كلمة معالي الأستاذ محمد بن عبدالله النافع [(١)]

رئيس الهيئة العامة للرقابة والتحقيق سابقاً - عن الشيخ عبدالله العقيل

عرفتُ الشيخ لأكثر من ثلاثين عاماً ؛ جلست معه .. تتلمذتُ عليه .. سمعت منه .. وقرأت وهو يوِّجه ويعلق ، فعرفتُ في سماحته : السماحة، وحسن الخلق ، والتأدب مع الكل ، والتواضع إلى الحد الذي يغمط حقَّه الواجب له على طلابه ومريديه ، فهو يعلِّمك ويُشعرك أنه يتعلم منك !

هذا العالم الرباني الذي بلغ من العمر التسعين أو شارفها ؛ ومع ذلك فلا يزال في قلبه من الشباب وقوة العزيمة ما يُعينه في أموره كلها ، أمدَّ الله في عمره .

لم أجلس معه إلا واستفدتُ ، ولا تحدثت إليه إلا كان حديثه علماً

---

(١) معالي الأستاذ محمد بن عبدالله النافع : من مواليد شقراء ١٣٥٤هـ ، درس بها الابتدائية ، ثم التحق بدار التوحيد بالطائف ، وتخرج في كلية الشريعة بمكة المكرمة ، حصل على دبلومات القانون من معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، والماجستير من جامعة تولين بالولايات المتحدة الأمريكية . تولى رئاسة لجنة العمل والعمال بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وعمل في مجلس التعاون لدول الخليج ، ثم اختير عضواً في مجلس الشورى ، فرئيساً لهيئة الرقابة والتحقيق بمرتبة وزير .
[قلت : توفي رحمه الله سنة ١٤٣٠هـ أثناء تصحيح تجارب هذا الكتاب] .

نافعاً، كنت أحضر بعض المناسبات التي يخصصها للقاء أبنائه وأحبابه، وكانت جلسة عائلية، تشتمل على شيء من التسلية والمرح، انطلاقاً من: «روِّحوا عن أنفسكم ساعة بعد ساعة، فإنها إن كلَّتْ ملَّتْ» وكانت هذه التسلية تتمثل في نوع من المسابقات العلمية والمنافسة في المعارف، وكان يُضفي في المناسبات الاجتماعية على المجلس شيئاً من روحه بما يورده من قصص وحكايات تحمل في طياتها المواعظ والعبر والنصح بأسلوب يستوعبه كل من في المجلس؛ حتى البسطاء منهم.

عرفتُ أن الشيخ موسوعة علمية بما يحفظه من الشعر؛ فصيحه وعاميّه، وأنه لا يفوت عليه الاطلاع على العلوم والمعارف الإنسانية أيّاً كان مصدرها، فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنّى وجدها، ومن ذلك نصيحته لأحد أقاربي بقراءة كتاب «دع القلق وابدأ في الحياة» لديل كارنيجي، وهو كتاب يُعالج الجوانب النفسية في الإنسان.

وأن الشيخ حجة في اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة، فهو أستاذ متمكن في اللغة، وقد حضرتُ درساً من دروسه في شرح ألفية ابن مالك فعجبتُ لتلك المقدرة الفائقة في توصيل المعلومة.

وكان بابه وهاتفه مفتوحين لكل سائل ومستفتٍ، وكانت أجوبته - لمن يسأله من بسطاء الناس الذين يريدون رفع الحرج عن أنفسهم -

شافية كافية ومقنعة، تتمثل في فتوى أو نصيحة دون تعنيف أو لوم.

وأما إذا كانت المسألة من المسائل الشائكة أو التي يختلف فيها الرأي فكان جوابه الحاضر أبداً: «أفتى الشيخ فلان بكذا، أو الشيخ فلان بكذا» والمطلوب للسائل - وأنا منهم - فتوى شيخنا وفقه الله في المسألة، التي أعرف يقيناً أنه في مسائل الفقه خاصة أمكنُ منهم وأقدر على الاستنباط.

ولعل من أهم مساهماته - وهي كثيرة تشهد له فتاواه المطبوعة وغيرها - دخوله في النظر في الأعمال المصرفية في سبيل ردِّها إلى أحكام الشرع، ولا شك في أن في مجموعة الأجوبة على ما طرح على اللجنة الشرعية لشركة الراجحي - التي هو رئيسها - ما يُثري الجانب الاقتصادي، ويُعطي صورة مشرقة بأن الفقه يشتمل على أجوبة وحلول لكل النوازل والمستجدات، ولا سيما في مسائل الاقتصاد، ومن أهمها الأعمال البنكية والتأمين، يصلُ إليها من لديه القدرة على الفهم والاستنباط.

وشيخنا وفقه الله وأمد في عمره له قدوة بشيخه العلامة عبدالرحمن ابن سعدي رحمه الله الذي يلهج بذكره ويُسند إليه دائماً، وحسب تأدبه معه تلك الرسائل المتبادلة بينهما.

وفي تقديري أن هناك الشيء الكثير في هذا المجال ستظهره الأيام.

جزى الله شيخنا الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل خير الجزاء، ونفع بعلمه وأدبه (١).

الرياض ١٥ محرم ١٤٢٥هـ.

* * *

(١) فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، جمع وتخريج محمد زياد بن عمر التكلة، ص٢٥٩-٢٦١.

كلمة الدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي [١]

حررت في ١٢/ ٥/ ١٤٢٨هـ

الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل الفقيه الحنبلي ، صاحب التحقيقات والتدقيقات في الفقه وصاحب النوادر والمُلَح في فنون النحو الصرف والتفسير والأدب وغيرها ، وله فتاوى مطبوعة تدل على تحقيقه وضبطه ورسوخ علمه .

لقيته بمكة أول ما لقيته قبل خمسة عشر عاماً ، ورأيت فيه من التواضع الجم وطيب المعشر وكرم الطباع وغزارة العلم ما يبهج الخاطر ويقر عين الناظر .

وحين لقائي له بمكة عرف اشتغالي بالنظم العلمي ، وكنت أيامئذ على

---

(١) - ليسانس من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

- ماجستير في القراءات من جامعة أم القرى بمكة المكرمة .
- دكتوراة في التفسير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة .
- له عدد من المؤلفات في علوم القرآن واللغة والعقيدة وغيرها .
- يعمل الآن أستاذاً مشاركاً بمعهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى .

وشك طباعة كتابي « ما هب ودب » فأسمعته حفظه الله مقطعات منه من نظمي في الطب ، ونظم آخر في العقيدة والفرق والمذاهب ، وعرفت من خلال ذلك أن الشيخ صاحب ذائقة فائقة في الأدب وحس مرهف في الشعر والنظم وتحقيق دقيق في العلم ، وأعجبه ما ألقيته على سمعه وأحبه . وطلب المزيد وبادلني بشيء من محفوظه الجم ، وتوالت اللقاءات بعد ذلك في كل عام مرة أو مرتين أو أكثر ، وزاد العلاقة توثيقاً وقوة وجود شيخنا العلامة النحرير أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري بمكة ، فكان الشيخ ابن عقيل الحنبلي يزين كل لقاء بما يطرحه من جليل المسائل ودقائقها ، ولا يكاد يخلو مجلس من طرحه للغز علميٍّ في شعر أو نثر يطرحه على الحاضرين .

والمخالط للشيخ يجد أنه على نظام وترتيب دقيقين يدلان على عقل منظم في الفكر والنهج السوي ، وسأتناول جانبين من سيرته ، أحدهما عملي والآخر علمي .

الأول : رحلاته إلى مكة .

الثاني : عنايته بالألغاز العلمية ، وهو الجانب الأكبر .

أما رحلاته إلى مكة : فقد كان الشيخ ولا يزال إلى اليوم يأتي إليها كل

شهر مرة ، يمكث بها ثلاثة أيام أو أكثر ، وهذه الأيام الثلاثة هي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر هجري (الأيام البيض) يصومها بمكة ، يفعل ذلك كل شهر ، إلا في شهر « محرم » فإنه يوم اليوم التاسع والعاشر والحادي عشر ، ويكون في مكة أيضاً ، عوضاً عن الأيام البيض ، ولا أدري كيف يكون صيامه في شهر ذي الحجة.

ولعل الشيخ اختار أن يكون صيامه بمكة بدلاً من الصيام في موطن إقامته لأمور ، منها :

ابتعاده عن المناسبات الملزمة التي يشق عليه الخلاص منها بين أهله وأقاربه وهم كثير ، فتضطره في بعض الأحيان إلى الإفطار أو لا تعينه على أداء صيامه ؛ لأن الأسباب حين توجد تضعف الدافع إذا كان عن تطوع .

ومنها : أنه تجتمع له مع فضل الصيام فضائل أخرى بسبب فضل المكان والصيام ، مما يعينه على الإكثار منها .

ومنها : أن الغرض الأول هو الإتيان إلى مكة في كل شهر ولو مرة ، فوافق أن يجعل ذلك في وقت صيامه ، وإنما ذكرت هذه الأسباب حتى لا يظن أحد أن مثل هذا التخصيص والمداومة عليه نوع من البدعة

الإضافية وانتحلت هذه الأسباب أيضاً لمعرفتي بالشيخ وحرصه على السنة ، ودرايته التامة بمثل هذه الواردات ، وكان – حفظه الله وجعله ممن طال عمره وحسن عمله – يلتقي في مكة بأئمة الحرم وأهل العلم ، وربما قرأ عليه بعض طلبة العلم في الفقه وغيره .

ثانياً : معرفته وعنايته بالألغاز العلمية :

العناية بدقائق المسائل لتقوية الذهن وتربية الملكة من شأن العلماء منذ القدم ، وقد صنف فيها مصنفات وعني بها العلماء نظماً ونثراً ، وفي المكتبة الإسلامية أكثر من مئة مصنف في الألغاز في الفقه والحديث والنحو والصرف والبيان والعروض والقوافي والتاريخ ، ومن ذلك كتاب أهداه إليَّ الشيخ نفسه ، وهو كتاب « حلية الطراز في حل مسائل الألغاز » على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تأليف أبي بكر بن زيد الجراعي ، وكتب لي في صفحة عنوانه هذه الأبيات الأربعة أوردها استدلالاً على تمكنه في النظم ومعرفته به ورِقَّة طبعه ، وليس عندي غيرها:

قال يحفظه الله :

هدية إلى الأديب الصاحب — أبي محمد الأديب الثاقب
أعني به عبدالعزيز الحربي — من فاق كلَّ قومنا والصحب

لعلـــه يفيـــد مـــن مـــضمونها ويخرج المكنون من مضمونها
ممـا حوتـه مـن أحـاجي وغُـرَرْ وعجَـرٍ أيـضاً كـذاك وبُجَـرْ

وما ذكره – حفظه الله – من الثناء هو من باب التشجيع لابنٍ من أبنائه وتلميذٍ من تلامذته .

والآن أسوق بعض ما كان يطرحه من أسئلة وألغاز يوقظ بها الوسنان ويحرك بها الأذهان ؛ لتنبيه الخواطر وبعث الهمم ، فمن ذلك – وهو أول ما سمعته منه – هذا اللغز المضمن في هذين البيتين :

ســألت الخثعمــي أبــا يزيــد غــداة أتــى ونحــن نــسير سـيرا
ولم ألحــفْ عليــه ولـم أكــرِّرْ فجــاد بــه جــزاه الله خـــيرا

والسؤال في اللغز : ما الذي سأله الخثعمي ؟

وأترك جوابه وجواب سائر الأسئلة من بعده للقارئ ليتأمل فيها كما تأملنا .

ومن ذلك سؤال طرحه في إحدى ليالي رمضان عن آية تكرر فيها لفظ « الله » سبع مرات ، وسؤال آخر عن أحد عشر قَسَماً متتابعة في سبع آيات.

ومن ذلك هذا اللغز في هذين البيتين :

إلى نساء ينتمي بسوقهن يوجدُ

الجسم منه فضة والقلب منه جلمدُ

ما الذي قصده الشاعر ؟

ومن ذلك هذا اللغز العسر :

وما شيء إذا حاز انبساطا رأيت النفس منه في انقباض

قريب منك تلمسه بكفٍّ وتبصره بأحداق مراض

فقبل الفجر يشرع بارتفاع وبعد العصر يسرع في انخفاض

وقد أجبت عليه بعد الاستعانة بمعالي الشيخ صالح ابن حميد يحفظه الله.

ومن ذلك قول الشاعر :

سلم على شيخ النحاة وقل له هذا سؤال من يجبه يعظمِ

أنا إن شككت وجدتموني جازماً وإذا جزمت فإنني لم أجزم

وآخر البيت الأول يضبطه الشيخ هكذا :

« يُجبهُ يُعَظَّمِ » وهو صواب ، والذي أعرفه بإشباع الهاء وفتح الياء «يعظم » مع سكون العين وضم الظاء مخففة ، وهو صواب أيضاً .

ومن باب المطارحة الأدبية والمثاقفة العلمية طرحت عليه لغزاً فقهياً في الأبيات الآتية :

إلى الشيخ عبدالله نجل عقيلهم سؤاليَ منظوماً بعقد منظَّم

رجالٌ عدولٌ شاهدون على زنى كعاب رأوا ذيَّاك في فرجها رُمِي

شهادتهم رُدَّت وحدَّ ثلاثة وما حدُّ ظهر الرابع المتكلِّمِ

طرحته عليه بحضرة عدد من العلماء بمنزل سماحة الشيخ محمد السبيِّل .

ولغزاً آخر في اسم « عقيل » :

اسم الذي تيَّمني أذهلني بعقله

إنْ عينُهُ مغمضةٌ رأيتَني في ظلِّه

وإن يكن بدونها قيل بقي من كلِّهِ

وقلبه مطَّرَحٌ من ذا الذي كمثله ؟

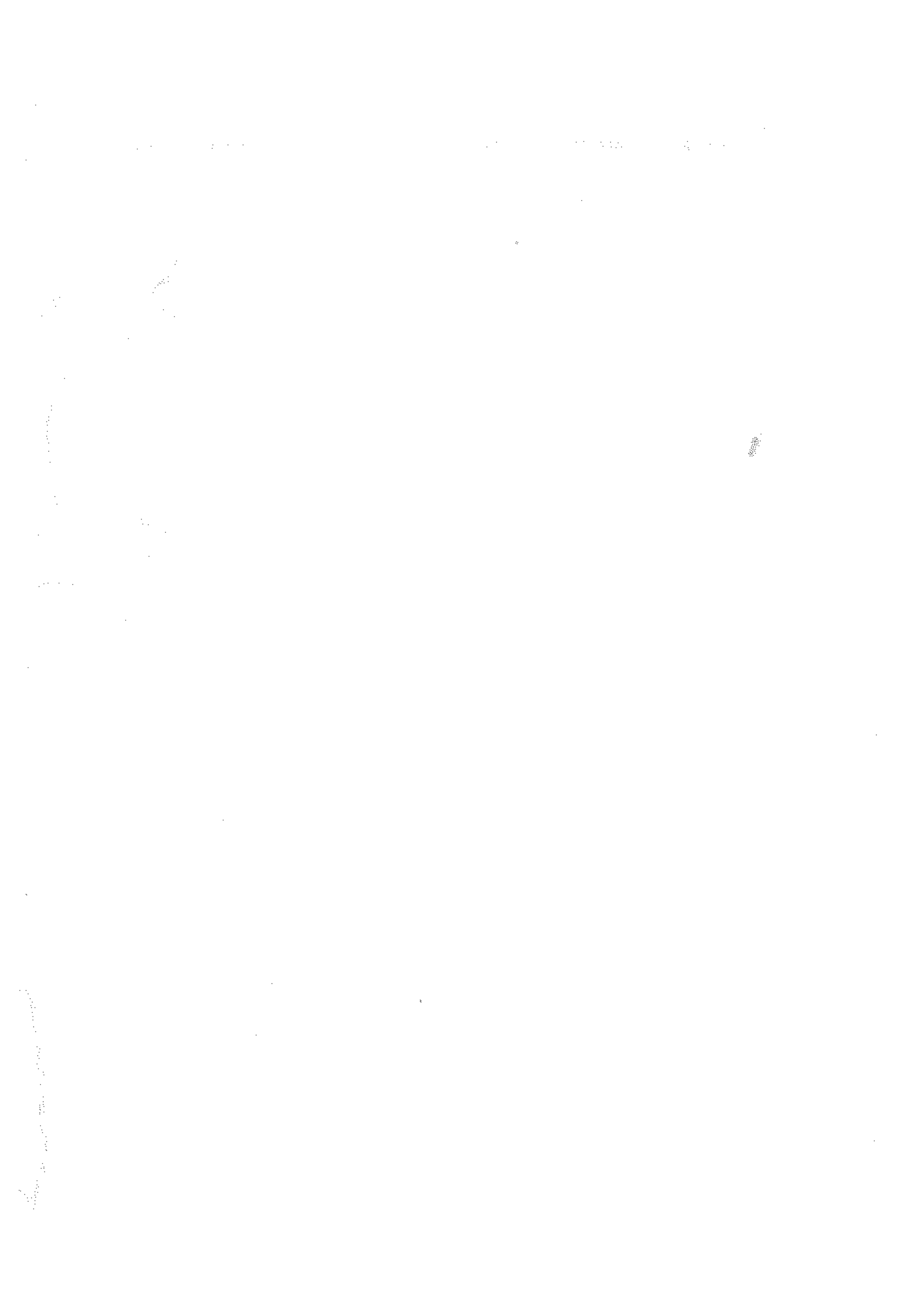
ولأن في اللغز شيئاً من الغموض والخفاء أوضحه وأشرح طريقة الإلغاز فيه : أما البيت الأول فمعناه واضح ، وأما الثاني فمعناه : أن العين منه – وهي عين « عقيل » – إذا كانت مغمضة أي : منطمسة تحرَّف إلى مَقيل ، وهو مكان القيلولة ، وهذا معنى قولي : « رأيتني في ظله » . وأما البيت الثالث فمعناه : إن لفظ « عقيل » إذا كان بدون العين فالباقي منه لفظ « قيل » وهذا واضح ، وأما البيت الرابع فالمراد به أن لفظه المقلوب

وهو «اليقع» مقلوب «عقيل» مطروح لا وجود له في معاجم اللغة العربية.

ولا شك في أن الإلغاز في قولي «وعينُه مغمضة».

وقولي «وقلبه مطرح» هو بيت القصيد وهو الذي فيه التعمية .. وإنما ألغزت في هذا اللفظ لما أحلمه من المودة الأكيدة والوفاء الصادق لمن يحمل هذا الاسم الذي كان أول داع إلى الإلغاز فيه ولا سيما العالم الأغرّ والوالد الأبر محمد بن عمر .. المنتسب إلى عقيل هو وصاحب الترجمة .. حفظهما الله ونفع بعلومهما . آمين .

* * *



تغطية مجلة القمة لمحاضرة

ألقاها سماحته في الكويت

قال الرئيس السابق لهيئة القضاء في المملكة العربية السعودية الداعية الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل : إن كتب العلماء والفقهاء الإسلاميين تحث على ضرورة السمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته وعدم الخروج عليه ، وإذا جاءت منه مفاسد فالواجب إنكارها والصبر عليها وتحمّلها.

وأضاف العقيل في محاضرة ألقاها في مسجد الدولة الكبير في العاصمة الكويتية – التي قدم لها بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –: أن جميع العلماء أدانوا الإرهاب واستنكروا وأكدوا على حرمة قتل النفس التي حرم الله – جل في علاه – قتلها إلا بالحق .

إصلاح النوايا

وطالب العقيل إصلاح النوايا وجعل العمل الصالح نبراساً ؛ لأنه من الواجب على المسلم أن ينوي صالح الأعمال حتى لو لم يعمله ؛ لأنه يحسب له ، لأن نية المسلم خير من عمله ، فإذا كان يطلب العلم يسترشده من أستاذه في الكتب الصغار ؛ يحفظها ويَدْرُسها ، ولا يشق على نفسه فيها خوفاً من عدم الإتمام .

الوسطية والاعتدال

وناشد العقيل طلاب العلم بضرورة التمسك بالوسطية والاعتدال في الدين ، والعمل على ترك التطرف والإرهاب ونبذ كل أشكاله ، لأن التطرف شذوذ وانحراف ، ولا علاقة له بالإسلام الذي يدعو إلى التسامح والسماحة من خلال الوسطية والاعتدال ، لأن قتل النفس بغير حق يعد من الاعتداء ومن الإرهاب ، لأنه ترويع للآمنين .

رائحة الجنة

وتابع أن قتل النفس من أعمال المفدسين المخربين في الأرض ، لما جاء في الكتاب والسنة من تحريم قتل النفس البريئة من دون وجه حق ، أو إباحة دم المعاهد ، فمن قتل معاهداً لم يشم رائحة الجنة .

تنفيس الكرب

وأكد العقيل أن المسلم الحق ضد الإرهاب وضد تخويف الآمنين وترويعهم من المسلمين أو المعاهدين لهم ؛ لأن الإسلام طالب بضرورة إدخال السرور على المسلمين ومعونة المسلم وتنفيس الكرب عنه ومساعدته لتفريج المصائب عنه ؛ لأن من أخلاق الدين الإسلامي التوسيع على المعسر وإمهاله لا التضييق عليه .

وقال : إن الدين الإسلامي يدعو إلى الألفة والمحبة وتقارب الصفوف ووحدتها وإقامة الجسور المتينة فيما بينها ، وينبذ الدعوة إلى التفريق بين المسلمين أو نشر العداوة بينهم ؛ لأنها تؤدي إلى ضعف المسلمين وهشاشة صفوفهم وعدم تكاتفها ، وخير دليل على ذلك أن الله عز وجل يحب المؤمن القوي .

العلماء الربانيون

وناشد العقيل الشباب المسلم الرجوع إلى العلماء الربانيين لأخذ الفتوى ؛ لأن الدين الإسلامي واضح وصريح، نزلت عوامله التنظيمية من السماء ، فوضّحت أمور الدين والدنيا ، ولهذا فمن الواجب على المسلم إذا سمع أخباراً كاذبة أو سيئة عدم الإعلان عنها أو تناقلها خوفاً من إدخال الرعب والخوف في قلوب المسلمين ؛ لأنه من الواجب على كل مسلم بث الروح المعنوية في نفوس جميع شرائح المجتمع الإسلامي، وحثهم على وحدة الكلمة لتوحيد صفوف المسلمين .

الكتاب والسنة

وأمل العقيل من المسلمين العمل بما جاء في الكتاب والسنة ، لأنهما الطريق الصحيح للفوز برضا الله عز وجل ؛ ونيل أعلى الدرجات ؛ وبلوغ

أرفع المراتب يوم لا ظل إلا ظله عز وجل ، ولن يتأتى هذا إلا من خلال العمل بأوامره والامتناع عن نواهيه ، التي سار على نهجها المسلمون الأوائل ، حتى بات من المؤكد عدم تحقيق هذه الأمة لمصلحتها إلا من خلال ما صلح به أولها .

تكريس الجهود

وقال العقيل : إن من الواجب على العلماء الربانيين تكريس جهودهم لتنوير عقول الشباب وحمايتهم من الانجراف وراء الحماس الذي يقودهم إلى أمور لا تحمد عقباها ، والتي ترتد بالكثير من المشاكل على الأمة .

* * *

العالم الجليل عبدالله العقيل

الرسوخ في العلم، والوسطية المطلوبة

للأستـــاذ

فائز بن موسى البدراني الحربي

مقال نُشر في جريدة الجزيرة على حلقتين:

الجمعة ١٥ رجب ١٤٢٩   العدد ١٣٠٧٧

الجمعة ٢٢ رجب ١٤٢٩   العدد ١٣٠٨٤



يسَّر الله لي مؤخراً زيارة الوالد العالم العامل والشيخ الجليل عبدالله بن عبد العزيز العقيل، وحصلتُ منه على جملة من الهدايا، كان من أجملها كتاب أَلَّفه عنه تلميذه النابه محمد زياد بن عمر التكلة، بعنوان: «فتح الجليل في ترجمة وثبت شيخ الحنابلة عبد الله بن عبد العزيز العقيل».

وقد يسَّر الله لي قراءة هذا الكتاب الوافي عن الحياة العلمية والعملية لهذا العالم الموفّق إن شاء الله، فألفيتُه كتاباً شاملاً لسيرة الشيخ ومشايخه وتلاميذه ومسيرته العلمية والعملية بمعلومات وافية ودقيقة، وإخراج جميل، وتبويب مرتب، يجعله سِفْراً مليئاً بالأخبار والمقابلات والمراسلات والنوادر والتواريخ المهمة لمواليد العلماء ووفياتهم وسِيَرهم.

وُلد الشيخ عبد الله في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ١٣٣٥هـ، فهو الآن يناهز الخمسة والتسعين عاماً، زاده الله خيراً، ونشأ في بيت علم وفضل وصلاح، فوالده عبد العزيز كان من طلبة العلم والأدب، وعمه عبدالرحمن (ت ١٣٧٢هـ) من حفظة كتاب الله، تولى قضاء جازان من عام ١٣٥٤هـ إلى ١٣٥٨هـ.

واتجه الشيخ إلى طلب العلم مبكراً، وكانت بدايته في كُتَّاب الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن سليمان آل دامغ، بجوار مسجد أم حمار بعنيزة

وذلك عام ١٣٤٨هـ. ثم كان من أوائل الطلبة الذين دخلوا المدرسة الأهلية التي أنشأها الشيخ صالح بن ناصر بن صالح في حي البرغوش بعنيزة سنة ١٣٤٨هـ، كما دخل مدرسة الشيخ عبد الله القرعاوي في السنة نفسها أيضاً، ودرس فيها القرآن ، والأصول الثلاثة ، والفرائض ، والتجويد، والنحو، وغيرها.

وفي سنة ١٣٤٩هـ انتظم في حلقات العلاَّمة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ودرس عليه القرآن والتفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله والنحو، كما درس على غيرهم من المشايخ الكبار في بلده آنذاك، ثم درس فيما بعد على العديد من كبار العلماء خارج عنيزة، ولازم بعضهم، واستفاد منهم، كالشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالعزيز بن باز وغيرهم، في الرياض ومكة والمدينة وجازان وغيرها، رحم الله الجميع.

وقد حج الشيخ حجته الأولى سنة ١٣٥٣هـ، وعاصر حادثة الاعتداء على الملك عبد العزيز في الحرم، وفي عام ١٣٥٤هـ انتقل إلى جازان مرافقاً لعمه عبد الرحمن الذي عيّن قاضياً فيها، وهناك جالس العديد من علماء جيزان أمثال قاضيها وأديبها علي بن محمد السنوسي (ت ١٣٦٣هـ)، والفقيه عقيل بن أحمد حنين، والأديب محمد بن أحمد

العقيلي، والفقيه علي بن أحمد عيسى ، والشيخ علي محمد صالح عبدالحق، وغيرهم.

وفي عام ١٣٥٨هـ بدأ حياته العملية قاضياً في أبي عريش في منطقة جازان، وكان عمره لا يتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة فقط، لكن نباهته وعلمه لفت انتباه المشايخ ومن ورائهم الملك الحريص على تتبع الرجال الأكفاء، وإلحاقهم بالخدمة.

وفي عام ١٣٦٥هـ نقل إلى قضاء الخرج، ومنها نقل إلى محكمة الرياض عام ١٣٦٦هـ، ثم عُيّن قاضياً في عنيزة في ذي القعدة عام ١٣٧٠هـ، ثم أعيد إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ بعد تعيينه عضواً في هيئة الإفتاء بترشيح من المفتي العام الشيخ محمد بن إبراهيم، ثم نقل في عام ١٣٩١هـ إلى هيئة التمييز بالرياض، ثم عضواً في الهيئة القضائية العليا، ثم عضواً في مجلس القضاء الأعلى، إلى أن أُحيل على التقاعد عام ١٤٠٦هـ، ليتفرغ إلى التدريس وأعمال البر، بعد أن عمل في الدولة أكثر من خمسين عاماً، وعمل في القضاء مع خمسة ملوك، وهم: الملك عبدالعزيز ، والملك سعود ، والملك فيصل ، والملك خالد ، والملك فهد، رحمهم الله.

* * *

وخلال خدمة الشيخ عبدالله العقيل الطويلة قام مشاركاً أو منفرداً بالعديد من الأعمال المهمة في تاريخ البلاد، ومن ذلك مرافقته لعمه عبدالرحمن ضمن فريق لجنة ترسيم الحدود بين المملكة واليمن عام ١٣٥٥هـ، ومشاركته في لجنة تحديد حرم المدينة عام ١٣٨٠هـ، وكذلك عام ١٤١٨هـ، ومشاركته في لجنة النظر في وضع جمرة العقبة عام ١٣٩٣هـ، كما انتُدب للتحقيق في العديد من الأمور التنظيمية، والخلافات القضائية والقبلية الكبيرة، وسافر من أجل ذلك إلى العديد من مناطق المملكة، مثل: مكة، والمدينة، والطائف، والعلا، والجوف، والأحساء، والقطيف، والأفلاج، والدرعية، وجدة، والتويم، وغيرها.

كما زار معظم البلاد العربية، وسافر إلى العديد من بلدان العالم الإسلامية وغير الإسلامية، حيث زار الهند، وباكستان، وماليزيا، وإندونيسيا، وتركيا، وبريطانيا، والسويد، وهولندا، وغيرها.

وللشيخ عبدالله العقيل - حفظه الله - مآثر ومحاسن لا يتسع المجال لذكرها، ولكنني رأيت أن أتوقف عند بعض الجوانب الملفتة للنظر، ومن أهمها تواضع الشيخ وسماحته ووسطيته التي أرى أن علماء الأمة بحاجة إليها للتيسير على المسلمين، ولإظهار وسطية الإسلام وبعده عن الشطط والتشدد والانغلاق، فقد لفت انتباهي سياحة شيخنا في بلاد الله الواسعة

في الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتبسطه في زيارة الآثار والمتاحف، ومن ذلك زيارته لآثار ثمود في العلا، التي قال عنها وهو يصف زيارته للعلا في مهمة رسمية عام ١٣٨٨هـ: «.. كما تجولنا على مدائن صالح وديار ثمود وآثارهم الباقية، ورأينا تلك الآثار العجيبة».

كما كان في جميع أسفاره أليفاً ومألوفاً، يلتقي بالعلماء وطلبة العلم على اختلاف مشاربهم، ويتودد إليهم ويأنس بهم، وفي هذا الصدد يقول عنه ابنه ومرافقه عبدالرحمن: «وكان حفظه الله واسع الصدر و محافظاً على العبادة والقيام، والذهاب إلى المسجد، ورؤية طلبة العلم والصالحين، والآثار».

وقال عن زيارته للقطيف؛ التي زارها بدعوة من الشيخ محمد بن عودة عام ١٣٧٥هـ؛ الذي كان في مهمة رسمية: «... فعرض عليَّ أن أصحبه للقطيف نتحدث ونتفرج وهو في مهمته، فذهبتُ معه، وأنهى مهمته، وتمشينا على معالم القطيف ونخيلها والقلعة الأثرية هناك، وقلت بهذه المناسبة:

وقائلةٍ: ذهبتَ إلى القَطيفِ؟ فقلتُ: نعم، مع الرَّجُلِ الظَّريفِ
محمدُ ابْنُ عودةَ مَن تسامتْ به الأخلاقُ مِنْ كُفْؤٍ شَريفِ

إلخ تلك الأبيات اللطيفة الظريفة.

وللشيخ أشعار لطيفة تدور في معظمها حول طلب العلم والإخوانيات، والشوق إلى الأهل والموطن.

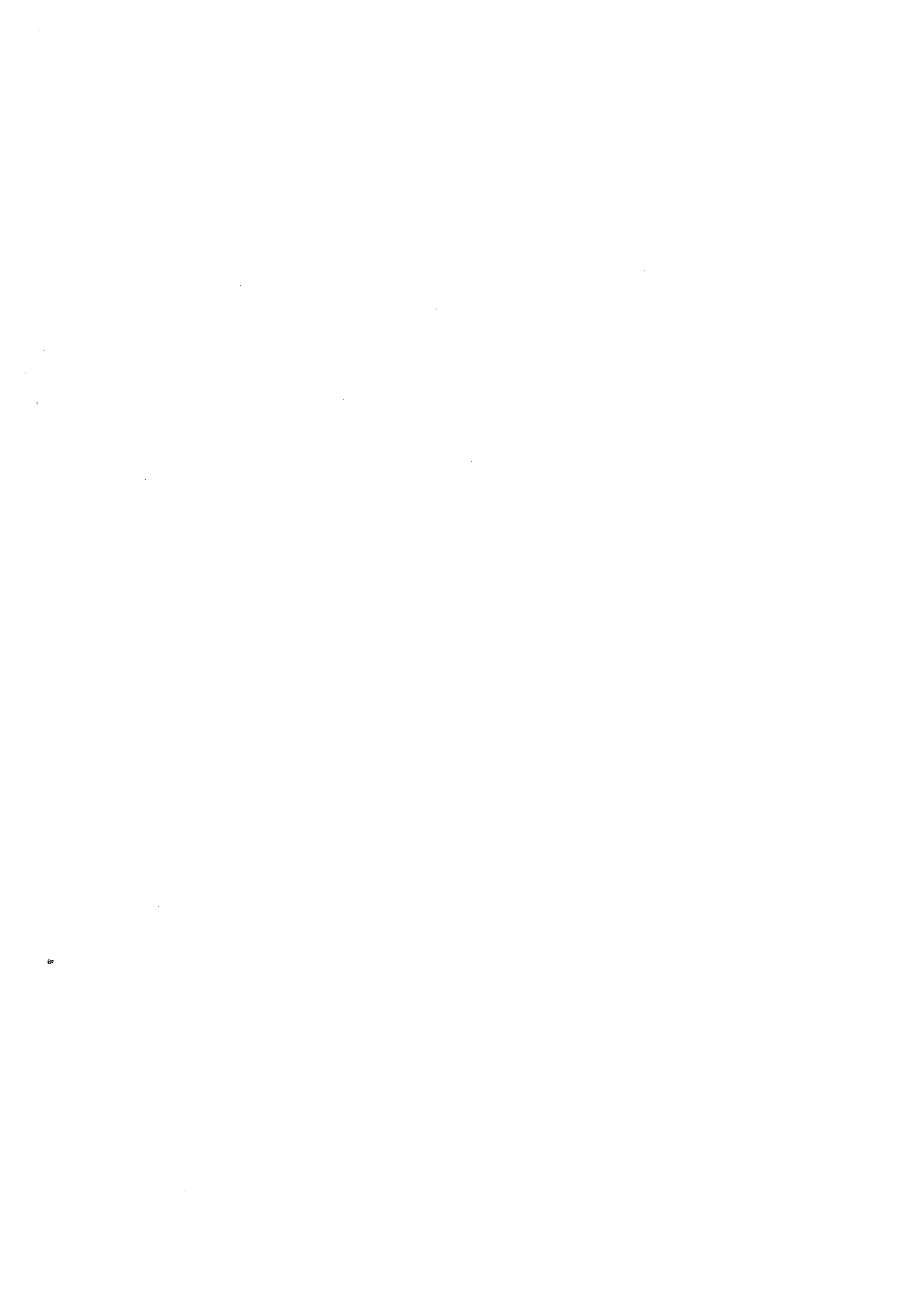
ومن وسطيته أنه كان يتشوق إلى لقاء علماء المسلمين في البلاد التي يزورها، ويتبسط معهم ويقدرهم، ومن ذلك على سبيل المثال موقفه من الشيخ الألباني رحمه الله، فقد كان يقدّره ويجله، وفي هذا الصدد يقول مؤلف كتاب (فتح الجليل): «ولما قيل للشيخ إن بعض الناس يقول إنه ليس للألباني في الفقه، أو يرمونه بالإرجاء، فما رأيكم؟.. فأجاب: الذي نراه أنه شيخ ، وأنه إمام ، وأنه معتدل ، وأن الذين يتكلمون عليه هؤلاء إما عن غير علم، أو عن هوى، وإلاّ حقه أن يُحترم ويُعترف بفضله».

وقال في موضع آخر: «ونرى أنه من أئمة السنة ، ومن كبار المحدثين، وخدم الحديث خدمةً كبيرة بمؤلفاته».

وختاماً أقول: ما أحوجنا إلى أمثال هذا العالم العامل لإشاعة المحبة بين علماء المسلمين، وكسب قلوب الآخرين من غير المسلمين؛ من خلال نشر سماحة الدين الإسلامي ووسطيته؛ التي أساء لها بعض أتباعه؛ الذين ضيقوا سعة الإسلام بضيق نظرتهم، وحَدّوا من وسطيته بمحدودية علمهم.

حوار موقع شبكة السنة النبوية وعلومها
مع سماحته

نشر بتاريخ ١/ ٩/ ١٤٢٩



حوار موقع شبكة السنة النبوية وعلومها مع سماحته

١. حبذا لو تعرفوا في بداية هذا اللقاء رواد الموقع عن شخصكم الكريم: المولد، النشأة، بداية طلبكم للعلم، أشهر شيوخكم، رحلتكم الدعوية، المناصب التي عملتم فيها، إنتاجكم العلمي؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فأنا: عبد الله بن عبد العزيز بن عَقيل العَقيل، وُلدت في عنيزة سنة ١٣٣٥، ونشأت بها في كنف والدي رحمه الله، وكان من مشايخ عنيزة وشعرائها وأدبائها المعروفين، فتعلمت الكتابة ومبادئ العلوم على يديه، وعلى يد أخي الشيخ عقيل قاضي العارضة.

ثم دخلت كُتّاب المطوع عبد العزيز بن دامغ، في مسجد أم حمار، ولما فُتحت مدرسة الأستاذ صالح بن صالح في البرغوش سنة ١٣٤٨ دخلت معهم في الفوج الأول، وتعلمت فيها ما شاء الله، إلى أن فتح شيخنا عبدالله القرعاوي مدرسة في جانب بيته في سوق الفَرْعي، وذلك بعد قدومه من الهند، وجعل التعليم مجاناً، وكان يعلم في مدرسته العلوم الشرعية

والتربية على نمط المدرسة الرحمانية الشهيرة التي درس فيها هناك، فأدخلني الوالد مدرسته، لأنه يعلّم الناس العلوم الشرعية: الفقه والحديث والتفسير والنحو، مع بقية العلوم الأخرى التي تُعلّمها المدارس، فاستفدنا منه علوماً وآداباً وأخلاقاً، وحفظنا عنده عددا من المتون.

بعد ذلك التحقت في دروس الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله، وهو شيخنا وأستاذنا ومعلمنا، وذلك في سنة ١٣٤٩، وتعلمنا عنده علوماً كثيرة، من الفقه والتوحيد والتفسير والنحو وغيرها.

ودرست على غيره من علماء بلدنا عنيزة، مثل قاضيها الشيخ عبد الله بن مانع، والشيخ محمد بن علي التركي، والشيخ سليمان العمري، وأخذت منهم الفقه والعقيدة وغيرهما، بل أدركت الشيخ صالح القاضي واستفدت من خطبه ودروسه بعد الصلوات، في مشكاة المصابيح والتفسير.

بقيت أطلب العلم في عنيزة إلى آخر سنة ١٣٥٣، عندما أوعز الملك عبدالعزيز رحمه الله لشيخنا الشيخ عمر بن سليم رحمه الله رئيس قضاة القصيم بأن يختار عدداً من طلبة العلم والمشايخ ليكونوا قضاة ودعاة وأئمة وخطباء في منطقة جازان، فكنت فيمن اختارهم،وكان منهم عمي الشيخ عبد الرحمن بن عقيل، فسافرنا مع الشيخ عمر بن سليم رحمه الله للحج سنة ١٣٥٣، وحججنا مع الملك عبد العزيز، وقابلناه مراراً، وحضرنا مجالسه

رحمه الله ودروسه التي كان تُلقى في مجلسه بعد صلاة العشاء، وقرأنا هناك على شيخنا ابن سليم مدة بقائه في مكة من ذي القعدة ١٣٥٣ إلى ربيع الأول ١٣٥٤.

ثم بعد ذلك سافرنا مع عمي إلى جيزان، فتولى القضاء هناك، وكنت أساعده وأقوم بالوعظ والإرشاد، وبقيت إلى سنة ١٣٥٧.

وبعدها رجعت إلى عنيزة، وواصلت دراستي على شيخنا ابن سعدي، وقرأت في الحديث على شيخنا المعمر علي بن ناصر أبو وادي، وأجازنا بمروياته، وبقينا في عنيزة إلى رجب سنة ١٣٥٨.

وبعدها أُلزمت بالقضاء في جيزان بعد استعفاء عمي الشيخ عبد الرحمن، وبحمد الله استطعت في قصة طريفة أن أحوّر التعيين من قضاء جيزان إلى قضاء أبي عريش، وبقيت فيها قرابة ست سنين، ومنها تنقلت في وظائف قضائية على ما هو مفصل في ترجمتي المذكورة في ثبتي «فتح الجليل».

وملخصها: أنني توليت قضاء أبي عريش من سنة ١٣٥٨ إلى سنة ١٣٦٤، تخللها عدة أشهر في قضاء فَرَسان، ثم عدت لعنيزة أطلب العلم على شيخنا ابن سعدي، ثم توليت قضاء الخرج سنة ١٣٦٥، ثم قضاء الرياض من سنة ١٣٦٦ إلى ١٣٧٠، ثم قضاء عنيزة إلى سنة ١٣٧٥، حيث عينت في دار الإفتاء بالرياض عند شيخنا سماحة المفتي محمد بن إبراهيم،

وبقيت ألازمه في العمل، ثم بعد وفاته رحمه الله تعينت سنة ١٣٩١ في هيئة التمييز، وبعد سنة لما تأسست الهيئة القضائية العليا عينت عضوا فيها، إلى أن تشكل مجلس القضاء الأعلى سنة ١٣٩٥، فتعينت عضوا فيه وفي الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى، وأنوب عن رئيسه شيخنا عبد الله بن حميد في حياته وبعد وفاته رحمه الله سنة ١٤٠٢ مدة حتى كُلف وزير العدل بالرئاسة، وتقاعدت سنة ١٤٠٦، ثم رأست الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي منذ تأسيسه سنة ١٤٠٩ إلى الآن، وهناك أعمال أخرى مذكورة في ترجمتي.

وأما الإنتاج العلمي فقد انشغلت بالوظائف ثم بالتدريس عن التأليف، ولي رسائل ومؤلفات أكثرها مخطوط، ومما طبع: الفتاوى في مجلدين، ورسالة في حكم الصلاة على الراحلة، كما طبعت رسائل شيخنا ابن سعدي التي كتبها لي، باسم الأجوبة النافعة، ومنها محاضرة طبعت بعنوان: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي كما عرفته.

وخرّج لي بعض طلابنا رسائل وأربعينات في الرواية الحديثية، منهم الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة، ألف كتابا كبيراً في ترجمتي وثبت مروياتي، اسمه: فتح الجليل، وله رسالة مختصرة في مروياتي اسمها النوافح المسكية، ومنهم المشايخ: صالح العصيمي، ومحمد بن ناصر

العجمي، وبدر العتيبي، وباسل الرشود، جزاهم الله خيرا.

وجمع أخونا الشيخ محمد زياد عدداً من مقالاتي والمقابلات التي أجريت معي وأعدها للطبع.

وطبع الشيخ الدكتور وليد المنيس كتابين عن وقائع رحلاته إلي مع زملائه من مشايخ الكويت، أسمى الأول بالإكليل، ثم ألحقه بكتاب: التكميل.

أسأل الله أن ينفع بهذه الجهود ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

٢. ما هي نصيحتكم لطالب العلم المبتدىء؟

نصيحتي أولا وآخرا تقوى الله تبارك وتعالى، والحرص على البداءة بالقرآن الكريم حفظا وتدبراً، ويبدأ على المشايخ بالسلّم العلمي التدريجي المعروف، ويعتني بالمتون، والتحضير للدروس، فبها يحصل الفهم والتحصيل وترسخ المعلومات، ويصبر على الطلب، ولا يستعجل النتائج.

وعليه بحفظ الوقت، فهو رأس مال المرء، كما قال الوزير ابن هبيرة رحمه الله:

الوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه   وأراه أسهلُ ما عليك يَضيعُ

وعلى طالب العلم التحلي بالأخلاق الحسنة، وبذل النصح للجميع،

والحرص على نفع إخوانه، فالعلم كما قال الشاعر:

يَزيد بكثرة الإنفاق منــه ويَنقص إن به كفًّا شَــددتا

وعليه بالعمل بما علم، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وقالوا: العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

ويحذر من الرياء والكبر والعجب، فإنها وبال على صاحبها، وتقود للحرمان والخسران.

٣. إن الفقيه الملم بعلم الحديث رواية ودراية تجده أقرب إلى موافقة الصواب. ما هو توجيهكم لطلاب العلم في الاهتمام بالسنة؟

إن العلم الشرعي يعتمد على الكتاب والسنة، فبقدر علم الإنسان فيهما تكون منزلته، والتفقه دون العناية بالدليل يعتبر علما ناقصا، بل هو تقليد محض، ولا يميّز المقلّد بين الخطأ من الصواب من كلام العلماء، لأنهم رحمهم الله بشر غير معصومين.

ثم إن تطلب الدليل يقتضي معرفة الصحيح من الضعيف.

ولذلك فعلى طالب العلم أن يهتم بمعرفة دليل المسألة وتعليلها، ويهتم بصحة الحديث والأثر، ويستعين بمصنفات وتخريجات العلماء الذين خرجوا الأحاديث الفقهية، ومنهم الألباني في إرواء الغليل وغيره.

٤. الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا التنزيل ولازموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر هم أعلم من غيرهم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أهمية قول الصحابي في الترجيح؟

قال العلماء إن الراوي أدرى بمرويه، وهذا واضح، فالصحابي هو شاهد وقائع التشريع، ورأى ملابسات الحادثة، أو سمعها من غيره من الصحابة، وهم القرون المفضلة، وأقرب الناس بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ورأوا التطبيق العملي للسنّة وكيف كان التعامل معها واقعيا، ثم فيهم من الديانة وصفاء النفس واللغة ما يفوق مَنْ بعدَهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

٥. يهتم بعض طلاب العلم ويسعى جاهداً في الحصول على الإجازات من الشيوخ، ونعلم أن لكم في هذا اهتمام مميز، ما قيمة هذه الإجازات في مسيرة الطالب العلمية؟

الرواية من سنن السلف وطرائق أهل العلم قديما وحديثا، وهي أنواع كما هو مفصّل في المصطلح ، وأعلاها القراءة والسماع ، وهذا أكثر ما ينبغي أن يحرص عليه طالب العلم، وهو الأنفع ، ومن أنواعه الإجازات، وطالب العلم يقدّم الأهم على المهم، فيصرف همّته أولا إلى العلم الشرعي، ثم يأخذ الرواية ولا يجعلها أكبر همّه ، ولا يكتفي بمجرد الرواية فقط ، أو تعدد الإجازات، بل يهتم بالدراية.

والإجازات إن صدرت من عالم معروف مهتم بالسنّة لطالبٍ لازمه طويلا وحصّل عنده تُعتبر أشبه بالتزكية العلمية، وما كان سوى ذلك فهي رواية تحمّل.

وأنا لم أهتم لها كثيرا أول الأمر، فأول ما أخذت الرواية بحديث المحبة فقط من شيخنا القرعاوي قبل ثمانين سنة، في ١٠ شعبان سنة ١٣٤٩، هو ابتدأنا، ثم أجازنا بعد ذلك بمدة، وكانت إجازة شيخنا أبو وادي بسعاية شيخنا عبد الله المطرودي رحمه الله، ولم يكن مشايخنا يولون الإجازات عناية كبيرة، وغالب إجازاتنا تأخرت عن ذلك، مثل إجازة الشيخ عبد الحق الهاشمي رحمه الله، ومَن بَعده.

٦. إن الأمة الإسلامية تواجه اليوم تحديات ومؤامرات وكيد وتشويه لدينها ونبيها بل لقرآنها قد تترك أثراً سلبياً على بعض أفراد أبنائها ما توجيهكم حيال هذه الحملات؟

منذ بزغ نور الإسلام ومنذ أكرم الله البشرية ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم والأعداء لا يفترون عن محاربته والكيد له بشتى الوسائل، ولكن الله حافظٌ دينه، وسيبقى قائماً حتى تقوم الساعة إن شاء الله، وسبيل النجاح والفلاح هو الاعتصام بحبل الله جميعا، وعدم التنازع، وإعداد القوة بجميع سبلها، ومنها العلم الشرعي والدعوة؛ وتنبيه المسلمين وإعادتهم إلى

المحجة البيضاء، على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتصفية الدين من كل الشوائب الدخيلة من بدع وأفكار، وتزكية الأنفس، فالأعداء لا يحاربوننا بسلاح الجيوش فقط، بل بسلاح التجهيل والشهوات والشبهات والغزو الفكري، ولكن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون.

٧. كلمتكم الأخيرة لرواد الموقع؟

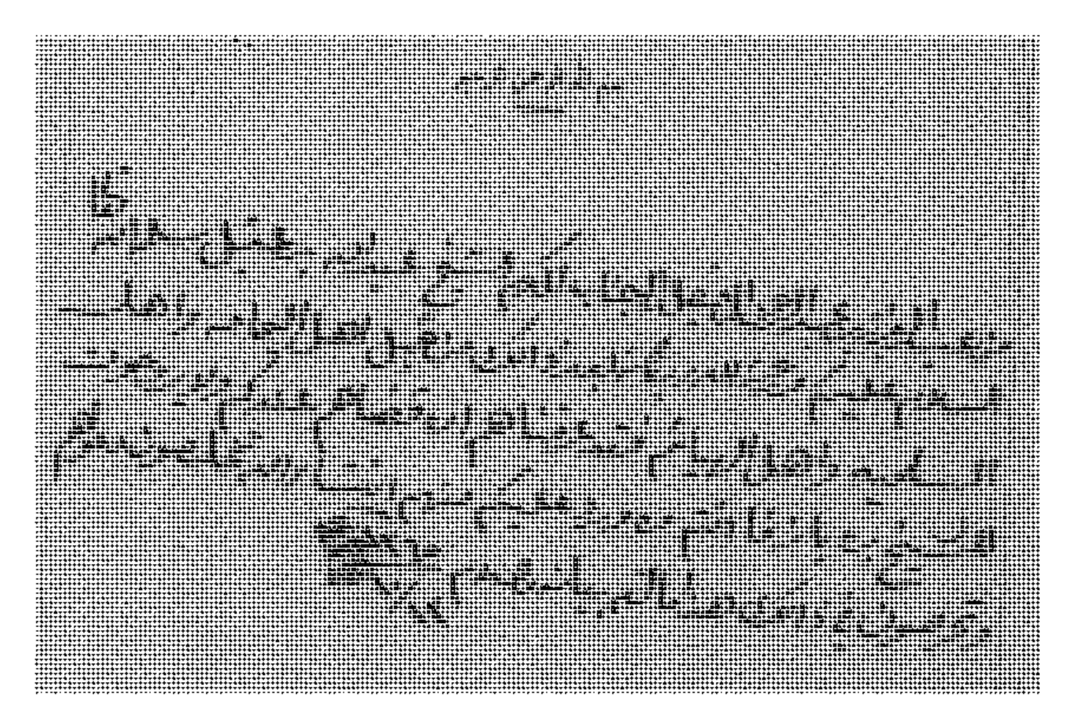
أدعوهم أن يبذلوا وسعهم لكل ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، من طلب العلم، والدعوة إلى الله، والصبر على المبدأ.

وأشكرهم على متابعتهم لهذا اللقاء، وأرجو أن لا ينسوني من صالح الدعوات، وأسأل الله لي ولهم حسن الخاتمة، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، وأستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

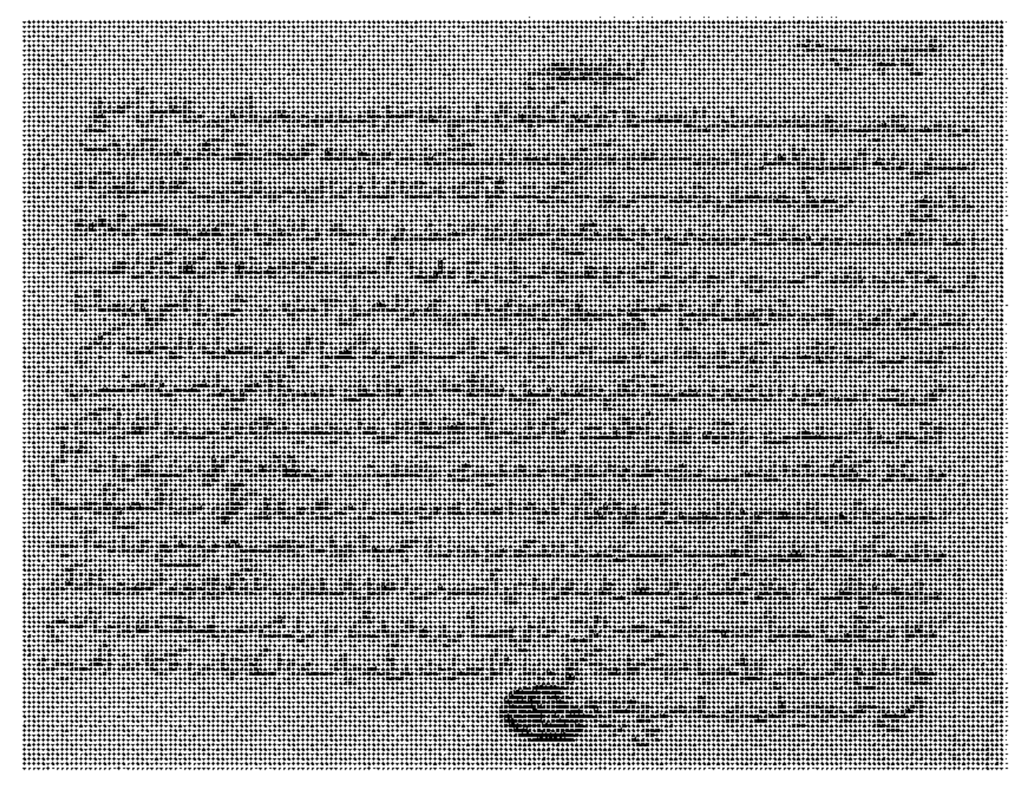
تم إضافة اللقاء يوم الاثنين ١ / ٩ / ١٤٢٩ هـ



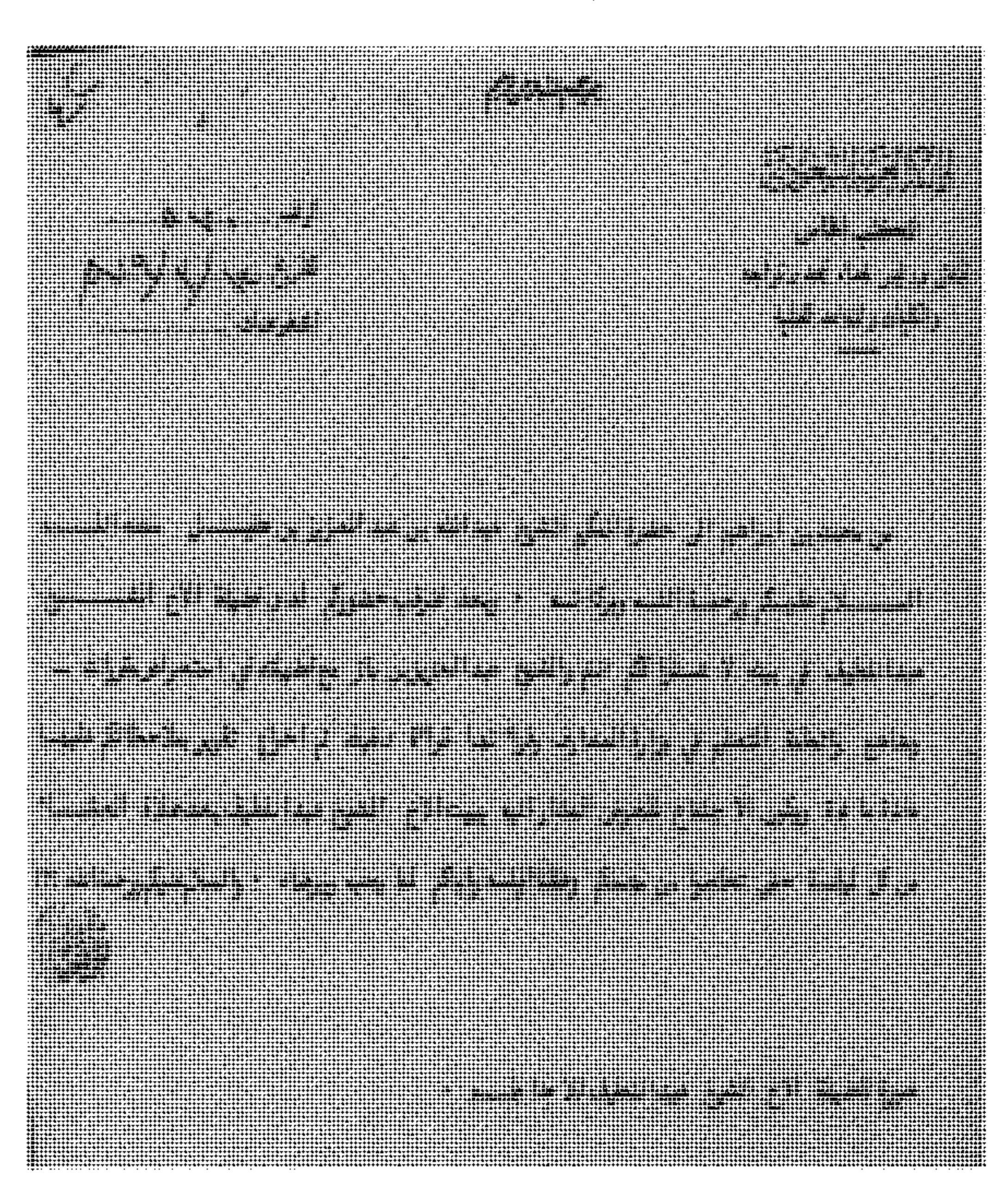
ملحق الوثائق



صورة رقم (١) ص٧٨



صورة رقم (٢) ص٧٩



صورة رقم (٣) ص ٨١

الفهرس العام

* * *